على خطى
الأنبياء والصّالحين

520 قصّة جميلة وهادفة عن أخلاق الأنبياء والصّالحين

جمع وترتيب

زيوي تحيى

دار تلانتيقيت

كلّ الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2017

ر.د.م.ك: 978-9947-67-174-0

©دار تلانتيقيت

للنّـــــشر والتّـــــــــوزيع

04 نهج سي الحواس – بجاية 06000 –الجزائر

رقم الهاتف: 61 45 17 034

www.editionstalantikit.com

إهداء

أهدي هذا الكتاب:

إلى كلّ مسلم يشهد أنّ لا اله إلاّ الله و أنّ محمّدا رسول الله، على أيّ أرض تقلّه و تحت أيّ سماء تظله.

إلى كلّ الّذين يحبّون أنبياء الله عليهم الصلّاة والسلّام، و يرون فيهم خير خلق الله وخير قدوة.

إلى كلّ الّذين يحبون صحابة النّبي صلى الله عليه وسلّم، لأنّهم أحبّوه ونصروه وقاتلوا معه، وكانوا سببا في نشر الاسلام، هذه النّعمة العظيمة التي وصلتنا ونتمتّع بها بكل سهولة ويسر.

إلى كلّ الّذين يحبون التّابعين و سلف الأمة رحمة الله عليهم أجمعين، ومن سار على هديهم إلى يوم الدّين.

كلمة شكر

أحمد ربّ الأكوان، خالق الإنسان، فالق الحَبِّ والنوى وبارئ النّسمة، الذي علّم الانسان ما لم يكن يعلم ، وأرسل إليه أنبيائه ورسله، وأنزل عليه الكتب رحمة به لينقذه من الضلالة والهلاك.

يا رب لك الحمد و الشكر كما ينبغي لجلال وجهك و لعظيم سلطانك منتهى علمك.

و لأنّه لا يشكر الله من لم يشكر عباده، و لأنّ الذين ساعدوني في الكتاب كُثر، فأنا أقول بقلب يملأه الإمتنان ، شكرا لكل من ساعدني على إتمام الكتاب، بالقليل أو بالكثير من قريب أو من بعيد و أقول لهم كما قال أحد الشعراء:

ولو أنني أوتيت كل بلاغـــــة

وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلاّ مقصرا

و معترفا بالعجز عن واجب الشكر

فشكرا لكم جميعا وجزاكم الله خيرا.

قال ابن القيّم رحمة الله عليه :

الدّين كلّه خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدّين.

قال محمود الأيوبي:

والمَرْءُ بِالأَخْـلاقِ يَسْمُــوا ذِكْـرُهُ وبِهَا يُفَضَّـلُ فِي الــوَرَى وَيُوَقّـرُ

وقال أحد الشعراء:

إنّي شممت من العطور جميعها وعرفت أطيبها عــلى الإطلاق

كل العطور سينتهي مفعــولها ويدوم عطر مكارم الأخــلاق

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، الرّحمن الرّحيم، أكرم الأكرمين، تفضّل بالنّعم و الآلاء على الخلق أجمعين، و الصّلاة و السلام على أشرف المرسلين- المبعوث رحمة للعالمين، أسوة الأخلاق، و عنوان الحياء- سيّدنا محمّد، و على آله و صحبه الطاهرين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد:

أخي الكريم، الأخلاقُ الفاضلة والحميدة لها منزلةٌ رفيعة و أهمية كبيرة في ديننا الإسلامي الحنيف ولها ارتباطٌ قوي بقوةِ الإيمان، وحسن تديّن المرءِ وتمسكه بالشّريعة، ولها أعظم الأثر في قوةِ الأمة ووحدة صفوفها، وعليها يدور نجاح المسلم، فكيف ينجح العالِم في وظيفته إذا لم يكن على خلق؟ وكيف ينجح الزوج في حياته إذا لم يكن على خلق؟ وكيف ينجح الداعية في دعوته إذا لم يكن على خلق؟ وكيف ينجح الأخ مع إخوانه إذا لم يكن على خلق؟ فالأخلاق الحميدة عليها مدار نجاح الإنسان و فلاحه في الدّنيا و الآخرة.

والتحلي بمكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصدّيقين والصّالحين، والهدف الأسمى لبعثة الأنبياء عليهم السلام، و إتمام مكارم الأخلاق أهم مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، و الرسول صلى الله عليه و سلّم

قال: « إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[1]، « فالأخلاق ليست سلعة تزهد فيها، أو تبيعها بأبخس النّصيب و لكنها كنز نفيس و قيمة ثمينة، ودرر وجواهر غالية، و عهد قاطع و شرط لازم لولوج باب الفردوس الأعلى ونيل الوسام الأسمى»[2].

وحياة الإنسان المؤمن لا تقوم ولا تستقيم إلاّ بأمرين أساسيين، أمّا الأمر الأول: فهو توحيد الله عزّ وجل و أداء الفرائض اللازمة على أحسن وجه، أما الأمر الثاني ، فهو تحليه بالأخلاق الحسنة، و هذا الشق الثاني هو الذي يُصلح أمر العباد فيما بينهم و يجعلهم يعيشون في أمان وسعادة. فهل لك أخي الكريم أن تتصور حياة الناس في مجتمع ليس فيه أخلاق، لا أمانة، لا إيثار، لا تعاون ...فعلا من دون الأخلاق الحميدة بين الناس، ستنعدم الثقة والرّحمة بينهم و ستغدوا حياتهم صعبة و كئيبة.

ومن المحزن في وقتنا الحالي، أن النّاس ضيّعت الأخلاق تضييعا شديدا، و حتى الملتزمين و رواد المساجد للأسف الشديد، تجد معظمهم يجتهد في أداء العبادات و النوافل ليرضي الرّحمن، و لكن أخلاقه سيئة مع إخوانه من عباد الرّحمن، و هذا بلا شك سوء فهم للدّين، لأنّ الدّين هو الأخلاق.

أخي الكريم، جمال الإنسان ليس في ثيابه و لا في جسمه، إنّما الجمال الحقيقي هو جمال الروح، وجمال الروح لا يكون إلاّ بالأدب و الأخلاق الحسنة. يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(1) حديث صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، و الحاكم و البيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنظر حديث رقم 2349 في صحيح الجامع.

(2) شريف شحاتة، أخلاقنا سر نهضتنا،ص17 ، دار ابن الجوزي، مصر،ط1، بتصرف يسير.

ليس الجمال بأثواب تزيننا إنّ الجمال جمال العلم و الأدب.

ويقول عمرو بن معد يكرب:

ليس الجمال بمئزر فاعلم و إن رديت بردا

إنّ الجمال معادن و مناقب أورثن حـمدا

ولأنّ الأخلاق أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، و أصحاب الأخلاق الحسنة هم من أحبّ العباد إلى الله عزّ وجل، و يحبهم رسول الرّحمة صلى الله عليه و سلّم ، و الأخلاق الحسنة لها فضل عظيم والتحلي بها خير عميم، وجب على الإنسان - خاصة المسلم الموحد الذي يتبع هدي خير البريّة صلوات الله عليه - أن يسعى جاهدا لإكتساب الأخلاق الحميدة ونبذ الأخلاق السّيئة، ليفوز في الدّنيا و الآخرة، لأننا نريد الفرد المسلم الخلوق، ثم المجتمع المسلم الخلوق، الذي يدعوا إلى الله عزّ و جل بحسن أخلاقه.

وأحسن طريق لإكتساب الأخلاق الحميدة هي الإقتداء بالنّبي صلى الله عليه و سلّم، ثم بجميع أنبياء الله عز و جل، و من ثم جميع الصّالحين على رأسهم الصّحابة رضوان الله عليهم و التابعين رحمة الله عليهم، فهم القدوة الحسنة لكل مسلم. و نظرا لما للقصة الهادفة من أهمية كبيرة في تزكية النّفس و تهذيبها، بما تحويه من حكم وعبر مفيدة، خاصة قصص وأخبار الأنبياء و الصّحابة و التّابيعين والعلماء والصّالحين، فهي من أحسن الوسائل التي تعين الإنسان على اكتساب الأخلاق الحميدة، والإستقامة على شرع الله سبحانه و تعالى و ذلك من خلال اكتساب الفضائل و ترك الرذائل، خاصة عندما يتأمل الإنسان قصص من أطاع الله، و كيف جزاهم و قصص و أخبار من عصى الله وكيف عاقبهم.

ونظـرا لأهميـة القصـة قـال الإمـام أبـو حنيفـة رحمـه اللـه تعـالى: «الحكايـات عـن العلـماء والصّالحـين أحـبّ إليَّ مـن كثـير مـن الفقـه لأنّهـا هـي آداب القـوم وأخلاقهـم». و قـال بعـض العلـماء مـن السـلف: «الحكايـات جنـد مـن جنـود اللـه تعـالى يثبـت اللـه بهـا قلـوب أوليائـه»، يعنـي أنَّ المعانـد أمـام القصـة يقـف حيرانـاً لا يسـتطيع رداً. وعـن مالـك بـن دينـار قـال: الحكايـات تحـف الجنّـة.

وقـال الجُنيـد :الحكايـات جنـد مـن جنـود اللـه عـز وجـل يقـوي بهـا إيمـان المرتدّيـن. فقيـل لـه : هـل لذلـك مـن شـاهد مـن كتـاب اللـه تعـالى ؟!

فقـال : أجـل ؛ إنـه قـول اللـه تعـالى : ﴿ وَكُـلاًّ نَّقُـصُّ عَلَيْـكَ مِـنْ أَنبَـاء الرُّسُـلِ مَـا نُثَبِّـتُ بِـهِ فُـؤَادَكَ﴾ .

و ذكـر ابـن الجـوزي رحمـه اللـه تعـالى في ختـام باب « ذكـر فضـل الأولياء و الصالحـين» في كتابـه القيّـم « صفـة الصفـوة » أنّ ابـن عيينـة قـال : عنـد ذكـر الصّالحـين تنـزل الرحمـة ، وقـال محمـد بـن يونـس : مـا رأيـت للقلـب أنفـع مـن ذكـر الصالحـين .

ولعـلّ أهميـة القصـة تكمـن في ميـل النـاس إليهـا وتشـوقهم إلى سـماعها وروايتهـا وسـهولة حفظهـا.

أخـي الكريـم، في هـذا الكتـاب الـذي بـين يديـك ، جمعـت بعـون اللـه عـزّ وجـل مجموعـة مـن القصـص المفيـدة و الهادفـة مـن سـير الأنبيـاء صلـوات اللـه عليهـم والصّحابـة رضي اللـه عنهـم والتابعـين والصالحـين رحمـة اللـه عليهـم، و جعلـت القصـص في أبـواب حسـب مواضيعهـا، و صـدّرت كل بـاب إمّـا بآيـات مـن القـرآن الكريـم أو أحاديـث نبويـة أو أقـوال وأشـعار للسـلف الصالـح لتكتمـل الفائـدة إن شـاء اللـه تعـالى، و كل بـاب هـو خلـق جميـل يجـب عـلى الإنسـان أن يسـعى جاهـدا لإكتسـابه و التحلي بـه، عـلى أن بعـض

أبـواب الكتـاب ليسـت أخلاقـا، كبـاب التقـوى وبـاب حسـن اختيـار الـزّوج و الزّوجـة، و لكنـي أوردتهـا في الكتـاب نظـرا لأهميتهـا و أهميـة الإقتـداء بالأنبيـاء والصّالحـين في هـذه الأمـور و في هـذه العبـادات العظيمـة.

وأمـلي أخـي في اللـه أن تجعلـك هـذه القصـص والأخبـار الجميلـة الـواردة في هـذا الكتـاب، تسـير عـلى «خطـى الأنبيـاء و الصّالحـين» وذلـك مـن خـلال محبّتهـم والإقتـداء بهـم واتباعهـم في جميـل وروعـة أخلاقهـم. مـن خـلال نبـذ الأخـلاق السـيّئة والسّـعي الحثيـث لاكتسـاب الأخـلاق الحميـدة التـي يحبّهـا اللـه سـبحانه وتعـالى، مـن أجـل الفـوز في الدّنيـا و الآخـرة، و التقـرب مـن اللـه عـزّ وجـل ونيـل رضوانـه فهـذا غايـة كل المؤمنـين وأقـصى أمانيهـم.

وفي الأخـير أخـي القـارئ، أتمنـى أن ينفعـك اللـه سـبحانه وتعـالى بهـذا الكتـاب و رجـائي أن يجعلـه في ميـزان حسـناتي وحسـناتك يـوم لا ينفـع مـال ولابنـون إلاّ مـن أتى اللـه بقلـب سـليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أخوك في الله

زيوي يحيى

فصل

لماذا هذا الكتاب؟

أخـي الكريـم، أخـي في اللـه، إذا أمعنـت النظـر ودقّقـت الفحـص بالبـصر في حـال مجتمعاتنـا العربيـة والإسـلامية التـي نعيـش فيهـا والتـي نحـن جـزء منهـا:

- رأيـت العيـون الزّائغـة والنظـرات المسـمومة والقلـوب الحاسـدة المليئـة بالغـل والكراهيـة.
- و في كل مكان تقريبا ترى مناقرة الدّيوك و تناطح الكباش.
- و إذا أرهفـت السـمع، سـمعت السـبّ والشـتم و قبيـح الـكلام يتلفـظ بـه النـاس مـن دون حيـاء.

وإن كانـت هـذه الأمـور تـدل عـلى شيء، فهـي تـدل عـلى اضمحـلال مؤشر الأخـلاق و قطـع عـرق الحيـاء. ولذلـك كان لا بـد مـن التحـرك و فعـل أمـر مـا، لإعـادة الحيـاة لأخلاقنـا التـي تحتـضر للأسـف الشـديد، ويجـب التحـرك عـلى الجميـع، كل عـلى قـدر اسـتطاعته ومسـؤوليته. و هـذا الكتـاب الـذي بـين يديـك ، صرخـة مـن القلـب، و دعـوة صادقـة لإحيـاء الأخـلاق الإسـلامية الجميلـة ودعـوة لإسـتصلاح أراضي الأخـلاق التـي غـدت بـورا بعـد أن كانـت جنـة غنّـاء في أوائـل البعثـة الإسـلامية.

أخـي الكريـم، لقـد حاولـت في هـذا الكتـاب أن أكـون كالنّحلـة التـي تنتقـل مـن زهـرة إلى زهرة،لتصنـع عسـلا لذيـذا مصفـى فيـه شـفاء للنّـاس بـإذن اللـه سـبحانه و تعـالى. غـير أننـي و بخـلاف النّحلـة فقـد انتقلـت مـن كتـاب إلى كتـاب و اخـترت منهـا أجمـل القصـص والأخبـار مـن حيـاة الأنبيـاء

والصالحين، ورتبت هذه القصص على مجموعة من الأخلاق الإسلامية الجميلة، التي يجب على كل فرد أن يسعى جاهدا لإكتسابها، و جعلت عنوان الكتاب « على خطى الأنبياء و الصالحين» في محاولة مني لأرسل لك رسالة مفادها، أن قدوتنا في هذه الحياة هم الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم. وكما أنّ العسل فيه شفاء للجسد، فإنّ هذه القصص الجميلة شفاء و تزكية للنفس من الرذائل، و سوء الأخلاق بفضل الله سبحانه و تعالى، فهو القادر على كل شيء.

و لقد جاء الكتاب كالتالي:

- **520 قصة** (ما بين قصة طويلة و خبر بسيط) مرتبة في 39 بابا.
- **150 مقولة و حكمة** إسلامية من حكم الصّحابة والتّابعين.
- **80 مقتطف شعري** جميل و هادف من أشعار السلف الصالح.

ترتيب أبواب الكتاب:

اعتمدت في تريتب الأبواب على أمرين بسيطين:

أمّا الأمر الأول: فهو أني جعلتُ الأبواب التي هي أخلاق كلها في بداية الكتاب، فالأبواب من واحد إلى غاية ثمانية وعشرون كلها أخلاق، أما الأبواب الإحدى عشر الأخرى المتبقية، فهي ليست بأخلاق، و لكني أدرجتها في الكتاب لأهميتها وأهمية أن نقتدي بالأنبياء والصّالحين في هذه العبادات والشعائر.

أمّا الأمر الثاني: فقد حاولت قدر الإمكان وضع الأبواب المتقاربة المعنى واحدة وراء الأخرى.

مثلا فقد وضعت باب «حسن اختيار الزّوج و الزّوجة» متبوعا بباب

« العشرة بالمعروف» وبعدهما مباشرة باب « حسن تربية الأبناء» نظرا لتقارب معنى هذه الأبواب.. وهكذا كل بابين متقاربين في المعنى حاولت أن أضعهما معا. ولكن تبقى الأبواب منفصلة، وبالتالي يمكن للقارئ أن يقرأ الباب الذي يريد من دون التقيّد بقراءة باب آخر.

أما عن ترتيب القصص:

فقد حاولت قدر الإمكان أن أرتب القصص حسب مواضيعها، و ذلك كي يسهل على القارئ انتقاء و فهم موضوع القصص، و يسهل الأمر على الدّاعية أو الخطيب كي ينتقي قصصا تناسب موضوع درسه أو خطبته. رغم ذلك أخي الكريم يجب أن تعرف أنّ بعض القصص يصعب تبويبها، وذلك لأنها تحمل في طياتها أكثر من مغزى و معنى. مثلا: قصة « محمد بن زكريا الغلابي و السّكير» التي وضعتها في باب «التعامل مع العاصي و المسيء» يمكن وضعها في باب «الرّحمة» و هكذا فهناك مجموعة من القصص تصلح لأكثر من باب. وقد حاولت قدر استطاعتي- و ما توفيقي إلاّ بالله – أن أرجح الباب الذي تصلح له القصة أكثر كما حاولت الموازنة بين عدد القصص في الأبواب.

أخي العزيز لقد حاولت جهدي، رغم علمي بعجزي و تقصيري، أن أجعل هذا الكتاب موسوعة جامعة نافعة، لأجمل القصص الإسلامية المرتبة حسب مواضيعها، لتكون مرجعا لكل إنسان يريد الإطلاع على أخلاق الأنبياء صلوات الله عليهم و الرّعيل الأول من هذه الأمة المباركة عسى أن يقتدي ويهتدي بهم. وتبقى أعمالنا نحن البشر ناقصة مهما اجتهدنا و كدحنا، و حسبي أنني إجتهدت، و الكمال لله سبحانه و تعالى.

في الأخير أخي في الله، أقول: إن وجدت خيرا فمن الله وحده و إن وجدت تقصيرا فمن نفسي المتسرعة ومن الشيطان والعياذ بالله منه.

وأختم هذا الفصل بهذه الأبيات الشعرية الجميلة.

يا قارئاً في رسالتنا جُـــد بمعذرةٍ

فقد ترى فيه بعض النقص و الخلل

إذ عامل النقص شيء في طبيعتنا

من ذا الذي يا أخـــي يخلو من الزلل

لن نستطيع الخلاص من تسرعنا

والمرء في الأصل مخلوق من العجل

فصل

ثمرات و فضل حسن الخلق

الأخلاق هي أكثر ما اهتم به الصّالحون سواء قبل الإسلام أو بعده، و الدّين الإسلامي الحنيف شدّد على وجوب تحلّي الإنسان المسلم بمكارم الأخلاق، وإن لم تكن موجودة لديه فعليه أن يسعى لإكتسابها.

والتّحلي بالأخلاق الحسنة، يترتب عليه الخير العميم في الدنيا والآخرة، كما بينته الأدلة الشرعية، فللأخلاق الحميدة فضل عظيم و ثمرات جليلة، نذكر بعضا منها على سبيل التذكير لا الحصر:

1- حسن الخلق طاعة لله عزّ وجل و امتثال لأمره:

قال تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف:199

فلقد جمع الله سبحانه وتعالى مكارم الأخلاق في هذه الآية، وأمر بالأخذ بها، والتحلي بما ورد فيها.

2- سبب لنيل محبة الله عزّ وجل:

فالله عز وجل يحبّ مكارم الأخلاق، ويحب أهلها، بل إن أحبّ العباد إلى الله أحسنهم أخلاقا.

فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنما على رؤسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ

جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ فقال: «أحسنهم خلقا». صححه الألباني. وإذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة في الناس.

3- حسن الخلق طاعة للنبي صلى الله عليه و سلّم و اقتداء به:

فلقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو ذر ومعاذ رضي الله عنهما: «وخالق الناس بخلق حسن».حسنه الألباني .

فحسن الخلق اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد كان عليه الصلاة والسلام أكرم البشرية أخلاقا، وأزكاهم نفسا.

4- حسن الخلق سبب للقرب من النبي صلى الله عليه و سلّم ونيل محبته:

قال صلى الله عليه وسلم : (إنّ من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً) رواه البخاري

و قال صلى الله عليه و سلّم: (إنّ أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً) رواه أحمد والترمذي وابن حبان.

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) رواه الترمذي.

5- حسن الخلق من خير أعمال العباد:

فإذا اتصف المسلم بحسن الخلق، وكان ديدنا وعادة له، صار مطيعا لربه، متعبدا له في كل أحواله؛ فتعظم بذلك أجوره، وتقال عثراته.

قال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذرٍّ، ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله.

قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصّمت، فو الذي نفس محمد بيده، ما عمل الخلائق بمثلهما).

6- حسن الخلق من كمال الإيمان:

وعدَّ النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه أحمد وأبوداود.

ويقول ابن القيم رحمة الله عليه : الدّين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدّين.

7- حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة:

عن أبي الدّرداء رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء » رواه الترمذي.

8- حسن الخلق يبعدك عن النار:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار،- أو بمن تحرم عليه النار؟- تحرم على كل قريب، هيِّن ليِّن سهل) رواه الترمذي .

و معنى قريب، أنه قريب من الناس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رجل: يا رسول الله! إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنّها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: (هي في النار). قال: يا رسول الله! فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وإنها تصَدّق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي

جيرانهـا بلسـانها. قـال: (هـي في الجنـة). رواه أحمـد

9- حسن الخلق سبب لدخول الجنة:

جعـل اللـه سـبحانه وتعـالى الأخـلاق الفاضلـة سـببًا للوصـول إلى درجـات الجنـة العاليـة، يقـول اللـه تبـارك وتعـالى :﴿ وسـارعوا إلى مغفـرة مـن ربّكـم وجنّـة عرضهـا السّـموات والأرض أعـدّت للمتقـين .الذيـن ينفقـون في الـسّراء والـضّراء والكاظمـين الغيـظ والعافـين عـن النّـاس واللـه يحـبّ المحسـنين﴾ آل عمـران: 133-134

- وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه، أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم سـئل عـن أكـثر مـا يدخـل النـاس الجنـة فقـال: « تقـوى اللـه، وحسـن الخلق» رواه الترمـذي.

- قال ابن القيم رحمه اللــه: «جمع النبي صــلى اللــه عليــه و ســلّم، بين التقوى وحسن الخلق لأن تقوى اللــه، تصلح ما بين العبد وبين ربه ،وحسن الخلق يصلح مابينه وبين خلقه .فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته».

10- حســن الخلــق ســبب للإرتقــاء في الجنــة و بلــوغ الدرجــات العاليــة فيهـا:

قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم : « إن الرجـل ليـدرك بحسـن خُلقـه درجـة الصائـم القائـم » رواه أحمـد.

11- حسن الخلق سبب للخيرية:

قال رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وســلم: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا»حديث متفق عليه.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقا». متفق عليه.

12- حسن الخلق من أسباب تحصيل تقوى الله عزّ وجل:

و التحلي بحسن الخلق هو سبيل إلى تحقيق التقوى، ولذلك فقد أوصى النبي صلى الله عليه و سلّم بذلك كما في وصيته لمعاذ رضي الله عنه: « اتق الله حيثما كنت، وأتبعِ السيئة الحسنةَ تمحُها، وخالق الناس بخلق حسن».

قال ابن رجب رحمه الله معلّقا على الحديث:

«هذه من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلاّ به - أي مخالقة الناس بالخلق الحسن-، وإنما أفردها بالذكر للحاجة إلى بيانه؛ فإن كثيراً من الناس يظن أنّ التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنه كان قد بعثه إلى اليمن معلماً لهم ومفهماً وقاضياً، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن، ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به، ولا يخالطهم. وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله،والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزٌ جداً، لا يقوى عليه إلا الكُمَّلُ من الأنبياء والصديقين».

13- حسن الخلق سبب لتيسير الأمور:

فحسن الخلق سبب لذلك، لأنه من تقوى الله، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ الطلاق:4 .

14- حسن الخلق من أسباب زيادة الأعمار وعمارة الدّيار:

قال النبي عليه الصلاة والسلام:»حسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الدّيار، ويزيدان في الأعمار». صححه الألباني .

15- كسب القلوب و حصول الألفة بين الناس:

فحسن الخلق من أعظم الأسباب الداعية لكسب القلوب، فهو يحبب صاحبه للبعيد والقريب، وبه ينقلب العدو صديقا، ويصبح البغيض حبيبا، ويصير البعيد قريبا. و بحسن الخلق يكثر الأحباب ويقل الأعداء.

قال الإمام المارودي رحمه الله: إذاحسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلّ معادوه ،فتسهلت عليه الأمور الصّعاب ، ولانت له القلوب الغضاب.

و صاحب الخلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس، فإن قلوب العباد تميل دائما إلى صاحب الخلق الحسن وتبغض الإنسان صاحب الخلق السيء، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» حديث صحيح.

16- حسن الخلق إحسان قد يزيد على الإحسان المالي:

لأنّ المال قد يصحبه منّة وتعالٍ و تكبر على الخلق، ولأنّ صاحب المال قد لا يسع الناس بماله.

أما حسن الخلق فإحسان لا يصحبه منّة، ولا تعالٍ على الخلق، وصاحب الخلق الحسن يسع الناس بخلقه.

17- التوصل للحق:

وهذا مهم جدا، فإن حسن الخلق سبب عظيم من أسباب الهداية،

حتى لو كان المرء ضالا أو مبتدعا، فإن حسن أخلاقه غالبا ما يكون سببا في هدايته إلى الحق والعكس صحيح ، إذ لو كان المرء صحيح المنهج فإن سوء الخلق يجعله من الناكصين على عقبيه والعياذ بالله.

18- زيادة العلم:

فبالخلق الحسن يصفو القلب، وتطمئن النفس، وذلك مدعاة لأن يتمكن المرء من معرفة العلوم التي يسعى لإدراكها، والمعارف التي يروم تحصيلها.

ثم إن حسن الخلق يدعو صاحبه للتواضع، والتأدب في مجالس العلم، وهذا مما يزيد العلم، ويقوي الإدراك.

19- الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة:

فبالخلق الحسن يتمكن المرء من الوفاء بتلك الحقوق للأهل، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، والجيران، والمعاملين، وسائر من بينه وبينهم مخالطة أو حق، فكم من حقوق أضيعت من جراء سوء الخلق.

20- الإنصاف:

فبحسن الخلق تنال فضيلة الإنصاف، وأكرم بها من فضيلة، فصاحب الخلق الحسن يأبى عليه خلقه الحسن من التعصب المقيت، والانتصار للنفس، لأنّ ذلك يحمل على التعسف وقلّة الانصاف.

21- راحة البال وطيب العيش:

فصاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة، ونعيم عاجل، فإن قلبه مطمئن، ونفسه ساكنة، وذلك من أسباب الراحة العاجلة وطيب العيش.

22- حصول الوئام والاتفاق التام في المجتمع:

فإذا حسنت الأخلاق في مجتمع ما، شاع الوئام والتراحم، وسادت الألفة والمودة في ذلك المجتمع.

ذلك أن التحلي بمكارم الأخلاق يجعل صاحبه يعرف ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات، فلا يخل حينئذ بواجب، ولا يدعي له حقا ليس من حقوقه.

23- حسن الخلق يستر العيوب:

فقد يُبتلى المرء بكثير من الآفات والعيوب الخلقية من دمامة ونحوها، مما يجعله عرضة للذّم، وغرضا للسخرية من بعض الناس، ولكن ذلك لا يقصره عن مجد، ولا يقعد به عن سؤدد، وذلك إذا رزق بخلق حسن، وعقل راجح.

فحسن الخلق يغطي غيره من القبائح، كما أن سوء الخلق يقبح غيره من المحاسن .

فهذا الأحنف بن قيس الذي سارت بأخباره الركبان كان من أقبح الناس خلقة، فما من خصلة ذم، إلاّ وهي موجودة فيه ،ومع ذلك بلغ ما بلغ من المجد والسؤدد بحلمه، وشجاعته، وحسن خلقه، وروعة بيانه.

فصل

ذَمُّ سوء الخلق

إعلم يا أخي وفقني الله وإياك للحق، أنّ سوء الخلق عمل مرذول، ومسلك دنيء، يمقته الله عز وجل ويبغضه الرّسول صلى الله عليه وسلم .

بل إنّ الناس على اختلاف مشاربهم يبغضون سوء الخلق وينفرون من أهله، فهو مما ينفر الناس، ويفرق الجماعات، ويصدّ عن الخير، ويبعد عن الهدى .

وصدق أحمد شوقي إذ قال :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا.

و إليك أخي الكريم مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة، ومجموعة من أقوال الصّالحين، في ذمّ سوء الخلق و بيان عواقبه:

من مضار و عواقب سوء الخلق:

- سيئ الخلق مذكورٌ بالذكر القبيح، يمقته الله عز وجل، ويُبغضه الرسول صلى الله عليه وسلم، ويُبغضه الناس على اختلاف مشاربهم.

- سوء الخلق يبعد العبد عن الله عزّ وجل ولا ينال من الله إلاّ السّخط والغضب.

روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدّرداء أنّ النبي صلى الله عليه

وسلم قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء».

- سوء الخلق يبعدك عن النّبي صلى الله عليه و سلّم يوم القيامة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإنّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني في الآخرة أسْوَؤُكم أخلاقًا» رواه أحمد وحسنه الألباني.

- سيئ الخلق يجلب لنفسه الهم والغم والكدر، وضيق العيش، ويجلب لغيره الشقاء و سيىء الأخلاق يكرهه الناس فلا يجد صديقا يخلو إليه بوحشته ولا عزيزا يقدره ويحترمه حتى زوجته وأولاده لا يحبون مجالسته.

قال أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله: «السيئُ الخلق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي مِنه في بلاء، ثم زوجتُهُ، ثم ولدُهُ، حتى أنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون منه فرَقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّهُ ليفرُّ منه».

- سوء الخلق يهوي بصاحبه إلى درجة الفسق و العياذ بالله:

روى البخاري رحمه الله حديث، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» وخرّجه في صحيحه في كتاب الايمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. وفي كتاب الفتن وكتاب الأدب والحديث خرجه مسلم أيضا وغير واحد من الأئمة.

- سيء الخلق إنسان مفلس و العياذ بالله.

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـهُ، أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال:« أتـدرون مـا المفلـسُ؟» قالـوا:« المفلـس فينـا مـن لا درهـم لـه ولا متـاع». فقـال:« إنّ المفلـس مـن أمتـي مـن يـأتي يـوم القيامـة بصـلاة وصيـام وزكاة، ويـأتي وقـد شـتم هـذا، وقـذف هـذا، وأكل مـال هـذا، وسـفك دم هـذا، وضرب هـذا، فيعطـى هـذا مـن حسـناته، وهـذا مـن حسـناته ، فـإن فنيـت حسـناتهُ قبـل أن يقـضي مـا عليـه، أخـذ مـن خطاياهـم فطُرحـت عليـه، ثـم طُـرح في النـار» رواه مسـلم.

أخـي الكريـم هـذا حديـث خطـير وجـب الوقـوف معـه، و رغـم أنـه لا يتحـدث عـن سـوء الخلـق صراحـة، و لكنـه يذكـره ضمنيـا، فالرجـل المذكـور في الحديـث، مـا سـبّ النـاس و مـا شـتمهم ومـا أكل حقوقهـم وتعـدى عـلى أعراضهـم، إلاّ لسـوء أخلاقـه، فالمسـلم الحسـن الخلـق، لا يسـبّ النـاس ولا يشـتمهم ولا يأخـذ حقوقهـم ولا يظلمهـم.

و لتتأمـل جيّـدا أخـي في اللـه قـول النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم، **إن <u>المفلـس في أمتـي</u>**، أجـل فالرجـل مـن أمـة النّبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم، وهـو انسـان عابـد للـه عـزّ وجـل، فهـو يـأتي بصيـام وصـلاة وزكاة، و لكـن للأسـف عبادتـه لـن تنفعـه ويطـرح في النـار. لأن مـن يـأتي يـوم القيامـة وقـد شـتم وقـذف وأكل مـال النـاس وسـفك دماءهـم وضربهـم، لا تنفعـه صلاتـه ولا صيامـه ولا صدقتـه ولا زكاتـه ، إنمـا يطـرح في النـار والعيـاذ باللـه، لأن هـذه الحسـنات أخذهـا أصحـاب الحقـوق، وطرحـوا عليـه فـوق سـيئاته سـيئات، فانتهـى بـه الأمـر إلى الهـلاك، نسـأل اللـه عـزّ وجـل العافيـة.

ولذلـك أخـي الكريـم وجـب علينـا، التحـلي بالأخـلاق الحسـنة و الإبتعـاد عـن الأخـلاق السـيئة والتعـدي عـلى حقـوق النـاس، و صـدق يحيـى بـن معـاذ

حين قال: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات.

و من الآثار وأقوال العلماء الواردة في ذمّ سوء الخلق:

- روى الإمام مالك عن يحيى بن سعيد: أنّ عيسى ابن مريم عليهما السلام لقي خنزيرا بالطريق فقال له: (انفذ بسلام). فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى ابن مريم: (إني أخاف أن أعود لساني المنطق بالسوء).

- قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوء الدّاء؟ قالوا : بلى، قال: الخلق الدنيء ، واللسان البذيء.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: العزلة راحة من خلاطاء السّوء.

- قال وهب بن منبه: مثل السيىء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا.

- صحب ابن المبارك رجلا سيىء الخلق في سفر فكان يحتمل منه، ويداريه، فلما فارقه بكى، فقيل له في ذلك فقال: بكيت رحمة له، فارقته وخلقه معه لم يفارقه.

- قال الفضيل بن عياض: لا تخالط سيىء الخلق فإنه لا يدعو إلاّ إلى شرّ.

وقال أيضا: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحبّ إلي من أن يصحبني عابد سيىء الخلق.

- قال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات،

وحسـن الخلـق حسـنة لا تـضر معهـا كثرة السـيئات.

- قـال الإمـام الغـزالي رحمـه اللـه: الأخـلاق السـيئة هـي السـموم القاتلـة، والمهلـكات الدامغـة، والمخـازي الفاضحـة، والرذائـل الواضحـة، والخبائـث المبعـدة عـن جـوار ربّ العالمـين، المنخرطـة بصاحبهـا في سـلك الشـياطين، وهي الأبـواب المفتوحـة إلى نـار اللـه تعـالى الموقـدة التـي تطلـع عـلى الأفئـدة.

وقال أيضا: إن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النّفاق.

وقـال أيضـا: إن مـن يكـره فعـل اللـه تعـالى ولا يـرضى بـه فهـو غايـة سـوء خلقه .

ومن علامات سوء الخلق:

جمع بعضهم علامات سوء الخلق فقال:

«أن يكـون قليـل الحيـاء كثـير الأذى، قليـل الصـلاح، كـذوب اللسـان، كثـير الـكلام، قليـل العمـل، كثـير الزلـل، كثـير الفضـول، لا بـرا ولا وصـولا، ولا وقـورا، ولا صبـورا، ولا شـكورا. غـير راض، ولا حليـما، ولا رفيقـا، ولا عفيفـا، ولا شـفيقا، لعانـا، سـبابا، نمامـا، مغتابـا، عجـولا، حقـودا بخيـلا، حسـودا. غضوبـا، نكـدا، يحـب في شـهواته ويبغـض فيهـا، فهـذا هـو سـوء الخلـق».

الباب الأوّل

المروءة، الأدب و حُسنُ الخُلق

- **قال ابن عمر رضي الله عنهما:** البرّ شيء هيّن: وجه طليق وكلام ليّن.
- **وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول:** من لم ير أنّ كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه هلك وهو لا يشعر.
- **وقال الأحنف بن قيس رحمه الله:** أولا أخبركم بأدوإ الدّاء: اللّسان البذيء، والخلق الدّنيء.
- **وقال أنس بن مالك رضي الله عنه:** إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم وهو عابد.
- **وقال يحي بن معاذ رحمه الله:** حسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات، وسوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات.
- **وقال الفضيل بن عياض رحمه الله:**لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إليّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق.
- **وقال عبد الواحد بن زيد رحمه الله:** جالسوا أهل الدين فإن لم تجدوهم فجالسوا أهل المروءات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم.
- **وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى:** إجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة. قال: ترك الغضب.

دعوة أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه

وعن أم الدرداء، قالت: بات أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه الليلة يصلي فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي حتى أصبح فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق قال: يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حسن خلقه الجنة ويسوء خلقه حتى يدخله سوء خلقه النار.

من خدعنا في الله انخدعنا له

كان ابن عمر رضي الله عنه إذا رأى أحداً من عبيده يُحسن صلاته يُعتقه، فعرفوا ذلك من خلقه، فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له، فكان يعتقهم، فقيل له في ذلك، فقال : من خدعنا في الله انخدعنا له .

أخلاق علي بن أبي طالب

رُوي أن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه دعا غلاماً له ، فلم يُجبه ، فدعاه ثانياً وثالثاً فرآه مضطجعاً ، فقال : أما تسمع يا غلام ؟ قال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابي ؟ قال : أمنت عقوبتك ، فتكاسلت ، فقال : اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى .

وصية سعيدَ بن العاص

لما حضرتْ سعيدَ بن العاص الوفاةُ قال: يا بَنِيَّ، لا تفقدوا إخواني مني عندكم عين وجهي، أَجْرُوا عليهم ما كنتُ أُجْرِي، واصنعوا بهم ما كنت أصنع، ولا تُلْجِئُوهم للطلب؛ فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فرائصه، وَكَلَّ لسانه، وبدا الكلام في وجهه، اكفوهم مئونة الطلب بالعطية قبل المسألة؛ فإني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل

عـلى فراشـه ذاكـرًا موضعًـا لحاجتـه فعـدا بهـا عليكـم لا أرى قـضى حاجتـه عوضًـا مـن بـذل وجهـه، فبادروهـم بقضـاء حوائجهـم قبـل أن يسـبقوكم إليهـا بالمسـألة.

شقاء سيّءُ الخُلُق

وعـن أبي حـازم رحمـه اللـه قـال: الـسيّءُ الخُلُـق أشـقى النـاس بـه نفسُـهُ التـي بـين جنبيـه، هـي منـه في بـلاء، ثـم زوجتـه، ثـم ولـده، حتـى إنـه ليدخُـلُ بيتـه، وإنهـم لفـي سرور، فيسـمعون صوتـه فينفـرون عنـه، فرقًـا منـه، وحتـى إن دابتـه تحيـد مـما يرميهـا بالحجـارة، وإن كلبـه لَـيَراه فينـزو عـلى الجـدار، حتـى إن قِطَّـه ليفـرّ منـه.

سقاة الماء ببغداد

قـال عبيـد اللـه بـن محمـدٍ التيمـي: سـمعت ذا النُّـون يقـول بمـصر: مـن أراد أن يتعلَّـم المـروءة والظـرف، فعليـه بسـقاة المـاء ببغـداد.

قيـل لـه: وكيـف ذلـك؟ قـال: لمَّـا حُمِلْـتُ إلى بغـداد رُمـي بي عـلى بـاب السـلطان مقيَّـدًا، فمـرَّ بي رجـلٌ متَّـزرٌ بمنديـل مـصري، معتـمٌّ بمنديـل دَبِيقِـيٍّ، بيـده كيـزان خـزفٍ رقـاقٍ وزجـاج مخـروط، فسـألت: هـذا سـاقي السـلطان؟ فقيـل لي: لا، هـذا سـاقي العامـة. فأومـأت إليـه: اسـقني. فتقـدَّم وسـقاني، فشـممت مـن الكـوز رائحـة المسـك، فقلـت لمـن معـي: ادفـع إليـه دينـارًا. فأعطـاه الدينـار، فـأبى وقـال: لسـت آخـذ شـيئًا. فقلـت لـه: ولم؟ فقـال: أنـت أسـيرٌ، وليـس مـن المـروءة أن آخـذ منـك شـيئًا. فقلـت: كَمُـلَ الظـرف في هـذا.

مقولة الأحنف

وقـال الأحنـف: ثـلاث فيّ مـا أذكرهـن إلا لمعتـبر: مـا أتيـت بـاب سـلطان إلا

أن أُدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير. وقال أيضاً: ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمور: إن كان فوقي عرفتُ له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

الإمام أحمد

وعن ابن المنادي قال: كان الإمام أحمد من أحيى الناس وأكرمهم، وأحسنهم عشرة وأدباً، كثير الإطراق، لا يسمع منه الا المذاكرة للحديث، وذكر الصالحين في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه انسان بشّ به، وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ شديداً، وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يعمل بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل، وكان يحيى يكبره بسبع سنين.

حسن الخلق مع الجميع

وعن أبي سنان قال: قلت لسعيد بن جبير: المجوسي يوليني من نفسه ويسلم علي أفارد عليه؟ فقال سعيد: سألت ابن عباس - رضي الله عنهما - عن نحوٍ من ذلك؟ فقال: لو قال لي فرعون خيرًا: لرددت عليه.

وصية لقمان لابنه

وقال لقمان -عليه السلام -لابنه: يا بُنَيَّ! لِتكُن كَلمتكَ طيبةً، ووجهك منبسطًا، تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.

ما هذه الأخلاق؟!

وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح رحمه الله

فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه أني لا أحسن منه شيئًا.

الأستاذ كافور والقاضي أبي الطاهر

وقال الوزيرُ أبو الفرج يعقوبُ بنُ يوسف رحمه الله: قال لي الأستاذ كافور: اجتمع بالقاضي أبي الطاهر، فسلِّم عليه وقل له: إنه بلغني أنَّك تنبسط مع جلسائِك، وهذا الانبساطُ يُقِلُّ هَيْبَةَ الحكم، فأعلمتُه بذلك، فقال رحمه الله: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أفيضُ به على جلسائي، فلا أقلَّ من خُلقي، فأخبرتُ الأستاذ، فقال: لا تعاوِدْهُ.

انتظروه رحمكم الله

وعن أبي عبيدة، أنه قال: كان المهدي رحمه الله يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يومًا، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين، لست على طهر وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له: قد جاء الرجل، فكبّر فتعجب الناس من سماحة أخلاقه.

خلق الأحنف

وقال الأحنف: ثلاث فيّ ما أذكرهن إلا لمعتبر: ما أتيت باب سلطان إلا أن أُدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير. وقال أيضاً: ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمور: إن كان فوقي عرفتُ له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

وذكـر علـماء التراجـم في ترجمـة الإمـام الأحنـف بـن قيـس أنـه كان إذا أتـاه رجـل وسـع لـه في المجلـس، فـإن لم يكـن هنـاك سـعة أراه كأنـه يوسـع لـه.

صور من حسن خلق المأمون

وعـن يحيـى بـن أكثـم رحمـه اللـه أنـه قـال: مـا رأيـت أكـرم مـن المأمـون، بـتّ عنـده ليلـة فعطـش، فكـره أن يصيـح بالغلـمان، فرأيتـه قـد قـام قليـلاً قليـلاً إلى الـبرادة وبينـه وبينهـا بعـد، فـشرب ورجـع.

قـال يحيـى بـن أكثـم: ثـم بـت عنـده ونحـن بالشـام، فأخـذ المأمـون سـعال، فرأيتـه يسـدّ فـاه بكـم قميصـه حتـى لا أنتبـه. ثـم حملنـي آخـر الليـل النـوم، فـكان لـه وقـت يسـتاك فيـه، فكـره أن ينبهنـي، فلـما ضـاق الوقـت عليـه تحركـت. فقـال: اللـه أكـبر يـا غلـمان، نعـل أبي محمـد.

قـال يحيـى: وكنـت أمـشي معـه يومًـا في ميـدان البسـتان والشـمس عـليّ وهـو في الظـل، فلـما رجعنـا قـال لي: كـن الآن في الظـل. فأبيـت عليـه، فقـال: أول العـدل أن يعـدل الملـك في بطانتـه ثـم الذيـن يلونهـم حتـى يبلـغ الطبقـة السـفلى.

وقـال عبـد اللـه بـن طاهـر: كنـا عنـد المأمـون يومـا فنـادي بالخـادم: يـا غـلام، فلـم يجبـه أحـد، تـم نـادي ثانيـا وصـاح: يـا غـلام، فدخـل غـلام تـركي وهـو يقـول: مـا ينبغـي للغـلام أن يـأكل ولا يـشرب، كلـما خرجنـا مـن عنـدك تصيـح: يـا غـلام يـا غـلام، إلى كـم يـا غـلام؟! فنكـس المأمـون رأسـه طويـلا، فـما شـككت أنـه يأمـرني بـضرب عنقـه، ثـم نظـر إلي فقـال: يـا عبـد اللـه

إن الرجـل إذا حسُـنت أخلاقـه سـاءت أخـلاق خدمـه، وإذا سـاءت أخلاقـه حسـنت أخـلاق خدمـه، وإنـا لا نسـتطيع أن نـسيء أخلاقنـا لنحسـن أخـلاق خدمنـا.

سيد القوم خادمهم

وعـن يحيـى بـن أكثـم رحمـه اللـه أنـه قـال: بـت ليلـة عنـد المأمـون رحمه اللـه فعطشـت في جـوف الليـل، فقمـت لأشرب مـاء، فـرآني المأمـون فقـال: مـا لـك لم تنـم يـا يحيـى؟ قلـت: يـا أمـير المؤمنـين، أنـا واللـه عطشـان. فقـال: ارجـع إلى موضعـك. فقـام واللـه إلى الـبرادة فجـاءني بكـوز، فقـام عـلى رأسي فقـال: اشرب يـا يحيـى. فقلـت: يـا أمـير المؤمنـين، فهـلا وصيـف أو وصيفـة! فقـال: إنهـم نيـام. قلـت: فأنـا كنـت أقـوم أشرب! فقـال لي: لـؤم بالرجـل أن يسـتخدم ضيفـه. ثـم قـال: يـا يحيـى، قلـت: لبيـك يـا أمـير المؤمنـين. قـال: ألا أحدثـك. قلـت: بـلى يـا أمـير المؤمنـين. فقـال: حدثنـي الرشـيد قـال: حدثنـي المهـدي قـال: حدثنـي المنصـور عـن أبيـه عـن ابـن عبـاس قـال: حدثنـي جريـر بـن عبداللـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم يقـول: سـيد القـوم خادمهـم.

مروءة الأشرف موسى بن العادل رحمه الله

وقـال ابـن كثـير رحمـه اللـه: حـكى السِّـبط عـن الأشرف مـوسى بـن العـادل رحمـه اللـه قـال: كنـت يومًـا بهـذه المنظـرة مـن خـلاط إذ دخـل الخـادم، فقـال: بالبـاب امـرأة تسـتأذن. فدخلـت فـإذا صـورة لم أر أحسـن منهـا، وإذا هـي ابنـة الملـك الـذي كان بخـلاط قبـلي، فذَكـرَت أن الحاجـب عليًـا قـد اسـتحوذ عـلى قريـة لهـا، وأنهـا قـد احتاجـت إلى بيـوت الكِـراء، وأنهـا إنمـا تتقـوت مـن عمـل النقـوش للنسـاء، فأمـرْتُ بـردّ ضيعتهـا إليهـا، وأمـرت لهـا

بـدار تسـكنها، وقـد كنـت قمـت لهـا حـين دخلـت، وأجلسـتها بـين يـدي، وأمرتهـا بسـتر وجههـا حـين أسـفرت عنـه، ومعهـا عجـوزٌ، فحـين قضيْـت شـغلها قلـت لهـا: انهـضي عـلى اسـم اللـه تعـالى. فقالـت العجـوز: ياخونـد، إنما جـاءت لتحظى بخدمتك هـذه الليلـة. فقلـت: معـاذ اللـه، لا يكـون هذا. واسـتحضرت في ذهنـي ابنتـي ربمـا يصيبهـا نظـير مـا أصـاب هـذه، فقامـت وهـي تقـول: سـترك اللـه مثـل مـا سـترتني. وقلـت لهـا: مهـما كان لـك مـن حاجـة فانهيهـا إلي أقضِهـا لـك. فدعـت لي وانصرفـت. فقالـت لي نفسي: ففـي الحـلال مندوحـة عـن الحـرام، فتزوَّجْهـا. فقلـت: واللـه لا كان هـذا أبـدًا، أيـن الحيـاء والكـرم والمـروءة؟!

ولمـا تـوفي رحمـه اللـه رآه بعـض النـاس وعليـه ثيـاب خـضر وهـو يطـير مـع جماعـة مـن الصالحـين، فقـال لـه: مـا هـذا وقـد كنـت تعـاني الـشراب في الدنيـا، فقـال: ذاك البـدن الـذي كنـا نفعـل بـه ذاك عندكـم، وهـذه الـروح التـي كنـا نحـب بهـا هـؤلاء فهـي معهـم، ولقـد صـدق رحمـه اللـه؛ قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: المـرء مـع مـن أحـب.

هارون الرشيد رحمه الله والزاهد

وعـن منصـور بـن عـمار قـال: دخـل رجـلٌ مـن الزهـاد على هـارون الرشـيد رحمـه اللـه يومًـا، فقـال: يـا هـارون، اتـق اللـه، فأخـذه فخـلا بـه، وقـال: يـا هـذا أنصفنـي، أنـا شرٌ أم فرعـون؟ قـال: بـل فرعـون، قـال: فأنـت خـير أم مـوسى؟ قـال: بـل مـوسى، قـال: أفـما تعلـم أن اللـه تعـالى لما بعثـه وأخـاه إليـه قـال: ﴿فَقُـولا لَـهُ قَـوْلاً لَّيِّنًـا﴾ [طـه: 44] وقـد جبهتنـي بأغلـظ الألفـاظ، فـلا بـأدب اللـه تأدبـت، ولا بأخـلاق الصالحـين أخـذت. قـال: أخطـأت وأنا أسـتغفر اللـه، فقـال: غفـر اللـه لـك، وأمـر لـه بعشريـن ألـف درهـم، فـأبى أن يأخذهـا. فهـذه الأخـلاق الطيبـة.

دعوة الرجل الصالح

ويروى أن أبا إسحاق الحربي لما دخل على إسماعيل القاضي بادر إليه محمد بن يوسف إلى نعله، فأخذها فمسحها من الغبار، فدعا له، وقال: أعزك الله في الدنيا والآخرة، فلما توفي محمد بن يوسف رؤي في النوم ، فقيل له: ما فعل الله بك؟، قال: أعزني في الدنيا والآخرة بدعوة الرجل الصالح.

أدب الأوزاعي

قال ابن الوليد لولده العباس: سبحانك تفعل ما تشاء!! كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه، تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمكَ يا رب فيه أن بلغته حيث رأيته، يا بنيّ عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها، وأدب الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكا قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول في نفسي: أترى في المجلس قلب لم يبك؟.

أخبار أخرى عن حسن خلق السلف و أدبهم

وعن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي رحمه الله قال: إنه ليعجبني من القراء كلُّ سهل طَلِق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس، كأنه يمنُّ عليك، فلا أكثر الله في القراء مثله.

وقال قَبِيْصة: كان سُفيان الثوري رحمه الله مَزَّاحًا، كنت أتأخر خلفه، مخافةَ أن يحيِّرني بمُزاحه.

وعـن أبي سـعيد السـكري قـال: احتجـم داود الطـائي رحمـه اللـه، فدفـع دينـارًا إلى الحجـام فقيـل لـه: هـذا إسراف، فقـال: لا عبـادة لمـن لا مـروءة لـه.

وقـال سـفيان بـن عيينـة رحمـه اللـه: قيـل للقـمان -عليـه السـلام -: أي النـاس شر؟ قـال: الـذي لا يبـالي أن يـراه النـاس مسـيئًا.

وقـال الذهبـي: كان يجتمـعُ في مجلـس أحمـد بـن حنبـل رحمـه اللـه زُهـاء خمسـة آلاف أو يزيـدون. نحـو خمـس مئـة يكتبـون، والباقـون يتعلَّمـون منـه حُسْـنَ الأدب والسَّـمْت.

وقـال ابـن المُقَفَّـع رحمـه اللـه: إذا أكرمـك النـاس لمـالٍ أو سُـلْطانٍ فـلا يُعْجِبَنَّـك ذلـك، فـإنّ زوال الكرامـة بزوالهـما، ولكـنْ ليُعْجِبـك إن أكرمـوك لِدِيـن أو أدب.

عـن إبراهيـم بـن حبيـب الشـهيد قـال: قـال لي أبي: يـا بُنـي، اذهـب إلى الفقهـاء والعلـماء، وتعلـم منهـم، وخـذ مـن أدبهـم وأخلاقهـم وهديهـم؛ فـإن ذاك أحـب إلي لـك مـن كثـير مـن الحديـث.

قـال أبـو مصعـب: كان الإمـام مالـك لا يحـدّث إلا وهـو عـلى طهـارة، إجـلالاً للحديـث عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم.

عـن عطـاء بـن أبي ربـاح قـال: إن الرجـل ليحدثنـي بالحديـث، فأنصـت لـه كأني لم أسـمع هـذا الحديـث مـن قبـل، وقـد سـمعته قبـل أن يولـد.

عـن إبراهيـم بـن حبيـب الشـهيد قـال: قـال لي أبي: يـا بُنـي، اذهـب إلى

الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم؛ فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث.

وقال أيوب بن المتوكل: كان إمام النحو الخليل إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه.

قال الامام على بن ابى طالب رضي الله عنه:

ان المكارم، أخلاق مطهرة الدين: اولها و العقل ثانيها والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها والنفس تعلم انى لااصدقها ولست ارشد الاحين اعصيها والعين تعلم من عينى محدثها ان كان من حزبها او كان من معاديها عيناك قد دلتا عينى منك على اشياء لولاهما ما كنت تبديها.

الباب الثّاني

محاسبة النّفس

- **قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:** زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18].
- **قال أيوب السختياني رحمه الله** : إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل.
- **قال الحسن البصري رحمه الله** : صاحبت أقواماً فكنت بجنبهم كاللّص.
- **قال حذيفة المرعشي** : ما في الأرض نفس أبغض إليّ من نفسي، فكيف أُعطيها شهوتها.
- **وقال أبو حفص الحداد:** من لم يتّهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرّها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغروراً، ومن نظر إليها باستحسان فقد أهلكها، وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه؟ والكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام يقول: ﴿وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ (يوسف:53).
- **قال الامام الشافعي رحمه الله:**

أحبّ الصّالحين ولست منهم ... لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ... وإن كنّا سواءً في البضاعة

لا تكفِّر عن يمينك

قال حذيفة : لو جاءني رجل فقال لي : والله الذي لا إله إلا هو يا حذيفة ما عَمَلُكَ عَمَلُ من يؤمن بيوم الحساب، لقلت له : يا هذا لا تكفِّر عن يمينك فإنك لا تحنث.

عبد الرحمن بن هرمز الأعرج

كان عبد الرحمن بن هرمز الأعرج كثيراً ما يعاتب نفسه ويوبخها ويقول لها : إن المنادي ينادي يوم القيامة : يا أهل خطيئة كذا قوموا ، فتقوم يا أعرج معهم ، ثم ينادي : يا أهل خطيئة كذا قوموا ، فتقوم يا أعرج معهم ، ثم ينادي يا أهل خطيئة كذا قوموا ، فتقوم يا أعرج معهم ، فأراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة.

الفضيل بن عياض يحاسب نفسه

قال الفضيل بن عياض عن نفسه : كيف ترى حال من كثرت ذنوبه، وضعف عمله ، وفنى عمره ، ولم يتزود لمعاده ، ولم يتأهب للموت ، ولم يتزين للموت ، وتزيّن للدنيا ، هيه ، وقعد يحدّث - يعني نفسه - واجتمعوا حولك يكتبون عنك ، بخ فقد تفرغّت للحديث.

ثم قال : هاه وتنفس طويلاً ويحك أنت تحسن تحدّث؟؟ أو أنت أهلٌ أن يحمل عنك ؟ استحي يا أحمق بين الحمقان ! لولا قلة حيائك وصفاقة وجهك ما جلست تحدث وأنت أنت، أما تعرف نفسك ؟ أما تذكر ما كنت ؟ وكيف كنت ؟ أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك، ولا سمعوا منك شيئاً أبدا.

الحسن البصري

وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى كثيراً ما يعاتب نفسه ويوبخها بقوله: تتكلمين بكلام الصالحين القانتين العابدين، وتفعلين فعل الفاسقين المرائين، والله ما هذه صفات المخلصين.

ريح الذنوب

وكان محمد بن واسع يقول: لو كان يوجد للذنوب ريح، ما قدرتم أن تدنوا مني من نتن ريحي. وكان يقول: إنما هو عفو الله أو النّار.

هذا أمري يا أخي

وعن جعفر بن برقان قال : بلغني عن يونس بن عبيد فضلٌ وصلاح ، فكتبت إليه : يا أخي ، اكتب لي بما أنت عليه ، فكتب إليه: أتاني كتابك تسألني أنا أكتب إليك بما أنا عليه ، وأخبرك أني عرضتُ على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها وتكره لهم ما تكره لها ؛ فإذا هي من ذاك ببعيد ، ثم عرضتُ عليها مرةً أخرى ترك ذكرهم إلا من خير ؛ فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم . هذا أمري يا أخي و السلام.

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

وعن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يومًا وخرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته وهو يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك.

الحسن البصري ومحاسبة النّفس

وقال الحسن البصري: المؤمن قوّام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خفّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

وفي قوله الله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ (القيامة:2) قال الحسن البصري: لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضى قدماً، لا يعاتب نفسه.

ابن السماك رحمه الله

وعن محمد بن بكار قال: بعث هارون الرشيد إلى ابن السماك رحمه الله، فدخل وعنده يحيى بن خالد البرمكي فقال يحيى: إن أمير المؤمنين أرسل إليك، لما بلغه من صلاح حالك في نفسك، وكثرة ذكرك لربك عزَّ وجلَّ . ودعائك للعامة، فقال ابن السماك: أما ما بلغ أمير المؤمنين من صلاحنا في أنفسنا، فذلك بستر الله علينا، فلو اطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة، ولا جرى لسان لنا بمدحة، وإني لأخاف أن أكون بالستر مغرورًا، وبمدح الناس مفتونًا، وإني لأخاف أن أهلك بهما، وبقلة الشكر عليهما، فدعا بدواة وقرطاس فكتبه إلى الرشيد.

ركضة إلى الفردوس

وكان توبة بن الصمة محاسباً لنفسه، فحاسبها يوماً فرأى أن عمره قد بلغ ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ، وقال: يا ويلت! ألقى الله بواحد وعشرين

ألـف ذنـب! فكيـف وفي كل يـوم عـشرة آلاف ذنـب؟، ثـم خـرّ مغشـياً عليـه، فحرّكـوه فـإذا هـو ميـت، فسـمعوا قائـلاً يقـول: يـا لهـا مـن ركضـة إلى الفـردوس الأعـلى.

مالك بن دينارومحاسبة النفس

وقـال مالـك بـن دينـار: رحـم اللـه امـرأ قـال لنفسـه: ألسـت صاحبـة كـذا؟ ألسـت صاحبـة كـذا؟ ثـم ذمّهـا ثـم خطمهـا[1] ثـم ألزمهـا كتـاب اللـه، فـكان لـه قائـدًا. وكان رحمـه اللـه يجاهـد نفسـه أشـد المجاهـدة، ثـم يقـول لنفسـه: إني واللـه مـا أريـد بـك إلا الخـير.

اللّسان

عـن زيـد بـن أسـلم، عـن أبيـه أن عمـر رأى أبـا بكـر رضي اللـه تعـالى عنـه وهـو مـدل لسـانه آخـذه بيـده فقـال: مـا تصنـع يـا خليفـة رسـول اللـه؟ فقـال: وهـل أوردني المـوارد إلا هـذا.

بكربن عبد الله المزني رحمه الله

وقـال بكـر بـن عبـد اللـه المـزني رحمـه اللـه: إذا رأيـت مـن هـو أكـبر منـك، فقـل: هـذا سـبقني بالإيمـان، والعمـل الصالـح، فهـو خـير منـي، وإذا رأيـت مـن هـو أصغـر منـك فقـل: سـبقتُه إلى الذنـوب والمعـاصي، فهـو خـير منـي، وإذا رأيـت إخوانـك يكرمونـك ويعظّمونـك فقـل: هـذا فضـلٌ أُخِـذوا بـه، وإذا رأيـت منهـم تقصـيرًا، فقـل: هـذا ذنْـب أحدثتُـه.

(1) والخطام هو ما تُقاد به الإبل.

أيَّ شيء تريدين؟

وقال إبراهيم التيمي رحمه الله: مثّلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثّلتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أيَّ شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أُرَدّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي.

الأحنف بن قيس رحمه الله

وعن علي بن عبيد الله الطوسي قال: قال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان: لِمَ بلغ فيكم الأحنف بن قيس رحمه الله ما بلغ؟ قال: إن شئت حدَّثتك ألفًا، وإن شئت حذفت لك الحديث حذفًا، قال: احذفه حذفًا، قال: إن شئت ثلاثًا، وإن شئت فاثنتين، وإن شئت فواحدة، قال: ما الثلاث؟ قال: أما الثلاث فإنه كان لا يشره، ولا يحسد، ولا يمنع حقًا. قال: فما الثنتان؟ قال: كان موفقًا للخير معصومًا عن الشر. قال: فما الواحدة؟ قال: كان أشد الناس على نفسه سلطانًا.

تَدري من أنت؟

وقال محمد بن عبد الله الزرّاد: رأى محمد بن واسع رحمه الله ابنًا له وهو يخطر بيده، فقال: ويحك تعالَ، تَدري من أنت؟ أمُّك اشتريتها بمائتيْ درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مِثْلَه. تمشي هذه المشية؟

علّة ثلاثين سنة

وقال السري السقطي رحمه الله: خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عرفت بنا، لا نكاد أن

نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلفت عن وقتك. فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه.

يا شيخ النار

ومر بعضهم على صبيان يلعبون بجَوْز، فوطئ على بعض الجوز بغير اختياره فكسره، فقال له الصبي: يا شيخ النار، فجلس الشيخ يبكي، ويقول: ما عرفني غيره.

زِد وكيعًا بذَنْبه

وقال أحمد بن محمد: أخبرني بعض أصحابنا قال: أغلظ رجل لوكيع بن الجرّاح رحمه الله، فدخل وكيع بيتًا فعفّر وجهه في التراب، ثم خرج إلى الرجل، فقال: زِد وكيعًا بذَنْبه، فلولاه ما سُلّطت عليه.

الباب الثّالث

حفظ اللّسان

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** : ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ من أكل الحرام والظلم والسرقة وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ، حتى ترى ذلك الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة ، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً ، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد ما بين المشرق والمغرب ، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ، ولا يبالي ما يقول.

- **قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:** من علم أن كلامه من عَمَلِهِ، قل كلامه إلا فيما يعنيه.

- **وقال لقمان لولده :** يا بني إذا افتخرت الناس بحسن كلامهم ، فافتخر أنت بحسن صمتك ، يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح : كيف أنتن ؟ ، فيقلن بخير إن تركتنا.

- **قال الحسن رحمه الله:** اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئا جنت، وإذا عفا عفت.

- **وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله:**

تعاهد لسانك إن اللسان سريعٌ إلى المـــــرء في قتله

وهذا اللسان بريد الفؤاد يَدلّ الرجـــــال على عقله

لا يسلم من لسان الناس أحد

روى الربيع بن صبيح أن رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد إني أرى أمراً أكرهه ، قال : وما ذاك يا ابن أخي ، قال : أرى أقواماً يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقط كلامك ثم يحكونك ويعيبونك ، فقال : يا ابن أخي : لا يكبرن هذا عليك ، أخبرك بما هو أعجب ، قال : وما ذاك يا عم ؟ قال : أطعت نفسي في جوار الرحمن وملوك الجنان والنجاة من النيران ، ومرافقة الأنبياء ولم أطع نفسي في السمعة من الناس ، إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم ، فإذا لم يسلم من خلقهُم فالمخلوق أجدر ألا يسلم .

عمر بن عبد العزيز و النّمام

روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا ،فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا﴾ إن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هماز مشاءٍ بنميم ﴾ وإن شئت عفونا عنك ؟ فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدا.

موقوف على كلمة

رُؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسُئل عن حاله ، فقال : أنا موقوف على كلمة قُلتُها ،قُلتُ: ما أحوج الناس إلى غيث ، فقيل لي : وما يدريك ؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

خرجت والله من معدن

وعن عبد الله بن صالح العجلي قال: كان رجل من ولد عبد الله بن

مسعود رحمه الله يجلس في مجلس ابن السماك، فكان يطيل السكوت، فقال له ابن السماك ذات يوم: يا فتى ألا تخوض فيما يخوض فيه القوم من الحديث؟ فقال: إنما قعدت لأسمع، وأنصت لأفهم، وما كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم، فقال: خرجت والله من معدن.

وهل تكلّمتَ!.

وتكلّم رجل عند معاوية رضي الله تعالى عنه فَهَذَرَ[1]، فلماّ أطال قال: أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: وهل تكلّمتَ!.

الربيع بن خثيم

قال أحد السلف: صحبنا الربيع بن خثيم عشرين سنة، فما تكلم إلا بكلمة تعليه عند الله. وعن رجل من بني تميم قال: جالست الربيع عشر سنين، فما سمعته يسأل عن شيء من أمور الدنيا، إلا مرتين: قال مرة: والدتك حيّة؟ وقال في الثانية: كم لك مسجدا؟. وقال آخر: صحبت الربيع عشرين عاماً، ما سمعت منه كلمة تُعاب.

عطاء بن أبي رباح

عن محمد بن سوقة قال: أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم؛ فإنه قد نفعني، قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بني أخي، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضوله :ما عدا كتاب الله عز وجل أن تقرأه، وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها. أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين؟

(1) هذر الرّجل في منطقه: أي تكلم بما لا ينبغي. و يُقال هذر كلامه: أي كثر فيه الخطأ و الباطل.

عـن اليمـين وعـن الشـمال قعيـد؟ مـا يلفـظ مـن قـول إلا لديـه رقيـب عتيـد؟ أمـا يسـتحي أحدكـم أن لـو نـشرت عليـه صحيفتـه يـوم القيامـة، ليـس فيهـا مـن أمـر دينـه ولا دنيـاه شيء؟.

ابن السماك

قـال ابـن السـماك: سـبعُك - أي: أسـدك- بـين لحيْيْـك، تـأكل بـه كل مـن مـر عليـك، قـد آذيـت أهـل الـدور في الـدور، حتـى تعاطيـت أهـل القبـور، فـما تـرثي لهـم وقـد جـرى البـلى عليهـم، وأنـت هاهنـا تنبشـهم، إنمـا نـرى أن نبشـهم أخـذ الخـرق عنهـم، إنـك إن ذكـرت مسـاويهم فقـد نبشـتهم، إنـه ينبغـي لـك أن يدلـك عـلى تـرك القـول في أخيـك ثـلاث خـلال: أمـا واحـدة: فلعلـك أن تذكـره بأمـر هـو فيـك، فـما ظنـك بربـك إذا ذكـرت أخـاك بأمـر هو فيـك؟ ولعلـك تذكـره بأمـر قـد ابتُليـت بأعظـم منـه، فذلـك أشـد اسـتحكاماً لمقتـه إيـاك، ولعلـك تذكـره بأمـر قـد عافـاك اللـه منـه، أفهـذا جـزاؤه إذ عافـاك. أمـا سـمعت: ارحـم أخـاك واحمـد الـذي عافـاك؟.

شداد بن أوس

وقـال شـداد بـن أوس رضي اللـه تعـالى عنـه لغلامـه: إيتينـا بسـفرتنا فنعبـث ببعـض مـا فيهـا، فقـال لـه رجـل مـن أصحابـه: مـا سـمعت منـك كلمـة منـذ صاحبتـك أرى أن يكـون فيهـا شيء مـن هـذه؟ قـال: صدقـت مـا تكلمـت بكلمـة مـذ بايعـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم إلا أزِمُّهـا وأخطمهـا إلا هـذه، وأيـم اللـه لا تذهـب منـي هكـذا، فجعـل يسـبح ويكـبر ويحمـد اللـه عـزَّ وجـلَّ .

حاتم الأصم رحمه الله

وعـن سـعدون الـرازي أنـه قـال: كنـت مـع حاتـم الأصـم رحمـه اللـه وكان يتكلـم، فقـلّ كلامـه فقيـل لـه: قـد كنـت تتكلـم فينتفـع بـك النـاس؟ قـال: إني لا أحـب أن أتكلـم بكلمـة قبـل أن أسـتعد جوابهـا للـه، فـإذا قـال اللـه تعـالى لي يـوم القيامـة: لم قلـت كـذا؟ قلـت: يـا رب لكـذا.

لا تلعن

وكان أبـو الـدرداء رضي اللـه تعـالى عنـه مضطجعـاً بـين أصحابـه، وقـد غطـى وجهـه، فمـر عليـه قِسٌّ سـمين، فقالـوا: اللّهـم العنـه، مـا أغلـظ رقبتـه! فقـال أبـو الـدرداء رضي اللـه تعـالى عنـه: مـن ذا الـذي لعنتـم آنفـا؟ فأخـبروه، فقـال: لا تلعنـوا أحـداً، فإنـه مـا ينبغـي للّعـان أن يكـون عنـد اللـه صدِّيقـاً يـوم القيامـة.

الغيبة

وعـن خالـد الربعـي، قـال: دخلـت المسـجد فجلسـت إلى قـوم فذكـروا رجـلا فنهيتهـم عنـه فكفـوا، ثـم جـرى بهـم الحديـث حتـى عـادوا في ذكـره فدخلـت معهـم في شيء مـن أمـره فلـما كان مـن اللّيـل رأيـت في المنـام كأن شـيئا أسـود يشـبه الرجـل إلا أنـه طويـل جـدا معـه طبـق خـلاف أبيـض عليـه لحـم خنزيـر، فقـال: كل، قلـت: آكل لحـم خنزيـر واللـه لا آكلـه، فأخـذ بقفـاي وقـال: كل، وانتهـرني انتهـارةً شـديدة، ودسـه في فمـي، فجعلـت ألوكـه ولا أسـيغه وأفـرق أن ألقيـه، واسـتيقظت، قـال: فمحلوفـه لقـد مكثـت ثلاثـين يومـا وثلاثـين ليلـة مـا آكل طعامـا إلا وجـدت طعـم ذلـك اللّحـم في فمـي.

إياس بن معاويةَ رحمه الله والمغتاب

وقال سفيانُ بن حسين: ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عند إياس بن معاويةَ رحمه الله، فنظر في وجهي وقال: أغزوْتَ الرومَ؟ قلتُ: لا. قال: فالسِّنْدَ والهندَ والترك؟ قلتُ: لا. قال: أفسلِمَ منك الرومُ والسِّنْدُ والهندُ والتركُ، ولم يسْلَمْ منك أخوك المسلمُ؟! قال: فلم أعُدْ بعدَها إلى الغيبة.

ترك الغيبة

وقال رجاء بن أبي سلمة: كان بين عبادة بن نسي رحمه الله وبين رجل خصومة، فأسمعه الرجل ما يكرهه، قال: فلقيه رجاء بن حيوة فقال: بلغني أنه كان منه إليك، قال له عبادة: لولا أن تكون غيبة مني لأخبرتك بالذي قال لي.

عقوبة ذو اللسانين

عن مالك بن أسماء بن خارجة، قال: كنت مع أبي أسماء رحمه الله، إذ جاء رجل إلى أمير من الأمراء، فأثنى عليه وأطراه، ثم جاء إلى أبي أسماء فجلس إليه في جانب الدار، فجرى حديثهما، فما برح حتى وقع فيه، فقال أسماء: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، يقول: إن ذا اللّسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار.

ومن أقوال السلف أيضا في وجوب حفظ اللّسان

وعن أبي بكر بن عياش قال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى به عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بلية.

قال سلمة بن علقمة: جالستُ يونس بن عبيد، فما استطعت أن آخذ عليه كلمة تعاب عليه.

قال مورق العجلي: تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئا قط إذا غضبت أندم عليه إذا زال غضبي.

كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء وعليكم بذكر الله فإنه رحمة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

قال إبراهيم الحربي: ما أخرجتْ بغداد أتمّ عقلاً من بشر الحافي، ولا أحفظ للسانه منه، ما عُرِف له غيبة لمسلم.

الباب الرّابع

قول الصّدق و ذمّ الكذب

- **قال لقمان عليه السلام لابنه:** يا بني من ساء خلقه عذب نفسه، ومن كذب ذهب جماله.
- **عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:** أيها الناس إياكم والكذب فإنه مجانبُ الإيمان.
- **وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** أحبكم إلينا ما لم نركم: أحسنكم اسماً، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا: أحسنكم خلقاً، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة.
- **وقال عمر رضي الله عنه:** لأن يضعني الصّدق و قلّما يضع، خير من أن يرفعني الكذب و قلّما يفعل.
- **وقال يونس بن عبيد رحمه الله:** كل خَلَّةٍ يُرجى تركها يوماً ما إلا صاحب الكذب.
- **قال الكريزي:**

كذبت ومن يكذبْ فإنَّ جزاءه إذا ما أتَى بالصِّدق أن لا يُصدَّقا

إذا عُرِف الكذَّابُ بالكذب لم يزل لدى الناس كذَّابًا وإن كان صادقا

ومن آفة الكذَّاب نسيان كذبه وتلقاه ذا فقهٍ إذا كان حاذقا

• **وقال آخر:**

وإذا الأمور تزاوجـــــت فالصدق أكرمها نتاجـــا

الصدق يعقد فـوق رأس حليفه بالصـــدق تاجـا

والصدق يقدح زَنـــــده فـــي كلِّ ناحية سِراجـا

أبو ذر رضي الله عنه صادق اللهجة

كان أبـو ذر رضي اللـه عنـه صـادق اللهجـة، فقـد قـال عنـه النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: مـا أظلـت الخـضراء ولا أقلت الغـبراء - لا الأرض ولا السـماء- مـن ذي لهجـة أصـدق مـن أبي ذر، وهـو شـبيه عيـسى ابـن مريـم.

عبد الله بن جحش رضي الله عنه

عـن إسـحاق بـن سـعد بـن أبي وقـاص قـال: حدثنـي أبي أنَّ عبـد اللـه بـن جحـش قـال يـوم أحـد: ألا نـأتي ندعـو اللـه، فخلـوا في ناحيـة فدعـا سـعد قـال: يـا رب، إذا لقينـا القـوم غـدًا فلقنـي رجلًا شـديدًا بأسـه، شـديدًا حـرده، فأقاتله فيـك ويقاتلنـي، ثـم ارزقنـي عليـه الظفـر حتـى أقتلـه وآخـذ سَـلَبه، فأمَّـن عبد اللـه ابـن جحـش، ثـم قـال: اللّهـم ارزقنـي غـدًا رجـلًا شـديدًا حـرده، شـديدًا بأسـه، أقاتلـه فيـك ويقاتلنـي، ثـم يأخـذني فيجـدع أنفـي وأذني، فـإذا لقيتـك غـدًا قلـت: يـا عبـد اللـه، فيـمَ جُـدع أنفـك وأذنـك؟! فأقـول: فيـك وفي رسـولك صـلى اللـه عليـه وسـلم، فتقـول: صدقـت. قـال سـعد بـن أبي وقـاص: يـا بنـي، كانـت دعـوة عبـد اللـه بـن جحـش خـيرًا مـن دعـوتي، لقـد رأيتـه آخـر النهـار، وإن أذنـه وأنفـه لمعلَّقـان في خيـط.

صدق الأحنف بن قيس رحمه الله

وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة، فإن عمر سألني عن ثوب: بكم أخذته؟ فأسقطت ثلثي الثمن.

يا بني لا تكذب

وعن عون بن عبد الله رحمه الله قال: كساني أبي حلة، فخرجت فيها، فقال لي أصحابي: كساك هذه الأمير؟ فأحببت أن يروا أن الأمير كسانيها، فقلت: جزى الله الأمير خيرا، كسا الله الأمير من كسوة الجنة، فذكرت ذلك لأبي، فقال: يا بني لا تكذب ولا تشبه بالكذب.

سمنون بن عبد الله رحمه الله

وقال ابن الجوزي: كان سمنون بن عبد الله رحمه الله يتكلم في المحبة، ثم سمى نفسه الكذاب لموضع دعواه في قوله:

ليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحنّي

فامتحن بحصر البول، فصار يدور في المكاتب، ويقول للصبيان، ادعوا لعمكم المبتلى بلسانه.

النجاة في الصدق

وعن أبي بردة بن عبد الله بن أبي بردة قال: كان يقال: إن ربعي بن حراش رضى الله عنه لم يكذب كذبا قط، فأقبل ابناه من خراسان قد تأجَّلا، فجاء العريف إلى الحجاج فقال: أيها الأمير إن الناس يزعمون أن ربعي بن حراش لم يكذب قط، وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان، فقال الحجاج: علي به، فلما جاء قال: أيها الشيخ! قال: ما

تشاء؟ قال: ما فعل ابناك؟ قال: المستعان الله خلَّفتهما في البيت، قال: لا جرم والله لا أسوؤك فيهما، هما لك قد عفونا عنهما بصِدْقك.

صدق عبد القادر الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: بَنَيْتُ أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أُمِّي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولمَّا وصلنا أرض (هَمْدَان) خرج علينا عرب، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا. فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدَتْني أُمِّي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها. فصاح باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أُمِّك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله!! ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال مَنْ معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق وسببه.

الصدق مع الله

عن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلّم فآمن به واتبعه، ثم قال: أُهَاجِرُ معك. فأوصى به النبي صلى الله عليه و سلّم بعضَ أصحابه، فلمَّا كانت غزوةٌ غَنِمَ النبي صلى الله عليه و سلّم سَبْيًا فَقَسَمَ، وقَسَمَ له، فأعطى أصحابه ما قَسَمَ له، وكان يرعى ظهرهم، فلمَّا جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسَمٌ قسمه لك النبي صلى الله عليه و سلّم. فأخذه، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه و سلّم، فقال: ما هذا؟ قال: «قَسَمْتُهُ لَكَ». قال: ما على هذا

اتَّبَعْتُك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا - وأشار إلى حلقه بسهم - فأموت فأدخل الجنة. فقال: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلّم يُحْمَلُ قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي: «أَهُوَ هُوَ». قالوا: نعم. قال: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ». ثم كفَّنه النبي في جُبَّة ، ثم قدَّمه فصلَّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ».

صدق منصور الدّينوري

قال أبو عبد الله الرملي: رأيت منصورًا الدَّيْنَوَرِيَّ في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أُؤَمِّل، فقلتُ له: أحسن ما تَوَجَّه العبد به إلى الله ماذا؟ قال: الصدق، وأقبحُ ما توجَّه به الكذب.

ذم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للكذب

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ألا إن شر الرَّوايا روايا الكذب، ألا وإن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يَعِد الرجل ولده شيئا ولا ينجزه، ألا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ألا وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر، ألا وإن محمداً صلى الله عليه وسلّم حدثنا «إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكذب عند الله كذاباً».

وقال أيضا رضي الله عنه: والذي نفسي بيده ما أحل الله الكذب في

جـد ولا في هـزل قـط، ولا أن يّعِـد الرجـل صبيـه ثـم لا ينجـزه لـه، اقـرؤوا إن شـئتم ﴿اتَّقُـوا اللَّـهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِـينَ ﴾ [التوبـة: 119].

وأتى رجـل ابـن مسـعود رضي اللـه عنـه فقـال: علمنـي كلـمات نوافـعَ جوامـعَ؟ فقـال: تعبـد اللـه ولا تـشرك بـه شـيئا، وتـزول مـع القـرآن أيـن مـا زال، ومـن جـاءك بالصـدق مـن صغـير أو كبـير وإن كان بعيـدا بغيضـا فاقبلـه منـه، ومـن أتـاك بكـذب مـن صغـير أو كبـير وإن كان حبيبـا قريبـا فـارددده عليـه.

الباب الخامس

العفّة واتّقاء فتنة النّساء

- **عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب رحمه الله قال:** ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَل النّساء، وقال لنا سعيد، وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبتْ إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى: ما من شيء أخوف عندي من النّساء.
- **وقال أيضا رحمه الله:** ما بعث الله نبيا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنّساء.
- **وعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال:** لو ائتمنت على بيت مال لكنتُ أمينًا، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء.
- **وقال سعيد بن جبير رحمه الله:** لئن أؤتمن على بيت من الدر، أحب إلي من أن أؤتمن على امرأة حسناء.
- **قال الشّافعي رحمه الله:**

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا مـــا لا يليق بمسلم
إن الزنا ديـــن فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا ... سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة ماجد ... مـــا كنت هتاكا لحرمة مسلم
من يزن يزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هـــذا لبيبا فافهم
من يزن في قوم بألفي درهم ... يزن في أهل بيته ولو بالدرهم

عطاء بن يسار والمرأة

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار، وسليمان بن يسار رحمهما الله حاجّين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبْواء نزلوا منزلاً، فانطلق سليمان، وأصحابه لبعض حاجتهم، وبقي عطاء بن يسار قائمًا في المنزل يصلي.

قال: فدخلتْ عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أنّ لها حاجةً، فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هي؟ قالت: قم فأصِبْ مني فإني قد ودِقتُ[1] ولا بعل لي، فقال: إليكِ عني لا تحرقيني ونفسَك بالنار.

ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه، ويأبى إلا ما يريد. قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحك إليك عني. قال: اشتد بكاؤه، فلما نظرت المرأة إليه، وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، قال: فجعل يبكي، والمرأة بين يديه تبكي، فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي، والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل، فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء، وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت، فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة. قال: وكان أسنَّ منه.

قال: ثم إنهما قَدِما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي. فقال سليمان: ما يبكيك يا أخي؟ قال: فاشتد بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها

(1) ودقت المرأة: أي رغبت بشدّة في الرّجال.

الليلة. قال: وما هي؟ قال: لا تخبر بها أحدًا ما دمتُ حيًا: رأيت يوسف النبي صلى الله عليه و سلم في النوم، فجئت أنظر إليه، فيمن ينظر إليه، فلما رأيت حسنه بكيت، فنظر إليّ في الناس، فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتُليتَ به من أمرها، وما لقيتَ من السجن، وفُرقة يعقوب، فبكيت من ذلك، وجعلت أتعجّب منه. قال: فهلاّ تعجّبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفتُ الذي أراد، فبكيت، واستيقظت باكيًا.

قال سليمان: أيْ أخي، وما كان من حال تلك المرأة؟ فقصّ عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحدًا حتى مات عطاء، فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رضي الله عنهما.

قصة الربيع بن خثيم وامرأة بارعة الجمال

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع ابن خثيم لعلها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم ! فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده . فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة. فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك ، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت المرأة صرخة، فخرت مغشيا عليها، فوالله لقد أفاقت ، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

العروس التي صارت راهبة

وعن عبد الله بن مسلم العجلي، قال: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال عبيد بن عمير قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنتُ لك.

قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللّهم لا. قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللّهم لا، قال: صدقت، فلو أردتِ الممرّ على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفِّينَ أم تَثْقُلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقتِ، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروسًا، فصيرها راهبة.

حسان بن أبي سنان رحمه الله

وعن أبي حكيم أنه قال: خرج حسان بن أبي سنان رحمه الله يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم امرأة حسنة قد رأيت اليوم؟ فلما أكثرت قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك.

شبيه يوسف عليه السّلام

ذكر الإمام ابن القيم في روضة المحبين قصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي تتعلق بشاب صالح كان عمر ينظر إليه ويُعجب به، ويفرح بصلاحه وتقواه، ويتفقده إذا غاب، فرأته امرأة شابة حسناء، فهويته وتعلقت به، وطلبت السبيل إليه، فاحتالت لها عجوز، وقالت لها: «أنا آتيك به»، ثم جاءت لهذا الشاب وقالت له: «إني إمرأة عجوز، وإن لي شاة لا أستطيع حلبها، فلو أعنتني على ذلك لكان لك أجر» - وكانوا أحرص ما يكونون على الأجر- فذهب معها، ولما دخل البيت لم ير شاة، فقالت له العجوز: «الآن آتيك بها»، فظهرت له المرأة الحسناء، فراودته عن نفسه فاستعصم عنها، وابتعد منها ولزم محراباً يذكر الله عز وجل، فتعرضت له مراراً فلم تقدر، ولما آيست منه دعت وصاحت، وقالت: «إن هذا هجم عليّ يبغيني عن نفسي»، فتوافد الناس إليه فضربوه، فتفقده عمر في اليوم التالي، فأُتي به إليه، وهو موثوق، فقال عمر: «اللهم لا تخلف ظني فيه»، فقال للفتى: «أصدقني الخبر»، فقص عليه القصة، فأرسل عمر إلى جيران الفتاة، ودعى بالعجائز من حولها، حتى عرف الغلام تلك العجوز، فرفع عمر درّته وقال: «أصدقيني الخبر»، فصدقته لأول وهلة، فقال عمر: «الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف».

السَّرِيُّ بن دينار

وقال محمد بن إسحاق: نزل السَّرِيُّ بن دينار في درب بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها، فعلمت به المرأة، فقالت: لأفتنّنه؛ فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت نفسها، فقال: مَا لَكِ؟! فقالت: هل لك في فراش وطي، وعيش رخي؟ فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاص نال منهن لـــــذة

ومات فخلاّها وذاق الـــــــدواهيا

تصرمُ لـذّات المعاصي وتنقضي

وتبقى تِباعاتُ المعاصي كما هيا

فيا سوءتا والله راءٍ وسامـــــــع

لعبدٍ بعين الله يغشـــى المعاصيا

الباب السّادس

التفاؤل و ذمُ اليأس والقنوط

- **قال ابن مسعود رضي الله عنه:** الهلاك في اثنتين، القنوط، والعجب.
- **وقال أيضًا:** الكبائر ثلاث: اليأس من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.
- **وقال البغوي رحمه الله:** القنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكره.
- **قال أحد الشعراء:**

يا فارج الهم عن نوح وأسرته ... وصاحب الحوت مولى كل مكروب

وفارق البحر عن موسى وشيعته ... ومذهب الحزن عن ذي البث يعقوب

وجاعل النار لإبراهيم باردة ... ورافع السقم من أوصال أيوب

إن الأطباء لا يغنون عن وصب ... أنت الطبيب طبيب غير مغلوب

- **قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

إذا اشتملتْ على اليأْسِ القلوبُ ... وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ

وأوطأتِ المكارهُ واطمأنتْ ... وأرستْ في أماكنِها الخطوبُ

ولم ترَ لانكشافِ الضرِّ وجهًا ... ولا أغنى بحيلتِهِ الأريبُ

أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ ... يمنُّ به اللّطيفُ المستجيبُ

وكلُّ الحادثاتِ إذا تنـــــاهتْ فموصولٌ بـــها الفرجُ القريبُ

• **وقال أحد الشعراء:**

اليـــأسُ في ديننا كُفْرٌ ومَنْقَصةٌ لا يُنبِتُ اليأسَ قلبُ المـــؤمنِ الفَهِمِ
يَفيضُ من أملٍ قلبي ومـن ثقةٍ لا أعرِفُ اليـــأسَ والإحباطَ في غَمَمِ

قصة نبي الله يعقوب عليه السلام

فقصة نبي الله يعقوب عند فقد ابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام درس عظيم في ترك اليأس، وحسن الظن بالله، والصبر على البلاء، ورجاء الفرج من الله، في عدة مواضع منها:

عندما جاءه نعي أحب أولاده إليه يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا أعظم المصائب على قلب الأب لم يفقد صوابه، وقابل قدر الله النازل، بالصبر والحلم، والاستعانة بالله سبحانه على رفعه. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾. [يوسف: 18].

ولما عظمت المصيبة بفقد ابنه الثاني ازداد صبره، وعظم رجاؤه في الفرج من الله سبحانه، فقال لأبنائه:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[يوسف: 83].

حين عوتب في تذكر يوسف عليه الصلاة والسلام بعد طول الزمان، وانقطاع الأمل، وحصول اليأس في رجوعه، قال بلسان المؤمن الواثق في وعد الله برفع البلاء عن الصابرين، وإجابة دعوة المضطرين ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف: 86].

وأخذ بالأسباب في السعي والبحث عن يوسف وأخيه فقال لأبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

فكانت العاقبة لمن صبر وأمل ورضي ولم يتسخط قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ﴾ من عند الحبيب مبشرًا باللقاء القريب أَلْقَاهُ قميص يوسف عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا فرجع البصر، وبلغ الأمل، وزال الكرب، وحصل الثواب لمن صبر ورضي وأناب، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96].

من يائس من تعلم علم النحو، إلى إمام فيه

ذكروا في ترجمة يحيى النحوي وكان أيام الفتح الإسلامي لمصر، أنه رغب في طلب العلم فلم يفلح فيه فكاد ييأس واضطجع يفكر. فرأى نملة تحاول أن تصعد الجدار فإذا بلغت ذراعًا أو ذراعين سقطت فعاودت الصعود ثم سقطت، فعاودت الصعود، فعد عليها أربعين مرة حتى وصلت إلى أعلى الجدار واجتازته!! فأخذ من النملة درسًا وعاود الجد والتحصيل حتى نجح.

رجاء لا يخيب

ذكر التنوخي بسنده عن: عبيد الله بن سليمان، يقول في وزارته: قال: لي أبي: كنت يومًا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات، في خلافة الواثق، آيس ما كنت من الفرج، وأشد محنةً وغمًّا، حتى وردت عليَّ رقعة أخي الحسن بن وهب، وفيها شعر له:

محن أبا أيوب أنت محلها فإذا جزعت من الخطوب فمن لها

إنَّ الذي عقد الـــذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلـــها
فاصبر فإنَّ الله يعقب فـــرجة ولعلها أن تنجلي ولعـــلها
وعسى تكون قريبة مـــن حيث لا ترجو وتمحو عن جديدك ذلـــها

قال: فتفاءلت بذلك، وقويت نفسي، فكتبت إليه:

صبرتني ووعظتني وأنا لـــها وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ثقة به إذ كان يملك حلـــها

قال: فلم أصلِّ العتمة ذلك اليوم، حتى أُطلقتُ، فصلَّيتها في داري، ولم يمضِ يومي ذاك، حتى فرَّج الله عني، وأُطلقت من حبسي، ورُوي أنَّ هاتين الرقعتين وقعتا بيد الواثق، الرسالة والجواب، فأمر بإطلاق سليمان، وقال: والله، لا تركت في حبسي من يرجو الفرج، ولا سيما من خدمني. فأطلقه على كره من ابن الجراح الزيات لذلك.

نصيحة جميلة

وعن إبراهيم بن مسعود قال: كان رجل من تجار المدينة يختلف إلى جعفر بن محمد، فيخالطه ويعرفه محسن الحال، فتغيرت حالته فجعل يشكو ذلك إلى جعفر بن محمد، فقال جعفر:

فلا تجزع إذا أعسرت يـــومًا فقد أيسرت في الزمن الـــطويل
ولا تيأس فإن اليأس كفـــر لعـــــل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن ســـوء فإن الله أولـــــى بالجميل

قال: فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس.

الباب السّابع

الصّبر على البلاء و الرّضا بالقضاء

- **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** إن الخير كُلُّه في الرِّضا، فإن استطعت أن ترضى وإلَّا فاصبر.
- **قال ابن عباس رضي الله عنهما:** لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان.
- **قال الفُضَيل بن عِياض رحمه الله:** الرِّضا أفضل من الزُّهد في الدنيا؛ لأنَّ الرَّاضي لا يتمنى فوق منزلته.
- **قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري وأصبر حتى ينظر الله في أمري وأصبر حتى يعلم الصبر بأني أصبر على كل شيء أمر من الصبر.
- **قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** اعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد ، إذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور.
- **قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:** الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.
- **قال حذيفة رضي الله عنه:** إن الله لم يخلق شيئًا قط إلا صغيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ إلا المُصيبة فإنه خلقها كبيرة ثم تصغر.

- **وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:** ما أنعم الله على عبد نعمة، فانتزعها منه، فعاضها مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه منه .
- **قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :** ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر.
- **قال أحد الشعراء :**

إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

صبر نبي الله أيوب عليه السلام

وأولى الناس بالذكر في هذا الباب هو أيوب عليه السلام؛ لأنه الذي يُضرب به المثل في الصبر.

قال ابن كثير رحمه الله: قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة من أرض حوران، وحكى ابن عساكر أنها كانت كلها له، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسُلب منه ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل في ليلة ونهاره وصبحه ومسائه.

وطال مرضه حتى عافه الجليس واستوحش منه الأنيس، وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو

عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته، وضعف حالها، وقل مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر وتطعمه، وتقوم بحاجته رضي الله عنها وأرضاها، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد، وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزد هذا أيوب عليه السلام إلاّ صبراً واحتساباً، وحمداً وشكراً، حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام.

قال السعدي رحمه الله: ولما تطاول به المرض العظيم ونسيه الصاحب والحميم نادى ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[الأنبياء:83]، فقيل له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص:42]، فركض، فنبعت بركضته عين ماء بارد، فقيل له: اشرب منها واغتسل، ففعل ذلك فذهب ما في ظاهره وباطنه من البلاء.

وقال الحافظ : أصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس : أن أيوب ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، فحزن ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته، وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص:42]، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها، فرجع صحيحاً، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن

أيـوب فقـال: إني أنـا هـو، وكان لـه أنـدران: أحدهـما للقمـح، والآخـر للشـعير، فبعـث اللـه سـحابة فأفرغـت في أنـدر القمـح الذهـب حتـى فـاض، وفي أنـدر الشـعير الفضـة حتـى فـاض.

وفي الصحيـح أيضـاً عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه مرفوعـاً: (بينـما أيـوب يغتسـل عريانـاً خـر عليـه رجـل جـراد مـن ذهـب، فجعـل يحثـي في ثوبـه يعنـي: يجمـع في ثوبـه مـن هـذا الجـراد الـذي هـو مـن ذهـب فنـاداه ربـه: يـا أيـوب! ألم أكـن أغنيتـك عـما تـرى؟ قـال: بـلى يـا رب! ولكـن لا غنـى لي عـن بركتـك).

ولا بـأس أن يطلـب الإنسـان المـال الحـلال حتـى ولـو كان عنـده مـال كثـير، فأيـوب عليـه السـلام كان عنـده ذهـب وفضـة، ومـع ذلـك كان يجمـع جـراد الذهـب فقـال اللـه عـز وجـل لـه: (يـا أيـوب! ألم أكـن أغنيتـك عـما تـرى؟ قـال: بـلى يـا رب! ولكـن لا غنـى لي عـن بركتـك).

ففـي قصـة أيـوب عليـه والسـلام عـبرة للمعتبريـن، فإنـه صـبر هـذا الصّـبر الجميـل عـلى ذهـاب مالـه وأقاربـه وصحتـه، وثبـت عـلى حبـه للـه عـز وجـل وصـبره عـلى قضائـه وقـدره، واقتصـاره عـلى الشـكوى إلى اللـه عـز وجـل، وهي لا تنـافي الصـبر؛ لأن اللـه عـز وجـل يقـول: ﴿إِنَّـا وَجَدْنَـاهُ صَابِـرًا﴾ [ص:44]، مـع أنـه شـكى إلى اللـه وقـال: ﴿أَنِّي مَسَّـنِيَ الـضُّرُّ وَأَنْـتَ أَرْحَـمُ الرَّاحِمِـينَ﴾ [الأنبيـاء:83].

وزاده عـز وجـل مـن فضلـه، وهـذه عاقبـة المواقـف الإيمانيـة دائمـاً رفعـة الدنيـا والآخـرة، فكـما كان يوسـف عليـه السـلام مثـلاً للعفـة والاسـتعفاف، وإبراهيـم إمـام الحنفـاء يعظـم أمـر اللـه ويصـبر عـلى ديـن اللـه، فهـذا أيـوب مثـال الصـبر الجميـل، فصـلى اللـه وسـلم وبـارك عـلى جميـع الأنبيـاء والمرسـلين.

وفاة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه و سلم

عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: دخلنـا مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم عـلى أبي سـيف القـين[1]، وكان زوجًـا لمرضعـة إبراهيـم ابـن النبـي محمـد صـلى اللـه عليـه و سـلم، فأخـذ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم إبراهيـم فقبَّلـه وشـمَّه؛ ثـم دخلنـا عليـه بعـد ذلـك وإبراهيـم يجـودُ بنفسـه فجعَلَـتْ عينـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم تذرفـان.

فقـال لـه عبـد الرحمـن بـن عـوف رضي اللـه عنـه: وأنـت يـا رسـول اللـه؟ فقـال: «يـا ابـن عـوف إنهـا رحمـة» ثـم اتبعهـا بأخـرى، فقـال صـلى اللـه عليـه و سـلم: «إن العـين تدمـع والقلـب يحـزن ولا نقـول إلا مـا يـرضي ربُّنـا، وإنـا بفراقـك يـا إبراهيـم لمحزونـون»[2].

عليك بالصبر

ونظـر عـلي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه إلى عـدي بـن حاتـم كئيبـاً فقـال: يـا عـدي ! مـن رضي بقضـاء اللـه جـرى عليـه وكان لـه أجـر، ومـن لم يـرض بقضـاء اللـه جـرى عليـه وحبـط عملـه.

صبر عروة بن الزبير رضي الله عنهما

قـال عامـر بـن صالـح عـن هشـام بـن عـروة : إن أبـاه خـرج إلى الوليـد بـن عبـد الملـك ، حتـى إذا كان بـوادي القـرى وجـد في رجلـه شـيئاً، فظهـرت بـه قرحـة، ثـم زاد بـه الوجـع، فلـما قـدم عـلى الوليـد قـال: يـا أبـا عبـد اللـه !

(1) القين: الحدّاد.

(2) رواه مسلم

اقطعها، قال: دونك، فدعا له الطبيب، وقال له: اشرب المرقد، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حسي حسي، فقال الوليد : ما رأيت شيخاً أصبر من هذا.

وأصيب عروة رحمه الله في هذا السفر بابنه محمد ؛ ركضته بغلة في إصطبل، فلم نسمع منه كلمة في ذلك، فلما كان بوادي القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:62]، اللّهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة، فإن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت.

صبر الخنساء رضي الله عنها

حضرت الخنساء رضي الله عنها حرب القادسية، وكان معها بنوها أربعة رجال، فوعظتهم، وحرضتهم على القتال وعدم الفرار، وقالت: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لأب واحد، وأم واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال، حتى قتلوا، فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.[1]

رضا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

لما قدم سعد بن أبي وقاص مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس

(1) وهذا الدعاء بعض العلماء يقول: فيه نظر؛ لأن بعضهم يقول: مستقر الرحمة هي ذات الله عز وجل. و الأولى أن يقال: في فردوسه الأعلى.
و للإضافة أخي الكريم، لعلّه من المفيد ذكر أن هذه المرأة الصابرة و المحتسبة هي نفسها التي ملأت الدنيا بكاءا و رثاءا على أخيها صخر. فسبحان الله كيف يتغير الإنسان من حال إلى حال عندما يلامس الإيمان شغاف قلبه.

يهرعـون إليـه كل واحـد يسـأله أن يدعـو لـه، فيدعـو لهـذا ولهـذا، وكان مجـاب الدعـوة.

قـال عبـد اللـه بـن السـائب : فأتيتـه وأنـا غـلام، فتعرفـت إليـه فعرفنـي، وقـال: أنـت قـارئ أهـل مكـة؟ قلـت: نعـم.. فقلـت لـه: يـا عـم! أنـت تدعـو للنـاس، فلـو دعـوت لنفسـك فـرد اللـه عليـك بـصرك، فتبسـم وقـال: يـا بنـي! قضـاء اللـه سـبحانه عنـدي أحسـن مـن بـصري.

صبر صفية بنت عبد المطلب

لمـا انهـزم المسـلمون بعـد أن خالـف الرمـاة أمـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بالثبـات، وانفـض أكـثر النـاس عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ولم يبـق حولـه سـوى القلائـل مـن أصحابـه، قامـت صفيـة رضي اللـه عنهـا وبيدهـا رمـح تـضرب بـه وجـوه النـاس الفاريـن المنهزمـين والأعـداء المشركين، وتقـول لهـم: انهزمتـم عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فلما رآهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أشـفق عليهـا أن تـرى أخاهـا حمـزة وقـد مثـل بـه، فقـال لابنهـا الزبـير : القهـا فأرجعهـا؛ لا تـرى مـا بشـقيقها -أي: حمـزة بـن عبـد المطلـب رضي اللـه عنـه- فلقيهـا الزبـير فقـال: يـا أمـاه! إن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يأمـرك أن ترجعـي، فقالـت صفيـة : فقـد بلغنـي أنـه مثـل بأخـي، وذلـك في اللـه عـز وجـل قليـل، لأحتسـبن ولأصـبرن إن شـاء اللـه تعـالى، وعـاد الزبـير إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فأخـبره بذلـك، فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: خـل سـبيلها، فأتـت صفيـة إلى حمـزة فنظـرت إليـه وصلـت عليـه واسـترجعت واسـتغفرت، ثـم أمـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بـه فدفـن.

صبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله

عن الربيع بن سبرة قال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وكان صنو أبيه، يعني: كان شبيهاً بأبيه في الزهد، بل كان بعض الناس يقول: إنه أفضل من أبيه، ثم هلك أخوه سهل بن عبد العزيز ومولاه مزاحم .

وسهل بن عبد العزيز هو أخو عمر بن عبد العزيز ، هلكوا في أيام متتابعة، فدخل الربيع بن سبرة عليه فقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله! ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى قط.

قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت على أمير المؤمنين.

قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع ؟! فأعدت عليه ما قلت أولاً، فقال: والذي قضى عليهم بالموت ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن.

وأعاد الحديث وزاد فيه: ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن؛ لما أرجو من الله تعالى فيهم.

سبب الابتلاء

مرّ موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض ، فوقف متعجبا فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى ، فأوحى الله تعالى إليه أنه

سألني درجة في الجنة لم يبلغها بعمله ، فأحببت أن ابتليه لأبلغه تلك الدرجة.

ياقوتة بنت المهدي

لمَّا تُوُفِّيَت ياقوتة بنت المهدي، جزع عليها أبوها المهدي جزعًا لم يسمع بمثله، وجلس، فجاء الناس يُعَزُّونه، فأمر ألا يُحْجَب عنه أحد، فأكثر الناس في التَّعَزِّي واجتهدوا في البلاغة والفصاحة لكونه الخليفة، ثم أجمعوا بعد ذلك على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية «ابن شبه» رحمه الله يوم قال: أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رُزِئْتَ أجرًا، وأعقبك خيرًا، ولا أجهد بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خيرًا لك منها، ورحمة الله خير لها منك، أسأل الله أن لا يحزنك ولا يفتنك.

فكان ممَّا سرى على أمير المؤمنين هذه التعزية.

أُمّ كلثوم

رُوي عن أُمِّ كلثوم وكانت من المهاجرات أنه لما غُشِيَ على زوجها عبد الرحمن بن عوف خرجت إلى المسجد تَسْتَعِينُ بما أُمِرَتْ به من الصبر والصلاة.

إني صائم

روي عن بعضهم أنه قال: مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رَمَق، فقلت له: أسقيك ماء؟ فقال: جُرَّني قليلاً إلى العدوِّ، واجعل الماء في التُّرْسِ، فأني صائم، فإن عشتُ إلى الليل شربته.

ترك لي لسانا يذكره وقلبا يشكره

يحكى أن رجلا ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد الله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلا، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا، أَشْكُرُ الله أن وهبني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا.

امرأة من أهل الجنة

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أُرِيكَ امرأة من أهل الجنة؟ قلتُ: بلى. قال هذه المرأة السوداء أتت النبي فقالت: إني أُصْرَعُ، وإني أتكشَّف، فادعُ الله لي. فقال صلى الله عليه و سلّم: «إِنْ صَبَرْتِ فَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». قالت: إني أتكشَّف، فادعُ الله أن لا أنكشف. فدعا لها.

صبر عمران بن حصين

وقال مُطرِّف بن عبدالله الشخير: "أتيت عمران بن حصين يوماً، فقلت له: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه، ولما أراك تلقى. قال: فلا تفعل، فو الله إن أحبه إليّ أحبه إلى الله. وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته. فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة. قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى، أحبه إلي. ثم قال: أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفع به، واكتم علي حتى

أمـوت، إن الملائكـة تـزورني فآنـس بهـا، وتسـلم عـلي فأسـمع تسـليمها، فأعلـم بذلـك أن هـذا البـلاء ليـس بعقوبـة، إذ هـو سـبب هـذه النعمـة الجسـيمة، فمـن يشـاهد هـذا في بلائـه، كيـف لا يكـون راضيـاً بـه؟!

لذّة الثواب

يقـال: إنَّ امـرأة فَتْـحٍ المَوْصِـلِيِّ عـثرت فانقطـع ظفرهـا فضحكـت، فقيـل لهـا: أمـا تجديـن الوجـع؟ فقالـت: إنَّ لـذَّة ثوابـه أزالـت عـن قلبـي مَـرَارة وجعـه.

صبر الإمام البويطي

وسُـجن الإمـام البويطـي صاحـب الشـافعي ووُضـع الغُـلّ في عنقـه، والقيـد في رجليـه، وكان يقـول: لأموتـن في حديـدي هـذا، حتـى يـأتي قـوم يعلمـون أنـه قـد مـات في هـذا الشـأن قـوم في حديـده .

وكان البويطـي وهـو في الحبـس يغتسـل كل جمعـة، ويتطيـب، ويغسـل ثيابـه، ثـم يخـرج إلى بـاب السـجن إذا سـمع النـداء، فـيردّه السـجان، فيقـول البويطـي: اللهـم! إني أجبـت داعيـك فمنعـوني.

وكتـب البويطـي إلى الذهـلي: أسـألك أن تعـرض حـالي عـلى إخواننـا أهـل الحديـث، لعـل اللـه يُخلِّصنـي بدعائهـم، فـإني في الحديـد، وقـد عجـزتُ عـن أداء الفرائـض؛ مـن الطهـارة والصـلاة. فضـجّ النـاس بالبـكاء والدعـاء لـه.

لهذا تمنيت موته

وعـن محمـد بـن خلـف وكيـع قـال: كان لإبراهيـم الحـربي ابـن وكان لـه إحـدى عـشرة سـنة حفـظ القـرآن ولقنـه مـن الفقـه شـيئا كثـيرا قـال فـمات

فجئت اعزيه فقال: كنت اشتهي موت ابني هذا. قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه؟ قال نعم رأيت في النوم كان القيامة قد قامت وكان الصبيان بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم يوما حارا شديداً حره فقلت لأحدهم اسقني من هذا الماء، فنظر إلي وقال: لست أبي. فقلت: أي شيء أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء. قال: فلهذا تمنيت موته.

عليك بالصّبر

يحكى أن رجلا ذهب إلى أحد العلماء، وشكا إليه فقره، فقال العالم: أَيسُرُّكَ أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك أخرس ولك عشره آلاف درهم؟

فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟

فقال الرجل: لا. فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟

فقال الرجل: لا.

فقال العالم، أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك نعم بخمسين ألفًا. فعرف الرجل مدى نعمة الله عليه، وظل يشكر ربه ويرضى بحاله ولا يشتكي إلى أحد أبدًا.

الشكوى إلى الله

قال الأحنف بن قيس: شكوت إلى عمي وجعا في بطني فنهرني ثم قال: يا ابن أخي لا تشْكُ إلى أحد ما نزل بك فإنما الناس رجلان: صديق

تسوؤه وعدو تسره. يا ابن أخي: لا تشكو إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله لنفسه ولكن اشكُ إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك. يا ابن أخي إحدى عيني هاتين ما أبصرت بهما سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة وما أطلعت على ذلك امرأتي ولا أحدا من أهلي.

صبر عجيب

وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال: خرجت إلى ناحية الخريبة فإذا أسود مجذوم قد تقطعت كل جارحة له بالجذام وعمي، وأقعد وإذا هو يزحف، وإذا صبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه فدنوت منه لأسمع ما يقول، فإذا هو يقول: يا سيدي إنك لتعلم إنك لو قرضت لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير، ما ازددت لك إلا حبًا، فاصنع بي ما شئت.

الباب الثّامن

الانفاق في سبيل الله، الجود و الكرم

- **وعن الشعبي رحمه الله قال:** ما أدري أيهما أبعد غورا في النار: الكذب أو البخل!

- **وقال عليٌّ رضي الله عنه:** السَّخاء ما كان ابتداءً، فأمَّا ما كان عن مسألة فحياء وتذمُّم.

- **وقال يحيى البرمكي:** أعط مِن الدُّنْيا وهي مقبلة؛ فإنَّ ذلك لا ينقصك منها شيئًا. فكان الحسن بن سهل يتعجَّب مِن ذلك ويقول: لله درُّه! ما أطبعه على الكَرَم وأعلمه بالدُّنْيا.

- **وقال المنتصر بن بلال الأنصاري:**

الجُودُ مكرمةٌ والبخلُ مبغضةٌ لا يستوي البخلُ عندَ اللهِ والجُودُ

والفقرُ فيه شخوصٌ والغِنى دعة والنَّاسُ في المالِ مرزوقٌ ومحدودُ

- **وقال آخر:**

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت على العباد من الرحمن أرزاق

لا ينفع البخل مع دنياً مولية ولا يضر مع الإقبال إنفاق

- **وقال أحد الشّعراء:**

اشْتر العزَّ بما شئْت فَما العِزُّ بِغَالِ

بالقصارِ الصُّفْرِ إن شئتَ أو السُّمْرِ الطِّوالِ

ليس بالمَغبـــــــونِ عقلًا مَن شرَى عِزّا بمـــالِ
إنـــــــــما يُدَّخَرُ المالُ لحاجاتِ الرجـــالِ
والفتى مَن جعَل الأمـوالَ أثمَانَ المعـــــــاليَ

صور مِن كرم وجود النَّبيﷺ

عـن مـوسى بـن أنـسٍ، عـن أبيـه، قـال: مـا سُـئل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى الإسـلام شـيئًا إلاّ أعطـاه، قـال: فجـاءه رجـلٌ فأعطـاه غنـمًا بـين جبلـين، فرجـع إلى قومـه، فقـال: يـا قـوم أسـلموا، فـإنَّ محمَّـدًا يعطـي عطـاءً مـن لا يخـشى الفاقـة.

وقـال أبـو هريـرة رضي اللـه عنـه: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: لـو كان لي مثـل أحـدٍ ذهبًـا مـا يـسرُّني أن لا يمـرَّ عـليَّ ثـلاثٌ، وعنـدي منـه شيءٌ إلَّا شيءٌ أرصـدُهُ لديـن

وأهـدت امـرأة إلى النَّبـيِّ عليـه الصَّـلاة والسَّـلام شـملةً منسـوجة، فقالـت: يـا رسـول اللـه، أكسـوك هـذه، فأخذهـا النَّبـيُّ عليـه الصَّـلاة والسَّـلام محتاجًـا إليهـا، فلبسـها، فرآهـا عليـه رجـل مِـن الصَّحابـة، فقـال: يـا رسـول اللـه، مـا أحسـن هـذه! فاكْسُـنِيها، فقـال: نعـم، فلـمَّا قـام النَّبـيُّ عليـه الصَّـلاة والسَّـلام لامـه أصحابـه، فقالـوا: مـا أحسـنت حـين رأيـت النَّبـيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم أخذهـا محتاجًـا إليهـا، ثـمَّ سـألته إيَّاهـا، وقـد عرفـت أنَّـه لا يُسْـأَل شـيئًا فيمنعـه، فقـال: رجـوت بركتهـا حـين لبسـها النَّبـيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم لعـلِّي أكفَّـن فيهـا.

اليوم أسبق أبا بكرٍ

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطَّاب، يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدَّق، فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا.

كرم أبو طَلْحَة رضي الله عنه

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنَّه سمع أنس بن مالك، يقول: كان أبو طَلْحَة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالًا، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحى، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب مِن ماءٍ فيها طيِّبٍ، قال أنسٌ: فلمَّا نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قام أبو طَلْحَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّ الله يقول في كتابه: لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ، وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحى، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخٍ ، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإنِّي أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طَلْحَة في أقاربه وبني عمِّه.

أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة!!

قيل مَرِضَ قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانَهُ، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستحيُون ممَّا لك عليهم من الدَّيْنِ. فقال: أخزى الله

مـالاً يمنـع الإخـوان مـن الزيـارة!! ثـم أمـر مَـنْ يُنَـادي مَـنْ كان لقيـس عليـه دَيْـنٌ فهـو منـه في حـلٍّ. فكُـسِرَتْ عتَبَتُـه بالعَـشِيِّ، لكـثرة مـا عـاده.

كرم عبد الله بن عمر رضي الله عنه

كان عبـد اللـه بـن عمـر رضى اللـه عنهـما شـديد السـخاء، يقـال: إنـه مـا مـات حتـى أعتـق ألـف رقبـه، وربمـا تصـدق في المجلـس الواحـد بثلاثـين ألـف، وكانـت تمـضى عليـه الأيـام الكثـيرة لا يـذوق فيهـا لحـماً إلا وعـلى يديـه يتيـم.

طَلْحَة الخير

وقـال الأصمعـيُّ: حدَّثنـا ابـن عمـران قـاضي المدينـة، أنَّ طَلْحَـة كان يقـال لـه: طَلْحَـة الخـير، وطَلْحَـة الفيَّـاض، وطَلْحَـة الطَّلَحَـات، وأنَّـه فـدى عـشرة مِن أسـارى بـدر وجـاء يمـشي بينهـم، وأنَّـه سُـئل برحـم، فقـال: مـا سُـئِلت بهـذه الرَّحـم قبـل اليـوم، وقـد بعـت حائطًـا لي بتسـعمائة ألـف درهـم وأنـا فيـه بالخيـار، فـإن شـئت ارتجعتـه وأعطيتكـه، وإن شـئت أعطيتـك ثمنـه.

وقـال المدائنـي: إنَّمـا سـمِّي طَلْحَـة بـن عبيـد اللـه الخزاعـي: طَلْحَـة الطَّلَحَـات، لأنَّـه اشـترى مائـة غـلام وأعتقهـم وزوَّجهـم، فـكلُّ مولـود لـه سـمَّاه طلحـة.

ثمن البيت

بـاع طلحـة بـن عبيـد اللـه أرضـاً لـه إلى عثـمان بـن عفـان بسـبعمائة ألـف درهـم فحملهـا إليـه، فلـما جـاء بهـا قـال: إن رجـلاً تبيـت هـذه عنـده في بيتـه فـلا يـدري مـا يطرقـه مـن أمـر اللـه لضريـر باللـه ، فبـات ورسـله تختلـف بهـا في سـكك المدينـة توزعهـا حتـى أسـحر ومـا عنـده منهـا درهـم.

لماذا لا يزكي؟

وكان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار، وما أوجب الله عليه زكاة درهم قط، وذلك لأنه كان ينفقها قبل أن يحول عليها الحول.

كرم قيس بن سعد رضي الله عنه وإنفاقه

جاءت امرأة إلى قيس بن سعد رضي الله عنه تشكو إليه قلة الطعام عندها، فملأ بيتها خبزاً ولحماً، وسمناً، وتمراً.

كرم الحسن بن علي رضي الله عنهما وإنفاقه

سمع الحسن بن علي رضي الله عنهما رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف فبعث بها إليه.

التبرع بالمعروف قبل السؤال

سأل معاوية الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم، عن الكرم فقال: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والرأفة بالسائل مع البذل.

كرم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه وإنفاقه

بعث الأشعث بن قيس إلى عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه يريد منه قدوراً كانت لأبيه حاتم فملأها عدي بن حاتم مالاً وبعث بها إليه. وقال: إنا لا نعيرها فارغة.

اطعام الطعام

وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: كان رجالٌ مِن بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلَّا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه.

كرم عبد الله بن عتبة بن مسعود

باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخراً ؟ فقال: بل اجعله ذخراً لي ، واجعل الله ذخراً لولدي ، وقسمه بين ذوي الحاجات .

صور من كرم عبيد الله بن عبَّاس

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عبَّاس، فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيد الله: تغدوا عندي اليوم، فأتوه حتى ملئوا عليه الدَّار، فقال: ما هذا؟ فأُخْبِر الخبر، فأمر عبيد الله بشراء فاكهة، وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا، وقدِّمت الفاكهة إليهم، فلم يفرغوا منها حتى وُضِعَت الموائد، فأكلوا حتى صدروا، فقال عبيد الله لوُكَلَائه: أَوَ موجود لنا هذا كلَّ يومٍ؟ قالوا: نعم، قال فليتغدَّ عندنا هؤلاء في كلِّ يوم.

وقال المدائني: أوَّل مَن سنَّ القِرَى إبراهيم الخليل عليه السَّلام. وأوَّل مَن هشم الثَّريد هاشمٌ. وأوَّل مَن فطَّر جيرانه على طعامه في الإسلام عبيد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، وهو أوَّل مَن وضع موائده على

الطَّريـق، وكان إذا خـرج مِـن بيتـه طعـامٌ لا يعـاود منـه شيءٌ، فـإن لم يجـد مَـن يأكلـه تركـه عـلى الطَّريـق.

وذُكـر أنَّ عبيـد اللـه بـن العبَّـاس أتـاه سـائل وهـو لا يعرفـه، فقـال لـه: تصـدَّق عـليَّ بـشيءٍ، فـإنِّي نُبِّـئت أنَّ عبيـد اللـه بـن العبَّـاس أعطـى سـائلًا ألف درهـم واعتـذر إليـه، فقـال: وأيـن أنـا مِـن عبيـد اللـه فقـال: أيـن أنـت منـه في الحسـب أم في الكَـرَم؟ قـال: فيهـما جميعًـا، قـال: أمَّـا الحسـب في الرَّجـل فمروءتـه وفعلـه، وإذا شـئت فعلـتَ، وإذا فعلـت كنـت حسـيبًا. فأعطـاه ألفي درهـم واعتـذر إليـه مِـن ضيـق نفقتـه. فقـال لـه السَّـائل: إن لم تكـن عبيـد اللـه بـن العبَّـاس فأنـت خـير منـه، وإن كنـت إيَّـاه فأنـت اليـوم خـير منـك أمـس، فأعطـاه ألفًـا أخـرى، فقـال لـه السَّـائل: هـذه هـزَّة كريـم حسـيب.

علَّمَنَا الكرم

لقـي رجـل مـن أهـل مَنْبِـج رجـلاً مـن أهـل المدينـة، فقـال: ممَّـن الرجـل؟ فقـال: مـن أهـل المدينـة. فقـال لـه: لقـد أتانـا رجـل منكـم يُقَـالُ لـه: الحكـم بـن عبـد المطلـب. فأغنانـا. فقـال لـه المـدني: وكيـف؟ ومـا أتاكـم إلاَّ في جُبَّـة صـوف؟! فقـال: مـا أغنانـا بمـال، ولكنـه علَّمَنَـا الكـرم، فعـاد بعضنـا عـلى بعـض حتـى اسـتغنينا.

هكذا الامراء

حُـكِيَ أنـه لمـا أجـدب النـاس بمـصر، وعبـد الحميـد بـن سـعد أميرهـم، فقـال: واللـه لأُعْلِمَـنَّ الشـيطانَ أنِّي عـدوُّه. فَعَـالَ محاويجَهـم إلى أن رخصـت الأسـعار، ثـم عـزل عنهـم، فرحـل وللتُّجَّـار عليـه ألـف ألـف درهـم، فرهنهـم بهـا حـلي نسـائه وقيمتهـا خمسـمائة ألـف ألـف، فلـما تعـذَّر عليـه ارتجاعُهـا

كتب إليهم ببيعها ودَفْعِ الفاضل منها عن حقوقهم إلى مَنْ لم تَنَلْهُ صِلاتُه.

كرم عمران بن موسى

وقال عبد الله بن الوسيم الجمَّال: أتينا عمران بن موسى بن طَلْحَة ابن عبيد الله نسأله في دينٍ على رجلٍ مِن أصحابنا، فأمر بالموائد فنُصِبَت، ثمَّ قال: لا، حتى تصيبوا مِن طعامنا، فيجب علينا حقُّكم وذمامكم، قال: فأصبنا مِن طعامه، فأمر لنا بعشرة آلاف درهمٍ في قضاء دينه، وخمسة آلاف درهمٍ نفقةً لعياله.

كرم بلا حدود

قيل لقيس بن سعد بن عبادة: هل رأيتَ أحدًا أسخى منك؟ فقال له: نعم، نزلنا بالبادية على امرأة، فحضر زوجها، فقالت له: إنه نزل بك ضِيفَانٌ. فجاء بناقة ونحرها، وقال: شأنكم بها..

فلمَّا كان بالغد جاء بأخرى ونحرها، وقال: شأنكم بها. فقلنا: ما أكلنا من التي نحرتَ لنا البارحة إلاَّ اليسير. فقال: إنِّي لا أُطْعِمُ أضيافي الغاب. فبقِينَا عنده يومين أو ثلاثة، والسماء تمطر، وهو يفعل كذلك، فلمَّا أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه. ومضينا، فلمَّا مَتَع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا: قفوا أيُّها الركب اللئام، أعطيتموني ثمن قرايَ. ثم إنه لحقنا، وقال: لتأخُذُنَّه، وإلاَّ طعنتكم برمحي هذا. فأخذناه وانصرف، فأنشأ يقول:

وإذا أخذْتُ ثواب ما أعطَيْتُهُ فَكَفَى بذاك لنائلٍ تَكْدِيرا

ما لي أراك كالح الوجه؟

وعن طلحة بن يحيى بن طلحة، قال: حدثتني جدتي سعدي بنت عوف المرية وكانت محل إزار طلحة بن عبيد الله قالت: دخل علي طلحة ذات يوم وهو خائر النفس، فقلت: ما لي أراك كالح الوجه؟ وقلت: ما شأنك أرابك مني شيء فأعينك؟ قال: لا؛ ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر و أكربني، قلت: ما عليك، اقسمه، قالت: فقسمه حتى ما بقي منه درهم واحد، قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف.

كرم أبو مرثد

وكان أبو مرثد أحد الكُرَماء، فمدحه بعض الشُّعراء، فقال للشَّاعر: والله ما عندي ما أعطيك، ولكن قدِّمني إلى القاضي وادَّع عليَّ بعشرة آلاف درهم حتى أقرَّ لك بها، ثمَّ احبسني، فإنَّ أهلي لا يتركوني محبوسًا. ففعل ذلك، فلم يُمْس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم، وأُخْرج أبو مرثد مِن الحبس.

كرم ابن المبارك

قال علي بن الحسن بن شقيق: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع اليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك فيقول هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم يطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول لكل

واحـد: مـا أمـرك عيالـك أن تشـتري لهـم مـن المدينـة مـن طرفهـا؟ فيقـول: كذا وكـذا، ثـم يخرجهـم إلى مكـة، فـإذا قضـوا حجهـم، قـال لـكل واحـد منهـم: مـا أمـرك عيالـك أن تشـتري لهـم مـن متـاع مكـة؟ فيقـول: كـذا وكـذا، فيشـتري لهـم، ثـم يخرجهـم مـن مكـة، فـلا يـزال ينفـق عليهـم إلى أن يصـيروا إلى مـرو، فيجصـص بيوتهـم وأبوابهـم، فـإذا كان بعـد ثلاثـة أيـام عمـل لهـم وليمـة كسـاهم، فـإذا أكلـوا وسرّوا دعـا بالصنـدوق ففتحـه، ودفـع إلى كل رجـل منهـم صرّتـه التـي عليهـا اسـمه.

كرم واخلاق

وعـن محمـد بـن عبـد اللـه بـن واصـل قـال: جـاء رجـلٌ إلى شُرَيـح رحمـه اللـه يَسـتقرِضُ دراهـمَ؛ فقـال لـه شريـحٌ: حاجتُـك عندنـا فـأْتِ منزلَـكَ فإنّهـا سـتأتيكَ، إنّي لأكـره أن يَلْحَقَـكَ ذُلُّهـا.

الاعرابي والفتيان

وقـال محمَّـد بـن يزيـد الواسـطي: حدَّثنـي صديـق لي: أنَّ أعرابيًّـا انتهى إلى قـوم فقـال: يـا قـوم، أرى وجوهًـا وضيئـة، وأخلاقًـا رضيَّـةً، فـإن تكـن الأسـماء عـلى إثـر ذلـك فقـد سـعدت بكـم أمُّكـم... قـال أحدهـم: أنـا عطيَّـة، وقـال الآخـر: أنـا كرامـة، وقـال الآخـر: أنـا عبـد الواسـع، وقـال الآخـر: أنـا فضيلـة، فأنشـأ يقـول:

كرمٌ وبذلٌ واسعٌ وعطيَّةٌ لا أين أذهب أنتم أعين الكَرَم

مَن كان بين فضيلة وكرامة لا ريب يفقؤ أعين العـــدم

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرًا.

كرم عبد الله بن جعفر رحمه الله

وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس، يعطى الجزيل الكثير ويستقله، وقد تصدق مرة بألفي ألف، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار، وقيل: إن رجلاً جلب مرة سكراً إلى المدينة، فكسد عليه، فلم يشتره أحد، فأمر ابن جعفر قيّمه أن يشتريه، وأن يهديه للناس.

وقال أبو الحسن الأخفش: حدثنا المبرد في غير الكامل قال: قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر رحمه الله: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: بأبي أنتما وأمي إن الله عودني أن يفضل علي، وعودته أن أفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فتقطع عني.

كرم الشافعي رحمه الله

وعن المزني قال: ما رأيت رجلاً أكرم من الشافعي رحمه الله، خرجت معه ليلة عيد من المسجد، وأنا أذاكره في مسألة، حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس فقال: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس، فأخذه منه وأدخله في كمه، فأتاه رجل من الحلقة فقال: يا أبا عبد الله! ولدت امرأتي الساعة ولا شيء عندي، فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شيء.

كرم سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه

وعن أبي حازم، قال: انصرفت من العصر إلى سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، - وكان صائماً - فلما أمسى قلت لغلامه: هات فطره، قال: ما عنده شيئ، قال: فتمر، قال: ولا تمر، قال: فجعلت أسبه، وأقول: شيخ

مـن أصحـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم ضيعتـه؟ قـال: ومـا ذنبـي؟ فتـح اليـوم خزانتـه فـما تـرك فيهـا بـرة، ولا شـعيرة إلا قسـمه.

ما أحب الناس إليك؟

وعـن عبـد اللـه بـن خبيـق قـال: لقـي يحيـى بـن زكريـا عليهـما الصـلاة والسـلام إبليـس في صورتـه، فقـال لـه: يـا إبليـس أخـبرني مـا أحـب النـاس إليـك وأبغـض النـاس إليـك؟ قـال: أحـب النـاس إلي المؤمـن البخيـل، وأبغضهـم إلي الفاسـق السـخي، قـال يحيـى: وكيـف ذلـك؟ قـال: لأن البخيـل قـد كفـاني بخلـه، والفاسـق السـخي أتخـوف أن يطلـع اللـه عليـه في سـخاه فيقبلـه، ثـم ولَّى وهـو يقـول: لـولا أنـك يحيـى لم أخـبرك.

عشرة دراهم

وعـن الحسـين بـن الحسـن أنـه قـال: كنـا عنـد ابـن المبـارك رحمـه اللـه جلوسًـا، فجـاء سـائل فسـأله شـيئًا، فقـال: يـا غـلام ناولـه درهـمًا، فلـما ولى السـائل قـال لـه بعـض أصحابـه، يـا أبـا عبـد الرحمـن، هـؤلاء السـؤال يتغـدون بالشـواء والفالـوذج! كان يكفيـه قطعـة، فلِـم أمـرت لـه بدرهـم؟ قـال ابـن المبـارك: يـا غـلام، ردّه، إنمـا ظننـت أنهـم يجيـزون بالبقـل والخـل عنـد غدائهـم، فأمـا إذا كان غداؤهـم بالشـواء والفالـوذج فـلا بـد مـن عـشرة دراهـم، يـا غـلام ناولـه عـشرة دراهـم.

كرم وجود اللّيث بن سعد رحمه الله

وعـن منصـور بـن عـمار قـال: دخلـت عـلى الليـث بـن سـعد رحمـه اللـه يومًـا وعـلى رأسـه خـادم فغمـزه فخـرج ثـم ضرب الليـث بيـده إلى مصـلاه فاسـتخرج مـن تحتـه كيسًـا فيـه ألـف دينـار ثـم رمـى بهـا إلي، ثـم قـال: يـا

أبـا الـسري لا تعلـم بهـا ابنـي فتهـون عليـه.

وعـن عبـد اللـه بـن صالـح قـال: صحبـت الليـث رحمـه اللـه عشريـن سـنة لا يتغـدى ولا يتعـشى وحـده إلا مـع النـاس، وكان لا يـأكل اللحـم إلا أن يمـرض.

المصيبة

أمـا حكيـم بـن حـزام فقـد كان يحـزن عـلى اليـوم الـذي لا يجـد فيـه محتاجـاً ليقـضي حاجتـه حيـث يقـول: مـا أصبحـت وليـس ببـابي صاحـب حاجـة إلا علمـت أنهـا مـن المصائـب التـي أسـأل اللـه الأجـر عليهـا.

داود الطائي رحمه الله

وعـن قبيصـة قـال: حدثنـي صاحـب لنـا أن امـرأة مـن أهـل داود الطـائي رحمـه اللـه صنعـت ثريـدة بسـمن، ثـم بعثـت بهـا إلى داود حـين إفطـاره مـع جاريـة لهـا، وكان بينهـا وبينهـم رضـاع، قالـت الجاريـة: فأتيتـه بالقصعـة فوضعتهـا بـين يديـه في الحجـرة، قـال: فسـعى ليـأكل منهـا، فجاء سـائل فوقف عـلى البـاب، فقـام فقدمهـا إليـه، وجلـس معـه عـلى البـاب حتـى أكلهـا، ثـم دخـل فغسـل القصعـة، ثـم عمـد إلى تمـر كان بـين يديـه - قالـت الجاريـة: ظننـت أنـه كان أعـده لعشـائه - فوضعـه في القصعـة ودفعهـا إليّ، وقـال: أقرئيهـا السـلام، قالـت الجاريـة: ودفـع إلى السـائل مـا جئنـاه بـه، ودفـع إلينـا مـا أراد أن يفطـر عليـه، قالـت: وأظنـه مـا بـات إلا طاويًـا، قـال قبيصـة: كنـت أراه قـد نحـل جـداً.

إخوةٌ بعضهم من بعض

عـن مالـك الـداري أن عمـر بـن الخطـاب رضى اللـه عنـه أخـذ أربعمائـة

دينـار، فجعلهـا في صرَّة، فقـال للغـلام اذهـب بهـا إلى أبي عبيـدة بـن الجـراح رضي اللـه تعـالى عنـه، ثـم تلّهـى سـاعةً في البيـت حتـى تنظـر مـا يصنـع.

فذهـب الغـلام، قـال: يقـول لـك أمـير المؤمنـين: اجعـل هـذه في بعـض حاجتـك. قـال: وصلـه اللـه ورحمـه. ثـم قـال: تعـالَيْ يـا جاريـة اذهبـي بهـذه السـبعة إلى فـلان، وبهـذه الخمسـة إلى فـلان، وبهـذه الخمسـة إلى فـلان حتـى أنفذهـا.

فرجـع الغـلام إلى عمـر، فأخـبره، فوجـده قـد أعـدّ مثلهـا لمعـاذ بـن جبـل فقـال: اذهـب بهـا إلى معـاذ بـن جبـل رضي اللـه تعـالى عنـه، وتلّـه في البيـت سـاعة حتـى تنظـر مـا يصنـع، فذهـب بهـا إليـه قـال: يقـول لـك أمـير المؤمنين: اجعـل هـذه في بعـض حاجتـك فقـال: رحمـه اللـه ووصلـه. تعـالَيْ يـا جاريـة اذهبـي إلى بيـت فـلان بكـذا، اذهبـي إلى بيـت فـلان بكـذا. فاطلعـت امرأتـه، فقالـت: ونحـن واللـه مسـاكين فأعطِنـا، ولم يبـق في الخرقـة إلا ديـناران. فدحـا بهـما إليهـا فرجـع الغـلام إلى عمـر، فأخـبره بذلـك فقـال: إنهـم إخـوةٌ بعضهـم مـن بعـض.

سبب التّجارة

وكان مـورق العجـلي يتجـر فيصيـب المـال فيفرقـه عـلى الفقـراء والمسـاكين، وكان يقـول: لولاهـم مـا أتجـرت.

الباب التّاسع

قضاء حوائج الإخوان، المحتاجين و الضّعفاء

- **قال الله سبحانه و تعالى:** ﴿ وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون ﴾ الحج 76.
- **قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم:** «المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يُسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، و من فرّج عن مسلم كُربة[1] فرّج الله عنه بها كُربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يو م القيامة».
- **وقال محمد بن واسع رحمه الله:** ما رددت أحداً عن حاجة أقدر على قضائها. ولو كان فيها ذهاب مالي.
- **وقال الحسن البصري رحمه الله:** لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلى من أن أصلى ألف ركعة.
- **وقال عبيد الله بن عباس رحمه الله:** إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك، فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك.

---

(1) الكربة ما أهم النفس و غمّ القلب.

قضاء الحوائج نور

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما رأيت رجلاً أسعفته بحاجة إلاّ أضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيت رجلاً رددته إلاّ أظلم ما بيني وبينه.

معاوية رضي لله يجعل رجلاً على حوائج الناس

قال عمرو بن مرة لمعاوية رضي الله عنه : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلّم يقول: ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته، فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس.

بين معاوية رضي الله عنه و أعرابي

تعرض أعرابي لمعاوية رضي الله عنه في طريق ، فسأله فمنعه ، ثم عاوده في مكان آخر ، فقال : ألم تسألني آنفاً ؟ قال : نعم ، ولكن بعض البقاع أيمن من بعض ، فضحك ووصله .

علي بن الحسين يقضي دين محمد بن أسامة

دخل على بن الحسين رضى الله عنهما على محمد بن أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه ، فجعل محمد يبكي فقال : ما شأنك ؟! قال محمد : علي دين. قال علي بن الحسين : وكم هو ؟ قال محمد بضعة عشر ألف دينار. قال علي بن الحسين : فهي علي.

ابن عمر رضي الله عنه

قال مجاهد: صحبت ابن عمر رضى الله عنهما في السفر لأخدمه

فـكان يخدمنـي وكان كثـيراً.

خيرلك من حجة بعد حجة

وعـن مالـك بـن دينـار قـال بعـث الحسـن البـصري رحمـه اللـه محمـد بـن نـوح وحميـد الطويـل في حاجـة لأخيـه، فقـال: مـروا ثابـت البنـاني فأشـخصوا بـه معكـم، فقـال لهـم ثابـت: إني معتكـف، فرجـع حميـد إلى الحسـن فأخـبره بالـذي قـال ثابـت، فقـال لـه: ارجـع إليـه فقـل لـه: أمـا تعلـم أن مشـيك في حاجـة أخيـك خـير لـك مـن حجـة بعـد حجـة.

زكاة الجاه

وعـن يحيـى بـن خاقـان قـال: حـضرت الحسـن بـن سـهل رحمـه اللـه وقـد جـاءه رجـل يستشـفع بـه في حاجـة فقضاهـا، فأقبـل الرجـل يشـكره، فقـال لـه الحسـن: عـلام تشـكرنا ونحـن نـرى أن للجـاه زكاة، كـما أن للـمال زكاة؟ ثـم أنشـأ الحسـن يقـول:

فرضت عليّ زكاةُ ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكْتَ فَجُدْ وإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

إبراهيم بن أدهم رحمه الله والرجل الملهوف

وعـن شـقيق بـن إبراهيـم قـال: بينـا نحـن ذات يـوم عنـد إبراهيـم بـن أدهـم رحمـه اللـه، إذ مـر بـه رجـل مـن الصنـاع، فقـال إبراهيـم: أليـس هـذا فلانًـا؟ قيـل: نعـم! فقـال لرجـل: أدركـه فقـل لـه: قـال لـك إبراهيـم: مالـك لم تسـلم؟ قـال: لا واللـه، إن امـرأتي وضعـت وليـس عنـدي شيء فخرجـت شـبه المجنـون، فرجعـت إلى إبراهيـم وقلـت لـه: فقـال: إنـا للـه غفلنـا عـن صاحبنـا،

حتى نزل به الأمر! فقال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه، فدخلت السوق وأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا أردت فلانًا، قالت: ليس هو هنا، قلت: فمري بفتح الباب، وتنحي، قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرابه، فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم.

خير من اعتكاف شهر

وجاء رجل إلى الحسين بن علي رضي الله عنه فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكف، فأتي الحسن بن علي رضي الله عنه فأخبره، فقال الحسن: لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر.

صلة رحم

قام رجل إلى معاوية رضي الله عنه فقال له: سألتك بالرَّحم التي بيني وبينك. فقال: أمن قريش أنت؟ قال: لا. قال: أفمن سائر العرب؟ قال: لا. قال: فأية رحم بيني وبينك؟ قال رحم آدم. قال: رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها. ثم قضى حاجته!!.

أربعة لا أقدر على مكافأتهم

عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما قـال: أربعـة لا أقـدر عـلى مكافأتهـم: رجـل بـدأني بالسـلام، ورجـل وسَّـع لي في مجلـسي، ورجـل أغـبرت قدمـاه في حاجتـي، وأمـا الرابـع فـلا يكافئـه إلا اللـه. قيـل: ومـن هـو؟ قـال: رجـل نـزل بـدار فبـات مفكـراً ليلتـه بمـن ينـزل بـه، ثـم رآني أهـلاً لحاجتـه فأنزلهـا بي!!.

سالم بن قتيبة الباهلي

دخـل رجـلٌ عـلى سـالم بـن قتيبـة الباهـلي يكلمـه في حاجـة يطلبهـا منـه، فوضـع نصـل سـيفه عـلى إصبـع سـالم واتـكأ عليـه!! وجعـل يكلمـه في حاجتـه وقـد أدمـاه، وسـالمٌ صابـر، فلـما فـرغ الرجـل مـن حاجتـه وخـرج، دعـا سـالم بمنديـل، فمسـح الـدم عـن إصبعـه وغسـله، فقيـل لـه: هـلاّ نحيـت رجلـك أصلحـك اللـه، أو أمرتـه برفـع سـيفه عنـك. فقـال: خشـيت أن أقطعـه عـن حاجتـه!!.

الباب العاشر

التَّعاون

- **قال الله سبحانه و تعالى:** ﴿و تعاونوا على البر و التّقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان﴾ المائدة: 02
- **قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** نعم المؤازرة المشاورة.
- **قال أحد الشّعراء:**

أُعِين أخي أو صاحبي في بلائِه أقومُ إذا عضَّ الزَّمانُ وأقعُدُ

ومَن يفردِ الإخوانَ فيما ينوبُهم تَنُبْه الليالي مرَّةً وهو مفردُ

- **وقال آخر:**

النَّاسُ للنَّاسِ مِن بَدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ

- **وقال السّري الرّفّاء:**

إذا العبءُ الثَّقيلُ توزَّعته أكفّ القوم خفَّ على الرِّقابِ

تعاون إبراهيم وإسماعيل على بناء البيت

أمـر اللـه سـبحانه وتعـالى إبراهيـم عليـه السَّـلام ببنـاء الكعبـة، فقـام إبراهيـم عليـه السَّـلام اسـتجابة لأمـر اللـه، وطلـب مِـن ابنـه إسـماعيل أن يسـاعده عـلى تنفيـذ هـذا الأمـر الإلهـي، ويعينـه في بنـاء الكعبـة، فقـال لـه: يا إسـماعيل، إنَّ اللـه أمـرني بأمـرٍ، قـال: فاصنـع مـا أمـرك ربُّـك، قـال: وتعينني؟ قـال: وأعينـك، قـال: فـإنَّ اللـه أمـرني أن أبنـي هـا هنـا بيتًـا، وأشـار إلى أكمـةٍ مرتفعـةٍ عـلى مـا حولهـا، قـال: فعنـد ذلـك رفعـا القواعـد مِـن البيـت، فجعـل إسـماعيل يـأتي بالحجـارة وإبراهيـم يبنـي، حتـى إذا ارتفـع البنـاء، جـاء بهـذا الحجـر فوضعـه لـه فقـام عليـه، وهـو يبنـي وإسـماعيل يناولـه الحجـارة، وهـما يقـولان: ﴿رَبَّنَـا تَقَبَّـلْ مِنَّـا إِنَّـكَ أَنـتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيـمُ﴾ [البقـرة: 127]، قـال: فجعـلا يبنيـان حتـى يـدورا حـول البيـت وهـما يقـولان: رَبَّنَـا تَقَبَّـلْ مِنَّـا إِنَّـكَ أَنـتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيـمُ.

التَّعاون بين ذي القرنين وأصحاب السَّدِّ

لقـد مكَّـن اللـه عـزَّ وجـلَّ لـذي القرنـين في الأرض، وآتـاه مِـن كلِّ شيء سـببًا، فتوفَّـرت القـدرة والسُّـلطة، وتهيَّـأت أمامـه أسـباب القـوَّة والنُّفُـوذ التـي لم تتوفَّـر لكثـير غـيره. ﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَـن ذِي الْقَرْنَـيْنِ قُـلْ سَـأَتْلُو عَلَيْكُـم مِّنْـهُ ذِكْـرًا إِنَّـا مَكَّنَّـا لَـهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَـاهُ مِـن كُلِّ شَيْءٍ سَـبَبًا﴾ [الكهـف:83-84]، ومـع ذلـك لم يسـتغن ذو القرنـين عـن معونـة الآخريـن حينـما أراد أن يقـوم بعمـل كبـير، وإنجـاز عظيـم: ﴿حَتَّـى إِذَا بَلَـغَ بَـيْنَ السَّـدَّيْنِ وَجَـدَ مِـن دُونِهِـمَا قَوْمًـا لاَّ يَـكَادُونَ يَفْقَهُـونَ قَـوْلاً قَالُـوا يَـا ذَا الْقَرْنَـيْنِ إِنَّ يَأْجُـوجَ وَمَأْجُـوجَ مُفْسِـدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَـلْ نَجْعَـلُ لَـكَ خَرْجًـا عَـلَى أَن تَجْعَـلَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَهُـمْ سَـدًّا﴾ [الكهـف: 93-94]، فصارحهـم ذو القرنـين بـأن مثـل هـذا العمـل الضَّخـم يحتـاج إلى التَّعـاون، ولا يتـمُّ دونـه؛ فقـال: ﴿مَـا مَكَّنِّـي فِيـهِ رَبِّي خَـيْرٌ

فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95].. الآيات، فماذا كانت نتيجة هذا التَّعاون العظيم؟ كانت نتيجته إتمام عمل عظيم، سدٌّ منيع، لا يستطيع مهاجموه أن يعلو ظهره، ولا أن يحدثوا فيه خَرْقًا.. والدَّرس الذي نخرج به أنَّ التَّعاون إذا أخلص له أهلوه، وبذلوا فيه بصدقٍ ما استطاعوا حقق لهم مِن النتائج ما يكفي ويشفي.

تعاون النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه يوم الخندق

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ينقل التُّراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزل سكينة علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته: أبينا أبينا.

تعاون الصَّحابة رضي الله عنهم في حفر الخندق

نقل لنا الصَّحابيُّ الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه صورة مِن تعاون الصَّحابة وتكاتفهم في حفر الخندق، فيقول: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التَّراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمَّدًا على الإسلام ما بقينا أبدًا

والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يجيبهم ويقول:

اللَّهمَّ إنَّه لا خير إلَّا خير الآخرةْ فبارك في الأنصار والمهاجرةْ

تعاون أبي بكروأهل بيته مع النَّبيّ صلى الله عليه وسلم في هجرته

جهَّز أبو بكر راحلتين عندما أعلمه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بالهجرة، وخاطر بنفسه وهاجر مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعندما وصلا غار ثور دخل أبو بكر أوَّلًا ليستبرأ الغار للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كي لا يصيبه أذى، وأعدَّت أسماء بنت أبي بكر لهما جهاز السَّفر، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي لهما بأخبار قريش، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح الغنم عليهما وهما في الغار ليشربا مِن لبنها، وفي طريقهما إلى المدينة كان أبو بكر إذا تذكر طلب قريش للرَّسول صلى الله عليه وسلم مشى خلفه، وإذا تذكر رصدها له مشى أمامه.

تعاون الصَّحابة رضوان الله عليهم في بناء المسجد النبوي

عندما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لبني النَّجار: يا بني النَّجار ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلَّا إلى الله، فقال أنسٌ: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه خربٌ وفيه نخلٌ، فأمر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين، فنُبِشَت، ثمَّ بالخرب فسوِّيت، وبالنَّخل فقطِّع، فصفُّوا النَّخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصَّخر وهم يرتجزون والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم معهم، وهو يقول: اللَّهمَّ لا خير إلَّا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة.

الباب الحادي عشر

حسن التّعامل مع الجيران

- **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**«من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله». رواه أبو نعيم

- **وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:** «ما أمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه ، وهو يعلم به». رواه البزار

- **قال سفيان الثوري رحمه الله:** إذا اشتريت شيئًا لا تريد أن تنيل[1] جارك منه فواره[2].

- **يقول الإمام الغزالي رحمه الله :** واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضًا قد كف أذاه، فليس في ذلك قضاء حقه، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لا بد من الرِّفق، وإسداء الخير والمعروف.

- **قال احد الشعراء:**

ما ضر جاري إذ أجاوره ألا يكون لبيته ستر

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر

---

(1) أي تعطيه.

(2) أي أخفه.

لا خير فيها

عن أبي هريرة قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خير فيها، هي من أهل النار، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتصدق بأثوار، ولا تؤذي أحدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي من أهل الجنة.

نصيحة عبد الله بن مسعود

يُروى أن رجلاً جاء إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني، ويُضيِّق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك، فأطِع الله فيه.

الصبر على أذى الجار

يُروى أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى كان له جار يهودي، فحول اليهودي مستحمه إلى جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار متهدِّمًا، فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كلَّ يوم، ولم يقل شيئًا، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك، آذيتك كثيرًا وأنت صابر، ولم تُخبرني، فقال مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيُورِّثه ، فندِم اليهودي وأسلم.

ثمن الدار

وقال محمد بن علي بن الحسن: أراد جار لأبي حمزة السكري رحمه

اللـه أن يبيـع داره، قـال: فقيـل لـه: بكـم تبيعهـا؟ قـال: بألفـين ثمـن الـدار، وألفـين حـق جـوار أبي حمـزة. قـال: فبلـغ ذلـك أبـا حمـزة، فوجَّـه إليـه بأربعـة آلاف، وقـال: خذهـا ولا تبـع دارك.

بمن أبدأ؟

ولمـا ذبـح عبـد اللـه بـن عمـر رضي اللـه عنهـما شـاة قـال لغلامـه: إذا سـلخت فابـدأ بجارنـا اليهـودي. وسـألت أم المؤمنـين عائشـة رضي اللـه عنهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن لي جاريـن، فـإلى أيهـما أهـدي؟ قـال: إلى أقربهـما منـكِ بابًـا.

الحسن البصري وجاره المجوسي

روي عـن الحسـن البـصري رضي اللـه عنـه أنـه قـال : دخلـتُ عـلى بعـض المجـوس وهـو يجـود بنفسـه عنـد المـوت ، وكان منزلـهُ بـإزاء منـزلي ، وكان حسـن الجـوار ، وكان حسـن السـيرة ، حسـن الخلـق ، فرجـوتُ اللـه تعـالى أن يوفِّقـه عنـد المـوت ، ويميتُـه عـلى الإسـلام.

فقلـت لـه : مـا تجـد ، وكيـف حالـك ؟ فقـال : لي قلـب عليـل ولا صحّـة لي ،وبـدنٌ سـقيمٌ ولا قـوة لي ، وقـبر مُوحـش ولا أنيـس لي ،وسـفر بعيـد ولا زاد لي ، وصراطٌ دقيـق ولا جـواز لي ، ونـار حاميـة ولا بـدنَ لي ،وجنَّـة عاليـة ولا نصيب لي ، وربٌّ عـادل ولا حُجَّـةَ لي . قـال الحسـن : فرجـوتُ اللـه أن يوفِّقـه ، فأقبلـت عليـه وقلـت لـه : لم لا تُسـلِم حتـى تَسـلمَ ؟ قـال : يـا شـيخ ، إنَّ المِفتـاح بيـدِ الفتـاح ، والقفُـل هاهنـا ، وأشـار إلى صـدره ، وغـشيَ عليـه . قـال الحسـن : فقلـت : إلهـي وسـيِّدي ومـولاي ، إن كان سـبقَ لهـذا المجـوسيِّ عنـدك حسـنةٌ فعجِّـل لهـا إليـه قبـل فـراق روحـه مـن الدنيـا، وإنقطـاع الأمـل . فأفـاق مـن عشـيته ، وفتـح عينـه ، ثـم أقبـل وقـال : يـا شـيخ ، إنَّ الفتَّـاح أرسـل المفتـاح،

أمـدد يمنـاك ، فأنـا أشـهد أن لا إلـه إلاَّ اللـه وأشـهدُ أن محمـداً رسـول اللـه ، ثـم خرجـت روحـه وصـار إلى رحمـة اللـه .

قصة أبي حنيفة مع جاره

كان لأبي حنيفـة جـار سـكير يسـكر في كل ليلـة، ويبـدا بالرقـص والغنـاء، ويزعـج ابـا حنيفـة في خلوتـه مـع ربـه، وكان إذا سـكر يغنـي ويقـول أضاعـوني و أي فتـى اضاعـوا ليـوم كريهـة وسـداد ثغـر ، وفي يـوم مـن الأيـام لم يسـمع أبـو حنيفـة صـوت الغنـاء والرقـص، فسـأل عـن جـاره فأجابـوه أنـه أخـذه العسـعس: وهـي الشرطـة الليليـة، وهـو محبـوس في المخفـر، فصلى أَبُـو حنيفة صـلاة الفجـر مـن غـد، وركـب بغلتـه، واسـتأذن عـلى الأمـير، قـال الأمـير: ائذنوا لـه، وأقبلـوا بِـهِ راكبـاً، ولا تدعـوه ينـزل حتـى يطـأ البسـاط، ففعـل، فلـم يـزل الأمـير يوسـع لـه مـن مجلسـه، وقـال: مـا حاجتـك؟ قَـالَ: لي جـار إسـكاف أخـذه العسـس منـذ ليال،يأمرالأمـير بتخليتـه، فقـال: نعـم، وكل مـن أخـذ في تلـك الليلـة إلى يومنـا هَـذَا، فأمـر بتخليتهـم أجمعـين، فركـب أَبُـو حنيفـة والإسـكاف يمـشي وراءه، فَلَـمَّا نـزل أَبُـو حنيفـة مـضى إِلَيْـهِ، فقـال: يـا فتـى، أضعنـاك؟ فقـال لا، بـل حفظـت ورعيـت، جـزاك اللـه خـيرا عـن حرمـة الجـوار ورعايـة الحـق، وتـاب الرجـل ولم يعـد إلى السـكر والخمـر مـن يومـه هـذا .

الباب الثّاني عشر

حسن الظَّن بالنّاس

- **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرا وأنت تجد لها في الخير محملا.
- **قال الشافعي رحمه الله:** من أراد إن يقضي له الله بخير فليحسن ظنه بالناس.
- **قال المتنبي:**

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه وصدَّق ما يعتادُه من تـــــوهُّمِ

وعادى محبِّيه بقولِ عُـــــداتِه فأصبح في دَاجٍ مـــن الشَّكِّ مظلمِ

- **قال أحد الشّعراء:**

حَسِّنِ الظَّنَّ تعشْ في غبــطةٍ إنَّ حُسْن الظَّنِّ مِن أوقى الجننْ

مَن يظن السُّوءَ يُجْزَى مــثلَه قلَّما يُجْزَى قبيحٌ بحســــــــــنْ

- **وقال آخر:**

من ساء ظنًّا بما يهواه فارقه وحرَّضته على إبعادِه التُّهمُ

- **وقال آخر:**

ما يستريحُ المسيءُ ظنًّا مِن طولِ غمٍّ وما يريحُ

لون بشرة الطّفل

فهذا رجل جاء إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم وقد داخلته الرِّيبة في امرأته، وأحاطت به ظنون السُّوء فيها؛ لأنَّها ولدت غلامًا أسود، على غير لونه ولونها، فأزال النَّبي صلى الله عليه وسلم ما في قلبه من ظنٍّ وريبة، بسؤاله عن لون إبله، فقال: (ألوانها حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم. قال: فأنَّى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق).

بين أبو بكر وعلي رضي الله عنهما

جلس أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هدوء و تواضع على منبر النبي صلى الله عليه و سلّم، وقبل أن يُعطّر أذان الجالسين بالذكر و النّصح، إذا بالحسن بن علي يسرع إليه و يشدّه من طرف ثوبه وهو يقول: إنزل عن منبر أبي.

فقال أبو بكر الصّديق رضي الله عنه خافضا رأسه في تواضع: صدقت إنه منبر أبيك. ثم رفع أبو بكر رضي الله عنه الحسن رضي الله عنه ووضعه في حجره.وأجهش بالبكاء. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: و الله...ما أمرته بهذا.

قال أبو بكر الصّديق رضي الله عنه والدّموع تسيل على خدّيه: صدقت ... و الله ما أتهمك.

هو كذب

وقد كان الصَّحابة رضوان الله عليهم، مثالًا يُحتذى بهم في حُسْن الظَّن بالمؤمنين، فهذا أبو أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب:

يـا أبـا أيـوب ألا تسـمع مـا يقـول النَّـاس في عائشـة؟ قـال: بـلى، وذلـك الكذب. أكنـت أنـت يـا أمَّ أيـوب فاعلـة ذلـك؟ قالـت: لا واللـه مـا كنـت لأفعلـه.

الشافعي رحمه الله

مـرض الشـافعي رحمـه اللـه، فأتـاه بعـض إخوانـه يعـوده، فقال للشـافعي: قـوَّى اللـه ضعفك.

فقال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني.

قال: والله ما أردت إلَّا الخير.

فقال الشافعي: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير.

الباب الثّالث عشر

الحـــــــياء

• **قال حبيب بن أوس:**

إذا لـــم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحِ فاصنعْ مـــــا تشاءُ

فلا واللهِ مـا في العيشِ خيرٌ ولا فـي الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقَى العـــودُ ما بقي اللِّحاءُ[1]

• **وقال صالح بن جناح:**

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤهُ فلا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ

حياءَك فاحفظْه عليك فإنَّما يدلُّ على فضلِ الكريمِ حياؤهُ

• **وقال العرجي:**

إذا حُرِم المـــــرءُ الحَيَاءَ فإنَّه بكلِّ قبيحٍ كان منـــــه جديرُ

له قِحةٌ في كـــلِّ شيءٍ، وسرُّه مباحٌ، وخـــــدناه خنًا وغرورُ

يرى الشَّتم مدحًا والدَّناءة رفعةً وللسَّمع منه في العــظات نفورُ

ووجهُ الحَيَاء مُلبَّسٌ جـــلدَ رِقَّةٍ بغيضٌ إليه مـــــا يشينُ كثيرُ

له رغبةٌ في أمـــــــرِه وتجرُّدٌ حليمٌ لـــدى جهلِ الجهولِ وقورُ

فرجِّ الفتى مـــادام يحيا فإنَّه إلى خيرِ حـــالاتِ المنيبِ يصيرُ

---

(1) تُنسب أيضا هذه الأبيات للشّاعر أبو تمام.

حياء أبينا آدم وأمّنا حواء

إنَّ الحَيَاء خاصيَّة مِن الخصائص التي حبا الله بها الإنسان؛ ليبتعد عن مزاولة الذُّنوب والمعاصي والشَّهوات، وحينما أكل آدم وحواء مِن الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، بدت لهما سوءاتهما، فأسرعا يأخذان مِن أوراق الجنَّة ليسترا عوراتهما، فتحدَّث القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف:22).

حياء نبي الله موسى عليه السَّلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ موسى كان رجلًا حييًّا ستِّيرًا، لا يُرَى مِن جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه مِن بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التَّستُّر إلَّا مِن عيب بجلده، إمَّا برص وإمَّا أُدْرَة وإمَّا آفة. وإنَّ الله أراد أن يبرِّئه ممَّا قالوا لموسى فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثمَّ اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملإٍ مِن بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وبرّأه ممَّا يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فو الله إنَّ بالحجر لندبًا مِن أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب:69].

صور مِن حياء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم

حياؤه مِن الله

ومِـن مظاهـر حيائـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـاؤه مِـن خالقـه سـبحانه وتعـالى؛ وذلـك لمـا طلـب مـوسى عليـه السَّـلام مِـن نبيِّنـا صـلى اللـه عليـه وسـلم في ليلـة الإسراء أن يراجـع ربَّـه في تخفيـف فـرض الصَّـلاة، قـال النَّبـيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم لمـوسى عليـه السَّـلام: اسـتحييت مِـن ربِّي.

حياؤه مِن النَّاس

مِـن ذلـك مـا جـاء عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا أنَّ امـرأة سـألت النَّبـيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم عـن غسـلها مِـن المحيـض، فأمرهـا كيـف تغتسـل، ثـمَّ قـال: خـذي فرصـة مِـن مسـك فتطهَّـري بهـا. قالـت: كيـف أتطهـر بهـا؟ قالت: فسـتر وجهـه بطـرف ثوبـه، وقـال: سـبحان اللـه! تطهَّـري بهـا. قالـت عائشـة: فاجتذبـت المـرأة فقلـت: تتبَّعـي بهـا أثـر الـدم.

حياؤه في تعامله مع مَن بلغه عنه شيء

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت كان النَّبـيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا بلغـه عـن الرَّجـل الـشَّيء لم يقـلْ: مـا بـال فـلانٍ يقـول؟ ولكـن يقـول: مـا بـال أقـوامٍ يقولـون كـذا وكـذا؟.

***

حياء عثمان بن عفان رضي الله عنه

ذات يـوم اسـتأذن أبـو بكـر الصديـق رضي اللـه عنـه عـلى النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم وهـو مضطجـع عـلى فراشـه لا بـس مـرط (كسـاء) عائشـة رضي اللـه عنهـا ، فـأذن لأبي بكـر رضي اللـه عنـه وهـو كذلـك ، فقـضى إليـه حاجتـه ثـم انـصرف ، ثـم اسـتأذن عمـر رضي اللـه عنـه فـأذن لـه ، وهـو عـلى تلـك الحالـة ، فقـضى إليـه حاجتـه ، ثـم انـصرف ، ثـم اسـتأذن عثـمان رضي اللـه عنـه ، فجلـس النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم وقـال للسـيدة عائشـة رضي اللـه عنهـا : اجمعـي عليـك ثيابـك ، فقـضى إليـه حاجتـه ثـم انـصرف .

فقالـت عائشـة رضي اللـه عنهـا: يـا رسـول اللـه . . مـالي لا أراك فزعـت لأبي بكـر وعمـر رضي اللـه عنهـما كـما فزعـت لعثـمان ؟

فقـال صـلى اللـه عليـه و سـلّم : إن عثـمان رجـل حيـي ، وإني خشـيت إن أذنـت لـه عـلى تلـك الحالـة لا يبلـغ إلى حاجتـه وفي روايـة : قـال صـلى اللـه عليـه و سـلّم : ألا أسـتحي ممـن تسـتحي منـه الملائكـة . وكان عثـمان رضي اللـه عنـه يكـون في البيـت والبـاب عليـه مغلـق فـما يضـع عنـه الثـوب ليفيـض عليـه المـاء ، يمنعـه الحيـاء أن يقيـم صلبـه .

حياء أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه

خطـب الصِّدِّيـق النَّـاس يومًـا، فقـال: يـا معـشر المسـلمين، اسـتحيوا مِـن اللـه، فـو الـذي نفـسي بيـده إنِّي لأظـلُّ حـين أذهـب الغائـط في الفضـاء متقنِّعًـا بثـوبي اسـتحياءً مِـن ربِّي عـزَّ وجـلَّ.

حياء عائشة رضي الله عنها

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: كنـت أدخـل بيتـي، الـذي دُفِـنَ فيـه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي، فأضع ثوبي، فأقول إنَّما هو زوجي وأبي، فلمَّا دُفِنَ عمر معهم، فو الله ما دخلت إلَّا وأنا مَشْدُودَةٌ عليَّ ثيابي؛ حَيَاءً مِن عمر.

حياء فاطمة بنت عتبة رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأخذ عليها أن لا يُشْرِكْنَ بالله شيئًا ولا يَزْنِينَ، الآية. قالت: فوضعت يدها على رأسها حَيَاءً، فأَعْجَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى منها، فقالت عائشة: أَقِرِّي أيَّتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلَّا على هذا. قالت: فنعم إذًا. فبايعها بالآية.

حياء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لا يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب ثقيل ويقول : إني أستحيى من الله أن يراني في الحمام متجرداً من ثيابي .

أما خفت الأسد؟

ورُوِي أنَّ عمرو بن عتبة بن فرقد كان يصلِّي ذات ليلة، فسمعوا صوت الأسد، فهرب مَن كان حوله، وهو قائم يصلِّي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إنِّي لأستحي مِن الله أن أخاف شيئًا سواه.

ما هذا الجزع؟

ولما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزع؟ ومَن أحقُّ منِّي بذلك؟ والله لو أُتيت بالمغفرة مِن الله

لأهمَّني الحَيَاء منه مـمَّا قد صنعت، وإنَّ الرَّجل ليكون بينه وبين الرَّجل الذَّنْب الصَّغير، فيعفو عنه، ولا يزال مستحييًا منه.

حياء زيد بن ثابت

عن محمد بن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل دارًا فقيل له، فقال: إنه من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.

أهمية الحياء

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شرا، أو هلكة نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا، فإذا كان مقيتًا ممقتًا نزعت منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظًا غليظًا، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان كذلك نزعت ربقة الإسلام من عنقه فكان لعينًا ملعنًا.

حياء أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياءً من ربي .

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إذا نام لبس ثيابه عند النوم مخافة تنكشف عورته .

وذات يوم رأى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قوماً يقفون في الماء وعورتهم مكشوفة فقال : لأن أموت ثم أنشر ، ثم أموت ثم أنشر ، ثم أموت ثم أنشر أحب إلى من أن أفعل مثل هذا.

استحي من ذنوبي

لما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزعُ؟! ومَنْ أحق مني بذلك؟ والله لو أُتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، وإن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذَّنْبَ الصغير، فيعفو عنه، ولا يزال مستحيًا منه.

الحياء من الله سبحانه

قال بعضهم: خرجنا ليلة فمررنا بأَجَمَة، فإذا رجل نائم، وفرس عند رأسه ترعى، فحرَّكناه، وقلنا له: ألا تخاف أن تنام في مثل هذا الموضع المَخُوف وهو مُسْبِع؟ فرفع رأسه، وقال: أنا أستحي منه تعالى، أن أخاف غيره. ووضع رأسه ونام.

وعن ابن السماك رحمه الله قال: اجتمع ثلاثة من العبّاد، فقيل لأحدهم: لم تعمل؟ قال: رجاء الثواب، وقيل للآخر: لم تعمل؟ قال: خوف العقاب، وقيل للثالث لم تعمل؟ قال: حياء من المقام.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا استحيى العبد من ربه -عزَّ وجلَّ -فقد استكمل الخير.

الباب الرّابع عشر

الحِلم وكظم الغيظ

• **قال عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:** أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمِه أنّ النـاسَ أنصارُه على الجَهُول.

• **قال الشافعي رحمة الله عليه:**

يخاطبني السَّفِيهُ بكلِّ قبحٍ فأكرهُ أن أكونَ له مجيبَا

يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حلمًا كعودٍ زاده الإحراقُ طيبَا

• **وقال الإمام الشافعي أيضا:**

و الصمت عن جاهل أو أحمق شرف ومنه أيضاً لصون العرض إصلاح

أما ترى الأسد تخش و هي صامتة والكلب يخشى لعمري و هو نباح

• **قال العَرْجِيُّ:**

وإذا غَضِبتَ فكن وقورًا كاظمًا للغيظ تُبصر ما تقول وتسمعُ

فكفَى به شرفًا تصبُّر ساعةٍ يَرضى بها عنك الإله وتُرفعُ[1]

• **وقال الشاعر:**

رجعت على السَّفِيه بفضلِ حِلْمٍ وكان الفعلُ عنه له لِجَاما

وظنَّ بي السَّفاهَ فلم يجدني أسافهُه وقلتُ له سلاما

---

(1) أي: يَرفع قدرك

فقـــــام يجرُّ رجليه ذليلًا وقـــــد كسب المذمَّةَ والملاما
وفضلُ الحِلْمِ أبلغُ في سفيهٍ وأحرى أن ينـــــالَ به انتقاما

صور من حِلم النَّبيﷺ وكظمه لغيظه

عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: كنـت أمـشي مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وعليـه بـردٌ نجـرانيٌّ غليـظ الحاشـية، فأدركـه أعـرابيٌّ، فجبـذه بردائـه جبْـذَةً شـديدةً، حتـى نظـرت إلى صفحـة عاتـق رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد أثَّـرت بهـا حاشـية الـبُرْد مِـن شـدَّة جَبْذَتـه، ثـمَّ قال:يـا محمَّـد! مُـرْ لي مِـن مـال اللـه الـذي عنـدك، فالتفـت إليـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ثـمَّ ضحـك، ثـمَّ أمـر لـه بعطـاء.

وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه أنَّ رجـلًا أتى النَّبـيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم يتقاضـاه فأغلـظ، فهـمَّ بـه أصحابـه، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسـلم: دعـوه فـإنَّ لصاحـب الحـقِّ مقـالًا. ثـمَّ قـال: أعطـوه سِـنًّا مِثْـل سِـنِّه، قالـوا: يـا رسـول اللـه، لا نجـد إلَّا أمثـل مِـن سِـنِّه، فقـال: أعطـوه، فـإنَّ مِـن خيركـم أحسـنكم قضـاءً.

وعـن أنـس رضي اللـه عنـه قـال: كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مِـن أحسـن النَّـاس خُلُقًـا، فأرسـلني يومًـا لحاجـة، فقلـت: واللـه لا أذهـب، وفي نفـسي أن أذهـب لمـا أمـرني بـه نبـيُّ اللـه صـلَّى اللـه عليـه وعـلى آلـه وسـلَّم، قـال: فخرجـت حتـى أمـرَّ عـلى صبيـان وهـم يلعبـون في السُّـوق، فـإذا رسـول اللـه صـلَّى اللـه عليـه وآلـه وسـلَّم، قابـضٌ بقفـاي مِـن ورائي، فنظـرت إليـه وهـو يضحـك، فقـال: يـا أنيـس! اذهـب حيـث أمرتـك، قلـت: نعـم، أنـا

أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعتُ: لم فعلتَ كذا وكذا؟ ولا لشيء تركتُ: هلَّا فعلتَ كذا وكذا؟.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحر النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ مِن اليهود، فاشتكى لذلك أيَّامًا، قال: فجاءه جبريل عليه السَّلام، فقال: إنَّ رجلًا مِن اليهود سحرك، عقد لك عقدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها مَن يجيء بها. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله تعالى عنه، فاستخرجها، فجاءه بها فحلَّلها، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنَّما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها. فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك. قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، قال: أو قال: علي، قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا.

عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما كان يوم حنين، آثر النَّبي صلى الله عليه وسلم أناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عُيَيْنة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجلٌ: والله إنَّ هذه القسمة ما عُدل فيها، وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله، لأخبرنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته، فأخبرته، فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر.

حِلْم عمرو بن العاص رضي الله عنه

قال رجل لعمرو بن العاص رضي الله عنه: والله لأتفرَّغنَّ لك، قال: هنالك وقعت في الشُّغل، قال: كأنَّك تهدِّدني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنَّ لك عشرًا، فقال عمرو: وأنت والله لئن قلتَ لي عشرًا، لم أقلْ لك واحدة.

وجعل رجلٌ جُعلاً لرجل على أن يقومَ إلى عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه يسألُه عن أمِّه، فقام إليه وهو يخطبُ على منبر تِنيِّس، فقال له: أيها الرجل أَخبِرنَا مَنْ أُمّكَ؟ فقال: كانت امرأةً من عَنَزَةَ أُصيبت بأطراف الرّماح فوقعت في سهم الفاكه بن المغِيرة فاشتراها أبي فوقع عليها، انطلِق وخُذْ ما جُعِلَ لك على هذا.

حِلْم أبي ذر رضي الله عنه

شَتم رجلٌ أبا ذَرٍّ رضي الله عنه فقال: يا هذا، لا تُغرق في شَتمنا ودَع للصُّلح مَوضعًا، فإنَّا لا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر مِن أن نُطيع الله فيه .

حلم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه

عن أبي برزة، قال: كنت عند أبي بكر رضي الله عنه، فتغيَّظ على رجلٍ، فاشتدَّ عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام، فدخل، فأرسل إليَّ، فقال: ما الذي قلت آنفًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه. قال: أكنت فاعلًا لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم . قال أحمد بن حنبل: أي لم يكن لأبي بكر أن يقتل

رجلًا إلَّا بإحدى الثَّلاث التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم: كفرٌ بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس.

حلم عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النَّفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القُرَّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبَّانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير؟ فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عبَّاس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأَذِن له عمر، فلمَّا دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطَّاب! فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغَضِب عمر، حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله تعالى قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله .

روي أن عمر رضي الله عنه رأى سكران ، فأراد أن يأخذه ليعزره ، فشتمه السكران ، فرجع عنه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته ، قال : إنما تركته لأنه أغضبني ، فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسي ، فلا أحب أن أضرب مسلماً لحمية نفسي .

حلم الحسن رضي الله عنه

غضب رجل من الحسن رضي الله عنه وشتمه وافترى عليه ، فقال له : أما أنت فما أبقيت شيئاً ، وما يعلم الله أكثر.

حِلْم ابن عبَّاس رضي الله عنهما

سـبَّ رجـلٌ ابـن عبَّـاس رضي اللـه عنهـما، فقـال ابـن عبَّـاس: يـا عكرمـة هـل للرَّجـل حاجـة فنقضيهـا؟ فنكَّـس الرَّجـل رأسـه، واسـتحى مـمَّا رأى مِـن حلمـه عليـه.

حِلْم عمر بن عبد العزيز رحمه الله

وأسـمع رجـلٌ عمـر بـن عبـد العزيـز بعـضَ مـا يَكْـره، فقـال: لا عليـك، إنَّمـا أردتَ أن يَسْـتفزَّني الشَّـيطان بعـزَّة السُّـلطان، فأنـال منـك اليـوم مـا تنالُـه منِّـي غـدًا، انـصرفْ إذا شـئت.

لمـا ولي عمـر بـن عبـد العزيـز الخلافـة خـرج ذات ليلـة، ومعـه حرسـه الذيـن يحرسـونه، فدخـل المسـجد فمـر في الظلمـة برجـل نائـم فعـثر بـه، فرفـع النائـم رأسـه إليـه فقـال: أمجنـون أنـت ؟ فـردّ عليـه عمـر: لا. فهـمّ بـه الحـراس، فقـال لهـم عمـر: اتركـوه؛ إنمـا سـألني: أمجنـون أنـت ؟ فقلـت: لا.

صور من حلم الاحنف بن قيس رحمه الله

وشـتم رجـلُ الاحنـف رحمـه اللـه وجعـل يتبعُـه حتـى بلـغ حَيَّـه، فقـال الأحنـف: يـا هـذا إن كان بقِـي في نفسـك شيء فهاتِـه وانـصِرْف لاَ يَسـمَعْكَ بعـضُ سُـفَهائنا فتَلْقَـى مـا تَكْـرهُ.

وعـن عبـد اللـه بـن بكـر المُـزَنيّ قـال: جـاء رجـل فشـتم الأحنـفَ رحمـه اللـه فسـكتَ عنـه، وأعـاد فسـكت، فقـال: والهَفـاه! مـا يمنعُـه مِـنْ أن يَـرُدَّ عـليّ إلاّ هَـوَانِي عليـه.

أغلظ رجل للأحنف بن قيس في الكلام - وكان رحمه الله قد اشتهر بحلمه – فقال الرجل : والله يا أحنف ، لئن قلت لي واحدة لتسمعنّ بدلها عشرا . فقال له: إنك إن قلت لي عشرا، لا تسمع مني واحدة.

صور من حلم قيس بن عاصم المنقري

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لقيس بن عاصم المنقري: «أنت سيد أهل الوبر» لأنه من أحلمهم فقد ضرب في الحلم والصفح أروع الأمثلة ، حتى إنه ما كان يغضب أبداَ .

جلس مرة من المرات وهو محتب .. فجاء ولد له فقال : قتل أخي .

قال: من قتله ؟.

قال : ابن فلانة ، امرأة كانت عندهم من قبيلتهم.

قال الأحنف بن قيس : فو الله ما حل قيس بن عاصم حبوته ولا تحرك ولا تغير .

فلما انتهى من الحديث قال: جهزوه وغسلوه، ثم ائتوني به لأصلي عليه وأودعه، وخذوا مائة ناقة وأعطوها ذاك الولد لئلا يخاف.. وطمئنوا أمه لئلا تظن بنا شراً .. وعفا الله عما سلف !!.

قال الأحنف بن قيس : منذ ذلك اليوم تعلمت الحلم.

وعن الأحنف بن قيس قال: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم؛ لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه، فأتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه،

فقال: ذعرتم الفتى! ثم أقبل على الفتى، فقال: يا بني! بئس ما صنعت، نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمتّ عدوك، وأسأت بقومك، خلوا سبيله، واحملوا إلى أمّ المقتول ديته، فإنها غريبة. ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته، ولا تغير وجهه.

وقيل للأحنف رحمه الله: ما أحلمَكَ! قال: تَعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَري، بينا هو قاعد بِفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه، أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك. فوالله ما حَل حُبْوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفتَ إلى ابن له في المجلس، فقال له: قم فأطلِق عن ابن عمك ووَارِ أخاك واحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غَرِيبةٌ، ثم أنشأ يقول:

إني امرؤٌ لا شائنٌ حَسَبِي ذَنَسٌ يُغَيِّرُهُ ولا أَفْـــــنُ
مِنْ مِنْقَرٍ في بيتِ مَكرُمةٍ والغُصْنُ يَنبُتُ حَولَهُ الغُصْنُ
خُطَباءُ حين يَقُولُ قائِلُهم بِيضُ الوجوهِ ، أعِفَّةٌ لُسْـــنُ
لا يَفْطَنُونَ لِعَيبِ جَارِهم وهُـــمُ لِحفْظِ جِوَارِه فُطْنُ

ثم أقبلَ على القاتل فقال: قَتَلْتَ قَرَابتَك، وقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وأَقلَلْتَ عَدَدَكَ، لا يُبعِدِ الله غيرَك.

صور من حلم معاوية رضي الله عنه

وعن زياد بن أبيه قال: ما غلبني معاوية في شيء إلا مرة واحدة، استعملت فلاناً، فكسر متاعي، فخشي أن أعاقبه، ففرّ مني إلى معاوية، فكتبت إليه: إن في هذا أدب سوء لمن استعملته، فكتب إليّ: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، أن نلين جميعاً فيمرح الناس في المعصية،

ولا نشتد جميعاً فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدة والفظاظة، وأكون أنا للين والألفة.

كان معاوية بن أبي سفيان يقول : إني لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي ، وذنب لا يسعه عفوي ، وحاجة لا يسعها جودي .

وقال معاوية رضي الله تعالى عنه: لقد كنت ألقَى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه عليّ ضغنا فأستشيره، فيشير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتمًا وأوسعه حلمًا حتى يرجع صديقًا أستعين به فيعينني وأستنجده فيُنجدني.

كان الرَّجل يقول لمعاوية رضي الله عنه: والله لتستقيمنَّ بنا يا معاوية، أو لنقوِّمنَّك، فيقول: بماذا؟ فيقولون بالخشب، فيقول إذًا أستقيم .

خطب معاوية رضي الله عنه يوماً فقال له رجل : كذبت ، فنزل مغضباً فدخل منزله ثم خرج عليهم تقطر لحيته ماءً ، فصعد المنبر ، فقال : أيها الناس ، إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فيطفئه بالماء ، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته.

ذات يوم .. نظر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى ابنه يزيد وهو يضرب غلاماً له .

فقال له : أتفسد أدبك بأدبه .

فلم ير ضارباً غلاماً له بعد ذلك.

حِلْم الشَّعَبي

شَتم رجلٌ الشَعبَيَّ، فقال له: إن كنتَ صادقًا فغَفر الله لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك.

الفضيل بن بَزْوَان

عن أبي رزين قال: جاء رجل إلى الفضيل بن بَزْوَان، فقال: إنَّ فلانًا يقع فيك. فقال: لأغيظنَّ مَن أمره، يغفر الله لي وله. قيل: من أمره؟ قال: الشَّيطان

وهب بن مُنَبِّه

عن جبير بن عبد الله قال: شهدت وهب بن مُنَبِّه وجاءه رجلٌ، فقال: إنَّ فلانًا يقع فيك. فقال وهب: أما وجد الشَّيطان أحدًا يستخفَّ به غيرك. قال: فما كان بأسرع من أن جاء الرَّجل، فرفع مجلسه وأكرمه

حلم علي بن الحسين رحمه الله

وعن عبد الغفّار بن القاسم قال: كان علي بن الحسين رحمه الله خارجًا من المسجد، فلقيه رجل فسبّه، فثارث إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً على الرجل. ثم أقبل على الرجل، فقال ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر. ألكَ حاجة نعينك عليها؟ فاستحْيا الرجل، فألقى عليه خَمِيصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

وعن رجل من ولَد عمّار بن ياسر قال: كان عند علي بن الحسين رحمه الله قومٌ، فاستعجل خادمٌ له بشِواء كان له في التنّور، فأقبل به

الخـادم مسرعًـا وسـقط السّـفود مـن يـده عـلى بُنـيٍّ لعـلي أسـفلَ الدّرجـة، فأصـاب رأسـه فقتلـه، فقـال عـلي للغـلام: أنـت حـرٌ، لم تعمـده، وأخـذ في جهـاز ابنـه.

حلم سالم بن عبد الله

وقـال رجـل مـرّة لسـالم بـن عبدالله بـن عمـر رضي الله عنهـم ، : يـا شـيخ السـوء ، فقـال لـه سـالم : مـا أراك بعـدت يـا أخـي .

حلم ابن عون

وذكـر علـماء التراجـم أن ابـن عـون كانـت لـه ناقـة يغـزو عليهـا ويحـج، وكان بهـا معجبـاً، فأمـر غلامـاً لـه يسـتقي عليهـا، فجـاء بهـا، وقـد ضربهـا عـلى وجههـا، فسـالت عينهـا عـلى خدهـا، فقـال بعضهـم: إن كان مـن ابـن عـون شيء فاليـوم، فلـم يلبـث أن نـزل، فلـما نظـر إلى الناقـة قـال: سـبحان اللـه!! أفـلا غـير الوجـه بـارك اللـه فيـك؟ اخـرج عنـي، واشـهدوا أنـه حـر.

مثل الناموسة والفيل

وقـال ابـن كثـير رحمـه اللـه: قالـوا: كان أبـو بكـر النحـوي رحمـه اللـه الملقـب بالوجيـه لا يغضـب قـط، فتراهـن جماعـة مـع واحـد أنـه إن أغضبـه كان لـه كـذا وكـذا، فجـاء إليـه فسـأله عـن مسـألة في العربيـة فأجابـه فيهـا بالجـواب، فقـال لـه السـائل: أخطـأت أيهـا الشـيخ، فأعـاد عليـه الجـواب بعبـارة أخـرى، فقـال: كذبـت، ومـا أراك إلا قـد نسـيت النحـو، فقـال الوجيـه: أيهـا الرجـل فلعلـك لم تفهـم مـا أقـول لـك، فقـال بـلى، ولكنـك تخطـيء في الجـواب، فقـال لـه، فقـل أنـت مـا عنـدك لنسـتفيد منـك، فأغلـظ لـه السـائل في القـول، فتبسـم ضاحـكًا، وقـال لـه: إن كنـت راهنـت فقـد غُلبـت، وإنمـا

مثلك مثل البقّة ـ يعني الناموسة ـ سقطت على ظهر الفيل فلما أرادت أن تطير، قالت له: استمسك فإني أحب أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسستُ بك حين سقطتِ فما أحتاج أن أستمسك إذا طرت.

توأمان أنتجتهما علوُّ الهمَّة

قال علي بن أبي طالب: سألت أحدا من كبراء فارس عن أحمد ملوكهم عندهم؟ قال: أزدشير فضل السبق، غير أن أحمدهم سيرة أنوشروان. قال: فأي أخلاقه كان أغلب عليه؟ قال: الحلم والأناة. فقال علي: رضي الله عنه: هما توأمان أنتجتهما علوُّ الهمَّة.

حلم سَلْم بن نوفل

كان سَلْم بن نوفل سيِّد بني كنانة قد ضربه رجلٌ من قومه بسيفه، فأُخِذَ، فأُتِي به إليه فقال له: ما الذي فعلت، أما خشيت انتقامي؟ قال: لا. قال: فَلِمَ؟ قال: ما سوَّدْنَاك إلاَّ أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني، وتحلُم على الجاهل، وتحتمل المكروه في النفس والمال. فخلَّى سبيله. فقال قائلهم: تُسَوَّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ.

حلم عبد الرحمن بن الحكم

مَرَّ عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بناس من بني جمح، فنالوا منه، فبلغه ذلك، فمرَّ بهم وهم جلوس، فقال: يا بني جمح، قد بلغني شتمكم إيَّايَ، وانتهاككم ما حَرَّم الله، وقديمًا شتم اللئام الكرام فأبغضوهم، وايم الله ما يمنعني منكم إلاَّ شِعْرٌ عرض لي، فذلك الذي حجزني عنكم. فقال رجل منهم: وما الشعر الذي نهاكم عن شتمنا؟ فقال:

فوالله مـا عطفا عليكم تركتكم ولكنني أكرمتُ نفسي عـن الجهلِ
نأوت بـها عنكم وقلتُ لعاذلي على الحِلْم دعني قد تداركني عقلي
وجللني شيب القذال ومن يشب يكن قَمِنًا من أن يضيق عن العذلِ
وقلتُ لعلَّ القوم أخـطأ رأيهم فقالوا وخالُوا الْوَعْثَ كالمنهج السهل
فمهلاً أريحوا الحلم بيني وبينكم بني جمح لا تشربوا أكدر الضَّحْل.

المأمون و الملاح

قـال عبـد اللـه بـن البـوَّاب: كان المأمـون يحلـم حتـى يغيظنـا في بعـض الأوقـات، جلـس يسـتاك عـلى دجلـة مـن وراء سـتر، ونحـن قيـامٌ بـين يديـه، فمـرَّ مـلاَّحٌ وهـو يقـول: أتظنُّـون أنَّ هـذا المأمـون ينبـل في عينـي وقـد قَتَـل أخـاه. قـال: فـو اللـه مـا زاد عـلى أن تبسَّـم، وقـال لنـا: مـا الحيلـة عندكـم حتـى أنبـل في عـين هـذا الرجـل الجليـل.

الفضيل بن عياض

كان الفضيـل بـن عيـاض إذا قيـل لـه : إن فلانـا يقـع فيـك، يقـول : واللـه لأغيظـن مـن أمـره – ويعنـي بذلـك إبليـس –ثـم يقـول : اللهـم إن كان صادقـا فاغفـر لي ، وإن كان كاذبـا فاغفـر لـه .

الباب الخامس عشر

العفو والصّفح عن النّاس

- **قال الله سبحانه و تعالى:** ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ الأعراف 99
- **قال الشافعي رحمه الله:**

لما عفوتُ ولم أحقِدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي مِن همِّ العداواتِ

إني أُحيِّي عدُوِّي عندَ رؤيتِه لأدفعَ الشرَّ عنّي بالتحياتِ

وأُظهرُ البشْرَ للإنسانِ أُبغضُه كأنما قد حشَى قلبي محبّاتِ

النَّاسُ داءٌ، وداءُ النَّاسِ قُربُهمُ وفي اعتزالِهمُ قطعُ المودّاتِ

- **وقال منصور بن محمد الكريزي:**

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن عظمت منه علي الجرائم

فما النـــاس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فاعرف قـــدره وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فان قـــال صنت عن إجابته نفسي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فـــان زلّ أو هفا تفضلت إن الحر بالفضل حاكم[1]

---

(1) تنسب هذه الأبيات أيضا لمحمود الوراق و الله أعلم.

• **وقال أبو الفتح البستي:**

خذِ العفوَ وأْمُرْ بعرفٍ كما أمرت وأعرضْ عن الجاهـــلين

ولِنْ في الكلامِ لكلِّ الأنامِ فمستحسَنٌ من ذوي الجاه لين

صور من عفو النّبي ﷺ

عفوه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن أبي

وعـن أسـامة بـن زيـد رضي اللـه عنهـما أنَّ النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم ركـب حـمارًا، عليـه إكاف ، تحتـه قطيفـة فدكيـة. وأردف وراءه أسـامة، وهـو يعـود سـعد بـن عبـادة في بنـي الحـارث بـن الخـزرج. وذاك قبـل وقعـة بـدر. حتـى مـرَّ بمجلـس فيـه أخـلاط مـن المسـلمين والمشركين عبـدة الأوثـان، واليهـود، فيهـم عبـد اللـه بـن أبي، وفي المجلـس عبـد اللـه بـن رواحـة، فلـما غشـيت المجلـس عجاجـة الدابـة، خمـر عبـد اللـه بـن أبي أنفـه بردائـه، ثـم قـال: لا تغـبروا علينـا، فسـلم عليهـم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم ثـم وقـف فنـزل؛ فدعاهـم إلى اللـه، وقـرأ عليهـم القـرآن، فقـال عبـد اللـه بـن أبي: أيهـا المـرء، لا أحسـن مـن هـذا، إن كان مـا تقـول حقًّـا، فـلا تؤذنـا في مجالسـنا، وارجـع إلى رحلـك، فمـن جـاءك منـا فاقصـص عليـه. فقـال عبـد اللـه بـن رواحـة: اغشـنا في مجالسـنا؛ فإنـا نحـب ذلـك، قـال: فاسـتبَّ المسـلمون والمشركـون واليهـود، حتـى همـوا أن يتواثبـوا، فلـم يـزل النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يخفِّضهـم، ثـم ركـب دابتـه حتـى دخـل عـلى سـعد بـن عبـادة.

فقـال: أي سـعد، ألم تسـمع إلى مـا قـال أبـو حبـاب؟ يريـد عبـد اللـه بـن أبي، قـال كـذا وكـذا قـال: اعـف عنـه يـا رسـول اللـه، واصفـح، فـو اللـه لقـد

أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوِّجوه، فيعصبوه بالعصابة فلما ردَّ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكه، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

عفوه صلى الله عليه وسلم عن الاعرابي

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، وعلَّق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي. فقال: إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله. ثلاثًا، ولم يعاقبه وجلس.

عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل ثقيف

فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إنَّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا

محمد، إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل البيت، فصلى بين الساريتين ، ثم وضع يديه على عضادتي الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده ماذا تقولون، وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرًا، ونظن خيرًا: أخ كريم، وابن أخ، وقد قدرت، قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:92] .

عفوه صلى الله عليه وسلم عن عكرمة بن أبي جهل

عن عروة بن الزبير قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك أمَّنتني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت آمن. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبد الله ورسوله، وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس، قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كلَّ عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر لعكرمة كلَّ عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصدَّ عن سبيلك. قلت: يا رسول الله، مرني بخير ما تعلم فأُعلِّمُه، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده

ورسوله، وتجاهد في سبيله، ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالًا في الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله. ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيدًا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

***

عفو أبو بكر رضي الله عنه

عفوه عن مسطح بن أثاثة: وكان مسطح بن أثاثة ممن تكلم في الإفك، فلما أنزل الله براءة عائشة، قال أبو بكر الصديق: -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور: 22] إلى قوله وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب، ويتبسم، فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله؛ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقام فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك مَلَك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان. ثم قال: يا أبا بكر، ثلاث كلُّهنَّ حقٌّ: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي

عنها لله عزَّ وجلَّ إلا أعزَّ الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عزَّ وجلَّ بها قلة.

عفو أبي ذر رضي الله عنه

قال أبو ذر رضي الله عنه لغلامه : لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟

قال: أردت أن أغيظك.

قال رضي الله عنه: لأجمعن مع الغيظ أجراً أنت حر لوجه الله تعالى.

عفو الحسن بن علي رضي الله عنهما

دخل الحسين بن علي رضي الله عنهما على أخيه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقد سقى سماُ ، فقال : أي أخي أنبئني من سقاك ؟

قال : لم .. لتقتله ؟

قال : نعم .

فقال : ما أنا بمحدثكم شيئاً إن يكن صاحبي الذي أظن فالله أشد انتقاماً ، أما إن كان بريئاً فلا يقتل بي برئ.

عفو مصعب بن الزبير

حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق، جلس يوما لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى، أين عمرو بن جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزبير، فقيل له: أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أوَ يظن الجاهل أني أقيده بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنًا ليأخذ عطاءه موفرًا.

احسان منصور بن مِهْرَان

جاءت جاريةٌ لمنصور بن مِهْرَان بمَرَقَةٍ فهَرَقَتْها عليه، فلمَّا أحسَّ بحَرِّها نظر إليها، فقالت: يا معلم الخير، اذكر قول الله. قال: وما هو؟ قالت: ﴿والكاظمين الغيض﴾ قال: كظمتُ. قالت: واذكر﴿ و العافين عن النّاس﴾ قال: قد عفوتُ. قالت: واذكر ﴿و الله يحب المحسنين﴾(آل عمران: 134) قال: اذهبي فأنت حُرَّة.

الربيع بن خيثم

وشتم رجل الربيع بن خيثم فقال له : يا هذا ، قد سمع الله كلامك ، وإن دون الجنة عقبة ، إن قطعتُها لم يضرّني ما تقول ، وإن لم أقطعها فأنا شرّ مما تقول.

اللهم قد أحللت عرضي

وكان أحد السلف يوم يخرج من بيته يقول ما معناه: اللهم قد أحللت عرضي من كل عبد. أي: أني أعفو وأسامح كل من استباح عرضي من شتم، أو سب، أو استهزاء وغيره.

أنت حروالفرس لك

وذُكِر عن بعض الصّالحين أنه كان له فرس، وكان معجباً به، فجاء ذات يوم فوجده على ثلاث قوائم، فقال لغلامه: من صنع به هذا؟ فقال: أنا، قال: لم؟ قال: أردت أن أغمّك. قال: لا جرم، لأغمن من أمرك به -يعني الشيطان- اذهب فأنت حر والفرس لك.

نصيحة أبو مسلم الخولاني رحمه الله

وشكا رجل إلى أبي مسلم الخولاني رحمه الله ما يلقى من الناس من الأذى، فقال له أبو مسلم: إن تناقد الناس يناقدوك، وإن تتركهم لا يتركوك، وإن تفر منهم يدركوك، قال: فما أصنع؟ قال: هب عرضك ليوم فقرك، وخذ شيئا من لا شيء، يعني الدنيا.

صور من عفو عمر بن عبد العزيز رحمه الله

وعن علي بن هشام أنه قال: لما سُمَّ عمر بن عبد العزيز قال للخادم الذي سمه: لم سممتني؟ قال: أعطاني فلان ألف دينار على أن أسُمّك، قال: أين الدنانير؟ قال: هي ها هنا، فأتى بها فوضعها في بيت مال المسلمين، وقال للخادم: اذهب، ولم يعاقبه.

وجاءه رجل كان واجدًا عليه، فقال: لولا أني غضبان لعاقبتُك. وكان إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه، كراهةَ أن يَعْجَل عليه في أول غضبه.

وأسمعه رجل كلامًا فقال له: أردتَ أن يستفِزّني الشيطانُ بعِزِّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّي غدًا، انصرفْ رحمك الله.

وغضب يومًا عمر بن عبد العزيز فقال له ابنه عبد الملك رحمه الله: أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟ فقال له: أو ما تغضب يا عبد الملك؟ فقال له عبد الملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أُرَدِّدْ فيه الغضب حتى لا يظهر؟

وعن إبراهيم بن أبي عَبْلة قال: غضب عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوما على رجل غضبًا شديدًا فبعث إليه فأتى به فجرده ومده في الحبال ثم دعا بالسياط حتى إذا قلنا: هو ضاربه قال: خلوا سبيله أما إني لولا أني غضبان لسؤته، قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

لا تفرط في شتمنا

وعن سفيان بن عيينة قال: كان ابن عياش المنتوف. يقع في عمر بن ذر رحمه الله ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا وأبقِ للصلح موضعًا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

عفو وهب بن منبه رحمه الله

وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش أنه قال: كنت جالسًا مع ابن منبه رحمه الله، فأتاه رجل، فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك، فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه.

عفو سليمان بن عبد الملك

غضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري، فلما أدخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ القدرة تذهب الحفيظة، وإنك تجلُّ عن

العقوبة، فإن تعفُ فأهلٌ لذلك أنت، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا، فعفا عنه.

واحتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكرًا بعد أن ولي الخلافة، فقعد في السماط وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة قطع لسانه؛ لأنَّه كان ممن دعا إلى خلع سليمان، والبيعة لعبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، كن كنبي الله أيوب عليه السلام، ابتُلي فصبر، وأُعطي فشكر، وقدر فغفر. قال: ومن أنت؟ قال: يزيد بن راشد، فعفا عنه.

شجاعة وعفو المعتضد رحمه الله

وعن خفيف السمرقندي قال: كنت مع مولاي المعتضد رحمه الله في بعض متصيداته، وقد انقطع عن العسكر، وليس معه أحد غيري، فخرج علينا أسد، فقصدنا فقال لي المعتضد: يا خفيف، أفيك خير؟ قلت: لا يا مولاي! فقال: ولا حتى تمسك فرسي وأنزل أنا إلى الأسد؟ فقلت: بلى! فنزل وأعطاني فرسه، وشد أطراف ثيابه في منطقته، واستل سيفه، ورمى القراب إلي فأخذته، وأقبل يمشي إلى الأسد، فطلبه الأسد، فحين قرب منه وثب الأسد عليه، فتلقاه المعتضد بضربة، فإذا يده قد طارت فتشاغل الأسد بالضربة، فثناه بأخرى، ففلق هامته فخر صريعًا، ودنا منه وقد تلف، فمسح السيف في صوفه ورجع إليَّ، وغمد السيف، وركب، ثم عدنا إلى العسكر وصحبته إلى أن مات ما سمعته يحدّث بحديث الأسد، ولا علمت أنه لفظ فيه بلفظة، فلم أدر من أي شيء أعجب من شجاعته

وشدته! أم قلة احتفاله بما صنع حتى كتمه! أو من عفوه عني، فما عاتبني على ضني بنفسي.

وعن عبيد الله بن سليمان قال: كنت يومًا بحضرة المعتضد رحمه الله وخادم من خدمه بيده المذبة، فبينا هو يذب إذ ضرب بالمذبة قلنسوة المعتضد، فسقطت فكدت أختلط إعظامًا للحال، والمعتضد على حاله لم يتغير ولم ينكر شيئًا، ثم دعا غلامًا فقال له: هذا الغلام قد نعس فزد في عدد خدم المذبّة ولا تنكر عليه بفعله؛ قال عبيد الله: فقبّلت الأرض، وقلت: والله يا أمير المؤمنين ما سمعت بمثل هذا، ولا ظننت أن حلمًا يسع مثله. ثم دعوت له. فقال: هل يجوز غير هذا؟ أنا أعلم أن هذا البائس لو دار في خلده ما جرى لذهب عقله وتلف، وإنما ينبغي أن يلحق الإنكار بالمتعمّد لا بالساهي والغالط.

صور من عفو أبو جعفر المنصور رحمه الله

وعن الأصمعي أنه قال: صعد أبو جعفر المنصور رحمه الله المنبر فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أذكرك من أنت في ذكره، فقال أبو جعفر: مرحبًا مرحبًا، لقد ذكرت جليلاً، وخوفت عظيمًا، وأعوذ بالله ممن إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فأحلف بالله ما الله أردت بها، إنما أردت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها من قائلها، وإياكم معشر الناس وأمثالها، وأشهد أن

محمـدًا عبـده ورسـوله. فعـاد إلى خطبتـه كأنمـا يقرأهـا مـن قرطـاس.

عـن مبـارك بـن فضالـة قـال: كنـا عنـد المنصـور فدعـا برجـل ودعـا بالسـيف، فقـال المبـارك: يـا أمـير المؤمنـين، سـمعت الحسـين يقـول: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إذا كان يـوم القيامـة، قـام منـاد مـن عنـد اللـه ينـادي: ليقـم الذيـن أجرهـم عـلى اللـه، فـلا يقـوم إلا مـن عفـا.
فقال المنصور: خلوا سبيله.

وعـن الأصمعـي قـال: أُتي المنصـور برجـل يعاقبـه فقـال: يـا أمـير المؤمنـين، الانتقـام عـدل، والتجـاوز فضـل، ونحـن نعيـذ أمـير المؤمنـين باللـه أن يـرضى لنفسـه بأوكـس النصيبـين دون أن يبلـغ أرفـع الدرجتـين. فعفـا عنـه.

صور من عفو المأمون

أُتي المأمـون برجـل يريـد أن يقتلـه، وعـلي بـن مـوسى الرضـا جالـس فقـال: مـا تقـول يـا أبـا الحسـن؟ فقـال: أقـول: إنَّ اللـه تعـالى لا يزيـدك بحسـن العفـو إلا عـزًّا. فعفـا عنـه . وكان المأمـون مؤثـرًا للعفـو كأنـه غريـزة لـه؛ وهـو الـذي يقـول: لقـد حُبِّـب إليَّ العفـو حتـى إني أظـنُّ أني لا أثـاب عليـه.

وأحـضر إلى المأمـون رجـل قـد أذنـب، فقـال لـه المأمـون: أنـت الـذي فعلـت كـذا وكـذا؟ قـال: نعـم يـا أمـير المؤمنـين، أنـا الـذي أسرف عـلى نفسـه واتـكل عـلى عفـوك؛ فعفـا عنـه.

الباب السّادس عشر

الوفـــــــــاء

• **قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

ذهب الوفاءُ ذهابَ أمسِ الذاهبِ فالنَّاسُ بين مخـــاتلٍ وموارِبِ

يغشون بينهم المودةَ والصـــفا وقلوبُهم محشوةٌ بعـــقاربِ

• **وقال رضي الله عنه أيضا:**

مات الـــوفاءُ فلا رفدٌ ولا طمع في النَّاسِ لم يبقَ إلا اليأسُ والجزعُ

فاصبرْ على ثقةٍ باللهِ وارضَ بـــه فاللهُ أكـــــــرمُ مَن يُرجى ويُتَّبعُ

• **وقال علي بن مقرَّب:**

لا تركننَّ إلى مَن لا وفـــاءَ له الذئبُ مِن طبعِه إن يقتدرْ يثبِ

• **وقال آخر:**

إذا قلتَ في شيءٍ نَـــعمْ فأتمَّه فإنَّ نعم دينٌ على الحرِّ واجبُ

وإلَّا فقلْ لا تسترحْ وتُرِحْ بـــها لئلا يقولَ النَّاسُ إنَّك كـــاذبُ

• **وقال آخر:**

لا كلَّف اللهُ نفسًا فوقَ طاقتِها ولا تجودُ يدٌ إلا بمـــــا تجدُ

فلا تعِدْ عدةً إلَّا وَفيت بـــها واحذرْ خلافَ مقالٍ للذي تعِدُ

صور من وفاء النّبي ﷺ

وفاؤه صلى الله عليه وسلم بالعهد لعدوه

كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يفـي بالعهـود والمواثيـق التـي تكـون بينـه وبـين أعـداء الإسـلام.

فثبـت عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال لرسـولي مسـيلمة الكـذاب لمـا قـالا: نقـول: إنـه رسـول اللـه لـولا أن الرسـل لا تقتـل لقتلتكـما . وثبـت عنـه أنـه قـال لأبي رافـع، وقـد أرسـلته إليـه قريـش، فـأراد المقـام عنـده، وأنـه لا يرجـع إليهـم فقـال: إني لا أخيـس بالعهـد، ولا أحبـس الـبرد، ولكـن ارجـع إلى قومـك، فـإن كان في نفسـك الـذي فيهـا الآن فارجـع . وثبـت عنـه أنَّـه ردَّ إليهـم أبـا جنـدل للعهـد الـذي كان بينـه وبينهـم، أن يـردَّ إليهـم مـن جـاءه منهـم مسـلمًا.

وعـن حذيفـة بـن اليـمان رضي اللـه عنهـما قـال: مـا منعنـي أن أشـهد بـدرًا إلا أني خرجـت أنـا وأبي حسـيل. قـال: فأخذنـا كفـار قريـش. قالـوا: إنكـم تريـدون محمـدًا؟ فقلنـا: مـا نريـده، مـا نريـد إلا المدينـة. فأخـذوا منـا عهـد اللـه وميثاقـه لننصرفـنَّ إلى المدينـة، ولا نقاتـل معـه. فأتينـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فأخبرنـاه الخـبر. فقـال: انصرفـا، نفـي لهـم بعهدهـم، ونسـتعين اللـه عليهـم.

وفاءه صلى الله عليه وسلم لزوجاته

فمـن وفائـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في هـذا البـاب، أنـه كان يكـرم صديقـات زوجتـه خديجـة رضي اللـه عنهـا بعـد موتهـا، فعـن أنـس بـن مالـك

رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بالشيء يقول: اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها؛ وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة؛ فيهديها لهنَّ.

***

صور من وفاء أبي بكر الصّديق رضي الله عنه

وفاء أبي بكر مع جابر رضي الله عنهما

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه و سلّم: لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا .

فلم يجئ مال البحرين حتى قبض النبي صلى الله عليه و سلّم . لما مات النبي صلى الله عليه و سلّم جاء أبا بكر رضي الله عنه مال من قبل العلاء بن الحضرمي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : من كان له على النبي صلى الله عليه و سلّم دين ، أو كانت له قبله عدة ، فليأتنا . قال جابر رضي الله عنه فقلت : وعدني رسول الله صلى الله عليه و سلّم أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا . فبسط أبو بكر يديه وغرف من المال ثلاث مرات وأعطى جابراً وفاء بوعد رسول الله صلى الله عليه و سلّم .فقال لجابر رضي الله عنه : عدها .

قـال جابـر رضي اللـه عنـه : فعددتهـا فـإذا هـي في يـدي خمسـمائة ، ثـم خمسـمائة ، ثـم خمسـمائة فأعطـاني ألفـاً وخمسـمائة .

وفاؤه بديون النبي صلى الله عليه وسلم ووعوده

عـن جابـر بـن عبـد اللـه رضي اللـه عنهـما قـال: قـال لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لـو قـد جـاء مـال البحريـن لقـد أعطيتـك هكـذا وهكـذا ثلاثًـا، فلـم يقـدم مـال البحريـن حتـى قبـض رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فلـما قـدم عـلى أبي بكـر أمـر مناديًـا فنـادى مـن كان لـه عنـد النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم ديـن، أو عـدة فليأتنـي، قـال جابـر: فجئـت أبـا بكـر فأخبرتـه أنَّ النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: لـو جـاء مـال البحريـن أعطيتـك هكـذا وهكـذا ثلاثًـا، قـال: فأعطـاني. قـال جابـر: فلقيـت أبـا بكـر بعـد ذلـك فسـألته فلـم يعطنـي ثـم أتيتـه فلـم يعطنـي، ثـم أتيتـه الثالثـة فلـم يعطنـي، فقلـت لـه: قـد أتيتـك فلـم تعطنـي ثـم أتيتـك فلـم تعطنـي ثـم أتيتـك فلـم تعطنـي، فإمـا أن تعطينـي، وإمـا أن تبخـل عنـي، فقـال: أقلـت تبخـل عنـي، وأي داء أدوأ مـن البخـل؟- قالهـا ثلاثًـا - مـا منعتـك مـن مـرة إلا وأنـا أريـد أن أعطيـك.

وفاؤه في إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه

قـام أبـو بكـر رضي اللـه عنـه، بتنفيـذ جيـش أسـامة بـن زيـد، الـذي قـرره رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ ليسـير إلى تخـوم البلقـاء مـن الشـام.

فخرجـوا إلى الجـرف فخيمـوا بـه، وكان بينهـم عمـر بـن الخطـاب، ويقـال: وأبـو بكـر الصديـق، فاسـتثناه رسـول اللـه منهـم للصـلاة، فلـما ثقـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أقامـوا هنالـك، فلـما مـات عظـم الخطب، واشـتدَّ الحـال، ونجـم النفـاق بالمدينـة، وارتـدَّ مـن ارتـدَّ مـن أحيـاء العـرب حـول

المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحقِّ... وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور، أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأنَّ ما جهز بسببه، في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحلُّ عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أنَّ الطير تخطَّفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أنَّ الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزنَّ جيش أسامة.

***

وفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الهرمزان

لما أتى بالهرمزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له : يا أمير المؤمنين ، هذا زعيم العجم وصاحب رستم . فقال له عمر رضي الله عنه : أعرض عليك الإسلام نصحاً لك في عاجلك وآجلك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعتقد ما أنا عليه ، ولا أرغب في الإسلام رهبة . فدعا له عمر رضي الله عنه بالسيف، فلما هم بقتله، قال: يا أمير المؤمنين، شربة ماء أفضل من قتلي على ظمأ. فأمر له عمر بشربة ماء، فلما أخذها قال له: أنا آمن حتى أشربها ؟ قال: نعم ، فرمي بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج . قال : صدقت ، لك التوقف عنك وأنظر في أمرك ، ارفعوا عنه السيف . فلما رفع عنه قال: الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا

اللـه، وأن محمـداً عبـده ورسـوله ومـا جـاء بـه حـق مـن عنـده. قـال عمـر رضي اللـه عنـه : أسـلمت خـير إسـلام ، فـما أخـرك ؟ قال : كرهت أن يظن أني إنما أسلمت جزعاً من السيف ، وإيثاراً لدينه بالرهبة . فقـال عمـر رضي اللـه عنـه: إن لأهـل فـارس عقـولاً بهـا اسـتحقوا مـا كانـوا فيـه مـن الملـك، ثـم أمـر بـه أن يـبّر ويكـرم.

أحيل مَنْ رأيت

قـال الشـعبيُّ: قـال عمـرو بـن معـد يكـرب: خرجـتُ يومًـا حتـى انتهيـت إلى حـي، فـإذا بفـرسٍ مشـدودةٍ، ورمـحٍ مركـوز، وإذا صاحبـه في وهـدةٍ يقـضي حاجـة لـه، فقلـت لـه: خـذ حـذرك، فـإني قاتلـك. قـال: ومـن أنـت؟ قلـت: أنـا ابـن معـد يكـرب. قـال: يـا أبـا ثـور، مـا أنصفتنـي، أنـت عـلى ظهـر فرسـك وأنـا في بـئرٍ، فأعطنـي عهـدًا أنّـك لا تقتلنـي حتـى أركـب فـرسي وآخـذ حـذري. فأعطيتـه عهـدًا أني لا أقتلـه حتـى يركـب فرسـه ويأخـذ حـذره، فخـرج مـن الموضـع الـذي كان فيـه حتـى احتبـى بسـيفه وجلـس، فقلـت لـه: مـا هـذا؟ قـال: مـا أنـا براكـبٍ فـرسي ولا مقاتلـك، فـإن نكثـت عهـدًا فأنـت أعلـم. فتركتـه ومضيـت، فهـذا أحيـل مَـنْ رأيـت.

وفاء زوجة عثمان رضي الله عنه

كانـت السـيدة نائلـة بنـت الفرافصـة زوجـة أمـير المؤمنـين عثـمان بـن عفـان رضي اللـه عنـه مـن أجمـل النسـاء وأحسـنهن منطقًـا وعقـلًا . فلـما قتـل عثـمان بـن عفـان رضي اللـه عنـه طـارت روحـه إلى ربهـا كـثر خطابهـا ، وتقـدم للـزواج منهـا وجهـاء العـرب ، وكان عـلى رأسـهم معاويـة بـن أبي سـفيان رضي اللـه عنـه .

فذهبـت إلى قـبر زوجهـا الراحـل عثـمان بـن عفـان رضي اللـه عنـه فترحمت

عليه ودعت له ، ثم عادت إلى منزلها . و قالت: إني رأيت الحزن يبلي كما يبلي الثوب، وقد خفت أن يبلي حزن عثمان في قلبي !!

ثم أحضرت حجرًا صلبًا وكسرت مقدم أسنانها وكانت من أحسن النساء مضحكًا. و قالت وقد تذكرت حياء عثمان رضي الله عنه: والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبدًا.. ثم أرسلت إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أسنانها تعلمه رفض الزواج منه.

الزوجة الوفية

في سرور و سعادة زف أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ابنته فاطمة إلى ابن أخيه عمر بن عبد العزيز و أعطاه من الجواهر والحلي ما لم تره عين قط.

فلما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز جلس إلى امرأته وقال لها اختاري إما أن تردي حليك و جواهرك إلى بيت المال أو تأذني لي في فراقك فاني اكره أن أكون أنا وأنت و هذا الحلي في نفس البيت

فقالت لا بل اختار أمير المؤمنين فأمر بالحلي فحملت ووضعت في بيت مال المسلمين فلما توفي عمر بن عبد العزيز و استخلف يزيد بن عبد الملك قال لأخته فاطمة إن حليك التي وضعت في بيت المال هي من مالك الحلال و هي مازالت محفوظة كما كانت فهل تحبين أن أردها عليك؟

فقالت بلسان وفي صادق إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد استحسن أن تكون هذه الأشياء حيث هي الآن و أنا قد وافقته على ما استحسن وما كنت لأطيعه حيا واعصيه ميتا.

الباب السّابع عشر

الرّحـــــــمة

• **قال أبو القاسم ابن عساكر:**

بادرْ إلى الخيرِ يا ذا اللبِّ مغتنمًا ولا تكنْ مِن قليلِ العرفِ محتشما

واشكرْ لمولاك ما أولاك من نعمٍ فالشكرُ يستوجبُ الإفضالَ والكرما

وارحمْ بقلبِك خلقَ الله وارعَهُم فإنَّما يرحمُ الرحمنُ مَـــــن رَحِما

• **وقال زين الدين العراقي:**

إنْ كنتَ لا ترحمُ المسكينَ إن عَدِما ولا الفقيرَ إذا يشكو لك العَدما

فكيف ترجو من الرحمنِ رحمتَه وإنَّما يرحمُ الرحمنُ من رَحِما

• **وقال ابن الشوائطي:**

بادرْ إلى الخيرِ يا ذا اللبِّ واللسنِ واشكرْ لربِّك ما أولى مِن المننِ

وارحمْ بقلبِك خلقَ اللهِ كلَّـــهم يُنلْك رحمته في الموقفِ الخشنِ

• **وقال أبو الفضل ابن حجر:**

إنَّ منْ يرحمُ أهلَ الأرضِ قد جاءنا يرحمه من في السَّما

فارحمِ الخلقَ جميعًا إنَّما يرحمُ الرحمنُ منَّا الرُّحما

صور من رحمة النَّبي ﷺ

رحمته صلى الله عليه وسلم بالكفَّار

عن عائشة رضي الله عنها زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّها قالت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا

قال ابن حجر: (في هذا الحديث بيان شفقة النَّبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران: 159]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107])

رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من النَّاس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته

هدفًا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النَّبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه.

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت تفرِش، فجاء النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار.

رحمته صلى الله عليه وسلم بالجماد

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم: كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النَّبي صلى الله عليه وسلم فضمَّه إليه ، تئنُّ أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

***

الرّحمة طريق الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به»[1].

صور من رحمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رآه عيينة بن حصن يومًا يقبل أحد أبنائه، وقد وضعه في حجره وهو يحنو عليه، فقال عيينة: أتُقبِّل وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدًا. فقال عمر: الله، الله حتى استحلفه ثلاثًا، فقال عمر: فما أصنع إن كان الله نزع الرَّحْمَة من قلبك؟ إنَّ الله إنَّما يرحم من عباده الرُّحماء .

واشتهى الحوت يومًا، فقال: لقد خطر على قلبي شهوة الطري من حيتان، فخرج يرفأ، في طلب الحوت لعمر رضي الله عنه، ورحل راحلته، فسار ليلتين مدبرًا، وليلتين مقبلًا، واشترى مكتلًا، وجاء بالحوت، ثم غسل يرفأ الدابة، فنظر إليها عمر فرأى عرقًا تحت أذنها، فقال: عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، لا والله لا يذوقه عمر، عليك بمكتلك.

ومرَّ رضي الله عنه براهب فوقف ونودي بالراهب فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطَّلَع فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وتركِ الدنيا، فلمَّا رآه عمر بكى، فقيل له: إنَّه نصراني، فقال عمر: قد علمت ولكني رحمته،

(1) رواه البخاري

ذكـرت قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿عَامِلَـةٌ نَّاصِبَـةٌ تَصْـلَى نَـارًا حَامِيَـةً﴾ [الغاشـية: 3، 4] رحمـتُ نصبَـه واجتهـاده وهـو في النَّـار.

المسكينة والبنتين

وعـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: جاءتنـي مسـكينة تحمـل ابنتـين لهـا، فأطعمتهـا ثلاثـة تمـرات، فأعطـت كل واحـدة منهـما تمـرة، ورفعـت إلى فيهـا تمـرة لتأكلهـا، فاسـتطعمتها ابنتاهـا، فشـقت التمـرة، التـي كانـت تريـد أن تأكلهـا بينهـما، فأعجبنـي شـأنها، فذكـرت الـذي صنعـت لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: إنَّ اللـه قـد أوجـب لهـا بهـا الجنـة، أو أعتقهـا بهـا مـن النـار.

رحمة وشفقة أبي الدرداء رضي الله عنه

كان لأبي الـدرداء رضي اللـه عنـه جمـل يقـال لـه: دمـون فـكان إذا اسـتعاروه منـه قـال يـوصى بـه : لا تحملـوا عليـه إلا كـذا وكـذا ، فإنـه لا يطيـق أكـثر مـن ذلـك ، فلـما حضرتـه الوفـاة قـال: يـا دمـون لا تخاصمنـي غـداً عنـد ربي ، فـإني لم أكـن أحمـل عليـك إلا مـا تطيـق.

أتعبت البغل

كان لعمـر بـن عبـد العزيـز غـلام يعمـل عـلى بغـل لـه فيأتيـه في كل يـوم بدرهـم فجـاءه يومـا بثلاثـة دراهـم.

فقال عمر متعجبا ما هذا ؟

فقال راجت السوق.

فقال عمر: لا و لكنك أتعبت البغل أرحه ثلاثة أيام.

و كتب عمر إلى حيان بن شريح عامله على مصر:

إنه بلغني أن بمصر نقالات يحمل على كل بعير الف رطل فاذا جاءك كتابي هذا فلا أعرفنّ أنّ أحدا حمل على بعير أكثر من خمسمائة رطل.

الرحمة بالحمامة

قال سعيد بن عفير عن أشياخه: لما جاز المسلمون الحصن يعني حصن مصر أجمع عمرو بن العاص على المسير إلى الإسكندرية، فسار إليها في ربيع الأول سنة عشرين، وأمر بفسطاطه أن يقوَّض، فإذا بحمامة وقد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرّمت بجوارنا، أقرّوها الفسطاط حتى تطير فراخها. فأقرّوا الفسطاط، ووكّل به أن لا تهاج حتى تشتد فراخها، فبذلك سُميت الفسطاط فسطاطًا.

جفنة من ثريد

وهذا أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه من رحمته أنه كان له جفنة من ثريد، غدوة، وجفنة عشية، للأرامل واليتامى والمساكين.

الأرض التي ابتلعت العابد

كان رجل عابد ناسك من بني إسرائيل، فبينما هو يصلي أبصر غلامين ينتفان ريش ديك، و لكنّه لم يبالي و أقبل على عبادته من دون أن يأبه لهما و لم ينههما عن ذلك أيضا، فأوحى الله سبحانه و تعالى إلى الأرض ، أن سيخي بعبدي أي ابتلعيه، فساخت به الأرض فهو يهوي فيها أبد الآبدين و دهر الداهرين.

الباب الثّامن عشر

التّواضع وذمّ الكبر

- **قال الأحنف بن قيس رحمه الله:** عجبتُ لمن يجري في مَجرى البَول مرَّتين كيف يتكبَّر!.
- **وقال أيضا رحمه الله :** ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه.
- **وقالت عائشة رضي الله عنها:** إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات: التواضع.
- **وقال ابن المبارك رحمه الله:**رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة لدنيا حتى تُعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.
- **قال ابن حزم رحمة الله عليه:** من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه فان أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة فان خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أن لا عيب فيه فليعلم أن مصيبته إلى الأبد و انه أتم الناس نقصا وأعظمهم عيوبا و أضعفهم تميزا.
- **وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :** إذا تكبر العبد وعدا طوره رهصه الله وقال : اخسأ خسأك الله ، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى أنه لأحقر عندهم من الخنزير.
- **وسئل الفضيل عن التواضع فقال:** أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو

سـمعته مـن صبـي قبلتـه، ولـو سـمعته مـن أجهـل النـاس قبلتـه.

- **قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:**

ليس التطاول رافعا من جاهـــــل وكذا التواضع لا يضرّ بعـــــاقل

- **قال الكريزي:**

ولا تمشي فوق الأرض إلا متواضعا فكم تحتها من قوم هم منك أرفع

- **قال أحد الشعراء:**

لا تمشي في الأرض كالطاووس مفتخرا و لا كليث الفلا أو مشية الحجل

فما التـــــــــكبر إلا ذلة و قذا و ما التواضع إلا رفعة الـــــرجل

- **وقال آخر:**

يا مُظْهِرَ الكِبْر إعجابًا بصـــــورته انظـــــر خَلاءَكَ إن النَّتْنَ تثريب

لو فكّر الناسُ فيما في بطونهـــم ما استشعر الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ

هل في ابن آدم غيرُ الرأس مكرمة وَهُو بِخَمْسٍ من الأقذار مضروب

أنفٌ يَسيلُ وأُذْنٌ رِيحُها سَهِـــكٌ والعينُ مُرمَصَةٌ والثغرُ مَلْـــعوبُ

يا ابنَ التراب ومأكولَ التراب غدًا أَقصِرْ فإنك مـــــأكولٌ ومشروبُ

صور مِن تواضع النَّبيّ ﷺ

وقال له رجل: يا محمَّد، أيا سيِّدنا وابن سيِّدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيُّها النَّاس، عليكم بتقواكم، ولا يستهوينَّكم الشَّيطان، أنا محمَّد بن عبد الله، أنا عبد الله ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله.

ومِن تواضعه صلى الله عليه وسلم: استجابته للدَّعوة، وقبوله الهديَّة مهما قلَّت قيمتها، روى البخاريُّ مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: لو دُعِيت إلى ذراع أو كُرَاع لأجبت، ولو أُهْدِي إليَّ ذراع أو كراع لقَبِلت.

وكان صلى الله عليه وسلم مِن تواضعه، يتفقَّد أحوال أصحابه ويقوم بزيارتهم، فقد روى البخاريُّ في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذُكِر له صومي، فدخل علي فألقيت له وسادة مِن أَدَم حشوها ليف فجلس على الأرض، وصارت الوسادة بيني وبينه، فقال أما يكفيك مِن كلِّ شهرٍ ثلاثة أيَّام. قال: قلت: يا رسول الله! قال: خمسًا. قلت: يا رسول الله! قال: سبعًا. قلت: يا رسول الله! قال: تسعًا. قلت: يا رسول الله! قال: إحدى عشرة. ثمَّ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا صوم فوق صوم داود -عليه السَّلام - شطر الدَّهر: صم يومًا وأفطر يومًا

وكان مِن تواضعه صلى الله عليه وسلم، القيام بخدمة أصحابه، روى مسلم في صحيحه مِن حديث أبي قتادة، وفيه -في قصَّة نومهم عن صلاة

الفجـر-: ...قـال ودعـا بالميضـأة، فجعـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يصـبُّ وأبـو قتـادة يسـقيهم -أي أصحابـه- فلـم يَعْـدُ أن رأى النَّـاس مـاءً في الميضـأة تكابُّـوا عليهـا. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أحسـنوا الْمَـلَأَ كلُّكـم سـيَرْوى. قـال: ففعلـوا. فجعـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يصـبُّ وأسـقيهم حتـى مـا بقـي غـيري وغـير رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: ثـمَّ صـبَّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال: لي اشرب. فقلـت: لا أشرب حتـى تـشرب يـا رسـول اللـه. قـال: إنَّ سـاقي القـوم آخرهـم شربًـا. قـال: فشربـت، وشرب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: فـأتى النَّـاس المـاء جامِّـين رِوَاء.

***

تواضع الصِّدِّيق رضي الله عنه

لمـا اسـتُخلف أبـو بكـر الصِّدِّيـق رضي اللـه عنـه أصبـح غاديًـا إلى السُّـوق، وكان يحلـب للحـي أغنامهـم قبـل الخلافـة، فلـمَّا بُويَـع قالـت جاريـة مِـن الحـي: الآن لا يحلـب لنـا. فقـال: بـلى لأحلبنَّهـا لكـم، وإنِّي لأرجـو ألَّا يغـيِّرني مـا دخلـت فيـه.

صور من تواضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عـن طـارق بـن شـهاب، قـال: خـرج عمـر بـن الخطَّـاب إلى الشَّـام ومعنـا أبـو عبيـدة بـن الجـرَّاح، فأَتَـوا عـلى مخاضـة وعمـر عـلى ناقـة لـه، فنـزل عنهـا وخلـع خفَّيـه فوضعهـما عـلى عاتقـه، وأخـذ بزمـام ناقتـه فخـاض بهـا المخاضـة، فقـال أبـو عبيـدة: يـا أمـير المؤمنـين! أنـت تفعـل هـذا، تخلـع خفَّيـك وتضعهـما عـلى عاتقـك، وتأخـذ بزمـام ناقتـك، وتخـوض بهـا المخاضـة؟!

ما يسرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوَّه، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله.

عن أبي محذورة قال: كنت جالسًا عند عمر رضي الله عنه، إذ جاء صفوان بن أميَّة بجَفْنَة يحملها نفرٌ في عباءة، فوضعوها بين يدي عمر، فدعا عمر ناسًا مساكين وأرقَّاء مِن أرقَّاء النَّاس حوله، فأكلوا معه، ثمَّ قال عند ذلك: فعل الله بقوم، أو قال: لحى الله قومًا يرغبون عن أرقَّائهم أن يأكلوا معهم!! فقال صفوان: أما والله، ما نرغب عنهم، ولكنَّا نستأثر عليهم، لا نجد والله مِن الطَّعام الطَّيِّب ما نأكل ونطعمهم.

وعن رجل من جهينة قال: بعثني أبي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بنُجُد لأبيعهن بالمدينة، فلما كنت قريبا من المدينة إذا أنا برجل عامد إلى المدينة، وقد مال حمل حماري، فقلت: يا عبد الله أعني على حمل حماري حتى أعْدِله، قال: نعم يا بُنيّ، فقام معي حتى أعْدَله، فقال لي: من أنت؟ قلت: فلان بن فلان الجهني، فقال: إذا أتيت أباك فقل إن عمر أمير المؤمنين يقول: إياك وذبح كثرة الحَدَبة[1]، قلت: من أنت رحمك الله؟ قال: عمر أمير المؤمنين.

قال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا!! فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلتْ في نفسي نخوة، فأحببتُ أن أكسرها. ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها.

(1) الحَدَبُ: خُروجُ الظَّهْرِ ودخولُ البَطْنِ والصَّدْرِ من شدة الهزل.

وعـن إبراهيـم بـن حمـزة قـال: أُتي عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه تعـالى عنـه بـبرود مـن اليمـن فقسـمها بـين المهاجريـن والأنصـار، وكان فيهـا بـرد فائـق، فقـال: إن أعطيتـه أحـدًا منهـم غضـب أصحابـه ورأوا أنه فضلتـه عليهم، فدلـوني عـلى فتـى مـن قريـش نشـأ نشـأة حسـنة أعطيـه إياه، فأسـمو المسـور بـن مخرمـة، فدفعـه إليـه، فنظـر إليـه سـعد بـن أبي وقـاص عـلى المسـور، فقـال: مـا هـذا؟ قـال: كسـانيه أمـير المؤمنـين، فجـاء سـعد إلى عمـر فقـال: تكسـوني هـذا البـرد وتكسـو ابـن أخـي أفضـل منـه؟ فقـال: يـا أبـا إسـحاق، إني كرهـت أن أعطيـه أحـدًا منكـم فيغضـب أصحابـه فأعطيتـه فتـى نشـأ نشـأة حسـنة حتـى لا يتوهـم فيـه أني أفضلـه عليكـم، فقـال سـعد: فـإني قـد حلفـت لأضربـن بالـبرد الـذي أعطيتنـي رأسـك، فخضـع لـه عمـر رأسـه وقـال: عنـدك يـا أبـا إسـحاق فارفـق الشـيخ بالشـيخ، فـضرب رأسـه بالـبرد.

تواضع عثمان رضي الله عنه

قـال الحسـن: رأيـت عثـمان بـن عفـان يقيـل في المسـجد وهـو يومئـذ خليفـة، ويقـوم وأثـر الحـصى بجنبـه، فنقـول: هـذا أمـير المؤمنـين، هـذا أمـير المؤمنـين.

عـن ميمـون بـن مهـران قـال: أخـبرني الهمـدانيُّ أنَّـه رأى عثـمان بـن عفـان رضي اللـه عنـه عـلى بغلـة، وخلفـه عليهـا غلامـه نائـل وهـو خليفـة.

تواضع علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عـن عمـرو بـن قيـس الملائي عـن رجـل منهـم قـال: رُئِي عـلى عـلي بـن أبي طالـب إزارٌ مرقـوعٌ، فقيـل لـه: تلبـس المرقـوع؟! فقـال: يقتـدي بـه المؤمـن ويخشـع بـه القلـب.

وأنَّه رضي الله عنه قد اشترى لحمًا بدرهم، فحمله في ملحفته، فقيل له: نحمل عنك يا أمير المؤمنين. فقال: لا، أبو العيال أحقُّ أن يحمل.

تواضع سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه

وعن ثابت قال: كان سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أميرًا على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام، ومعه حِمل تُبْنٍ وعلى سلمان أنْدرا ورْدٍ، وعباءة، فقال لسلمان: تعالَ احمل، وهو لا يعرف سلمان. فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير. فقال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخرى: إني قد نويت فيه نيةً فلا أضعه حتى أبلغ بيتك.

رد سلمان الفارسي

تفاخرت قريش عند سلمان الفارسي يومًا، فقال سلمان: لكنني خُلقتُ من نطفة قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم آتي الميزان، فإن ثقل فأنا كريم، وإن خف فأنا لئيم.

تواضع أبو هريرة رضي الله تعالى عنه

وعن ثعلبة بن أبي مالك القُرَظي أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه أقبل في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان. فقال: أوسِع الطريقَ للأمير يا بن أبي مالك. فقلت: أصلحك الله، يكفي هذا. فقال: أوسع الطريق للأمير، والحزمة عليه.

تواضع عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: خرج عبد الله بن مسعود رضي الله

تعالى عنه ذات يوم، فاتّبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك. قال: ارجعوا فإنه ذلّة للتابع، وفتنة للمتبوع.

زيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهما

ركب زيد بن ثابت، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال له: مَه يا بن عمِّ رسول الله. فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا. فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبَّلها، وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل رسول الله.

تواضع عبد الله بن سلام رضي الله عنه

مرَّ عبد الله بن سلام رضي الله عنه في السُّوق وعليه حزمة مِن حطب، فقيل له: أليس الله قد أعفاك عن هذا؟! قال: بلى، ولكن أردتُ أن أدفع به الكِبْر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنَّة مَن كان في قلبه مثقال حبَّة مِن خردلٍ مِن كِبْر.

ميزاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه

عن عبد الله بن عباس، قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد ذُبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلَّى بالناس، فأتاه العباس، فقال: والله، إنه للموضعُ الذي وضعه رسول الله. فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله. ففعل ذلك العباس.

صور من تواضع عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنه

وعن نافعٍ أو غيره، أن رجلاً قال لابن عُمر رضي الله تعالى عنه: يا خيرَ الناسِ وابنَ خير الناسِ. فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عبادِ الله، أرجو الله، وأخافُه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلِكُوه.

وجاء رجل إلى ابن عمر -رضي الله عنهما -فسأله عن فريضة، فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني.

وعن مجاهد قال: كنت أصحب ابن عمر -رضي الله عنهما -في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي، قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك. فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق.

وقال أيضًا رضي الله تعالى عنه: صحبت ابن عمر، وإني أريد أن أخدمه، فكان هو يخدمني.

وعن عمرو بن سعيد، عن أبيه. قال: قدم ابن عمر رضي الله تعالى عنه مكة فسألوه. فقال: تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح؟

تواضع إبراهيم النَّخَعي وعطاء السلمي

قال المغيرة كنا نهاب إبراهيم النَّخَعي هيبة الأمير، وكان يقول: إن زمانًا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء. وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض، وقال: هذا من أجلي يصيبكم، لو مات عطاء لاستراح الناس.

محمّد بن واسع يؤدب ابنه

رأى محمد بن واسع ابنا له يمشي مشية منكرة ، فقال له موبّخا: أتدري بكم اشتريت أمك ؟ بثلاثمائة درهم ، وأبوك لا كثّر الله في المسلمين من أمثاله ، وأنت تمشي هذه المشية ؟

صور من تواضع عمر بن عبد العزيز رحمه الله

قال رجاء بن حيوة : سمرت ليلة عند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فعشى السراج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألا أنبه هذا الغلام يصلحه؟ قال : لا دعه ينام لا أحب أن أجمع عليه عملين ، فقلت : أفلا أقوم أنا فأصلحه ؟ قال: لا فليس من المروءة استخدام الضيف، ثم قام بنفسه فأصلحه ووضع فيه الزيت ثم جاء وقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر.

ونادى رجلٌ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: يا خليفة الله في الأرض! فقال له عمر: مه، إنِّي لما وُلِدت اختار لي أهلي اسمًا، فسمَّوْني عمر، فلو ناديتني: يا عمر، أجبتك. فلمَّا كَبِرْتُ اخترت لنفسي الكُنَى، فكُنِّيت بأبي حفص، فلو ناديتني: يا أبا حفص، أجبتك. فلمَّا ولَّيتموني أموركم سمَّيتموني أمير المؤمنين، فلو ناديتني: يا أمير المؤمنين؛ أجبتك. وأمَّا خليفة الله في الأرض، فلست كذلك، ولكن خلفاء الله في الأرض داود النَّبيُّ عليه السَّلام وشبهه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص: 26].

بلغ عمر بن عبدالعزيز أن ابناً له اشترى خاتماً بألف درهم ، فكتب

إليه : بلغني أنك اشتريت خاتماً وفصّه بألف درهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم ، وأشبع به ألف بطن ، واتخذ خاتماً بدرهمين ، واجعل فصّه حديداً صينياً واكتب عليه : رحم الله امرءاً عرف قدره .

لما دفَن عمر بن عبد العزيز رحمه الله سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره سمَع للأرض هدّة أو رجّة، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذهِ مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُرّبت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها؟ نحُّوها عني، قَرّبوا إليَّ بغلتي، فقُرّبت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشُرَط يسير بين يديه بالحرْبة، فقال: تنحَّ عنّي ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين.

فوز إبراهيم بن أدهم

قال إبراهيم بن أدهم: ما فزت في الدنيا قط إلا مرة؛ بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام، وكان في البطن فجرَّ المؤذن رجلي حتى أخرجني من المسجد.

أنا ذلك الرجل

عن عمرو بن شيبة، قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكبًا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنّفون الناس. قال: ثم عدت بعد حين، فدخلت بغداد، فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر، قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: ما لك تنظر إليَّ؟ فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة. ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل. فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يترفَّع الناس.

أواني المأمون

نظر المأمون يومًا إلى رءوس آنيته محشوةً بقطنٍ، وكانت قبل ذلك بأطباق فضةٍ، فقال لصاحب الشراب: أحسنت يا بني، إنما يباهي بالذهب والفضة من لا خلاق عنده، وأما نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإياك أن تحشو رءوس أوانيك إلا بالقطن؛ فذاك بالملوك أهيأ وأبهى.

تواضع عالم

وقال موسى بن القاسم : كانت عندنا زلزلة وريح حمراء هاجت في المدينة ، فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت : يا أبا عبدالله ، أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا . فبكى ثم قال : ليتني لم أكن سبب هلاككم ، قال موسى : فرأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم يقول لي : إن الله عز و جل رفع عنكم البلاء بدعاء محمد بن مقاتل .

تواضع محمّد بن مقاتل

وقال موسى بن القاسم: كانت عندنا زلزلة وريح حمراء هاجت في المدينة، فذهبت إلى محمد بن مقاتل، فقلت: يا أبا عبد الله، أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا. فبكى ثم قال: ليتني لم أكن سبب هلاككم، قال موسى: فرأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم يقول لي: إن الله عز وجل رفع عنكم البلاء بدعاء محمد بن مقاتل.

نهاية متكبر

وعن أبي عبيدة رحمه الله قال: إن جبارًا من الجبابرة قال: لا أنتهي حتى أنظر من في السماء؟ قال: فسلط الله تعالى عليه أضعف خلقه

فدخلت بقة في أنفه فأخذه الموت. فقال: اضربوا رأسي فضربوه حتى نثروا دماغه.

تواضع أحمد بن حنبل

وقال أبو بكر المروزي لأحمد بن حنبل : ما أكثر الداعين لك . فامتلأت عيونه بالدموع وقال : أخاف أن يكون هذا استدراجا ، أسأل الله أن يجعلنا خيرا مما يظنون ، ويغفر لنا ما لا يعلمون .

وعن الإمام المروزي قال : لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد بن حنبل ، كان مائلا إليهم ، مقصرا عن أهل الدنيا ، وكان كثير التواضع ، تعلوه السكينة و الوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد صلاة العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدّر ، بل يقعد حيث انتهى به مجلسه.

المهلب بن أبي صفرة ومالك بن دينار

وعن الأصمعي عن أبيه، قال: مرَّ المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار رحمه الله متبخترًا، فقال: أما علمتَ أنها مِشية يكرهها الله إلا بينَ الصَّفينِ؟ فقال المهلَّبُ: أما تعرفني؟ قال: بلى، أوَّلُك نُطفة مَذِرَة، وآخِرُك جيفةٌ قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمِل العَذِرَة. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة.

الباب التّاسع عشر

التّعامل مع العاصي والمسيء

- **عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** «لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[1].
- **وعن محمد بن عبد الرحمن قال:** قال أبو بكر الصديق: لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره.
- **أخرج البخاري في الأدب عن شبل بن عون قال: كان يقال:** من سمع بفاحشة فأفشاها فهو فيها كالذي أبداها.
- **وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال:** من أشاع الفاحشة فعليه النكال وان كان صادقا.
- **وقال الفضيل بن عياض رحمه الله:** المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير.
- **وقال يحيى ابن معين:** ما رأيت على رجل خطأً إلا سترتُه، وأحببت أن أزيِّن أمره، وما أستقبل رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبيِّن له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك، وإلا تركته.
- **قال يوسف الرازي:** سمعت ذا النون رحمه الله وقيل له: مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه، وتقبح فعله وتهجره؟ فقال: لأني أنظر إلى الصانع في الصنع فيهون علي المصنوع.

---

(1) صحيح مسلم: ج4 ص202

- **وقال شاه الكرماني رحمه الله:** من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم؛ ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقل اشتغاله بهم.

رحمة الرّسول ﷺ بالعصاة و المسيئين

الأعرابي الذي بال في المسجد

فيما أخرج البخاري و مسلم، من حديث بن أنس رضي الله عنه: أن أعرابيا دخل المسجد فتنحى ناحية في المسجد، ثم جعل يبول، فأخذت الصحابة الغيرة، فنهوه، و صاحوا به، و لكن النبي صلى الله عليه و سلّم الذي تمل الرّحمة قلبه، و اتاه الله الحكمة في الدّعوة غلى الله عزّ وجل، زجرهم و منعهم من ان يصيحوا به و قال: لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه بوله.

فلما قضى الأعرابي بوله، أمر النبي صلى الله عليه و سلّم أن يصب دلو من الماء على البول، ثم دعا العرابي و قال له: إنّ هذه المساجد لا يصلح فيها شئ من الأذى أو من القذر و إنما هي للصلاة، و قراءة القرآن، وذكر الله عزّ وجل.

فانظر أخي الكريم إلى حسن تعامل الرّسول صلى الله عليه وسلّم مع هذا الأعرابي رغم إساءته و سوء تصرفه.

الصحابي الذي جامع زوجته في رمضان

أخرج البخاري و مسلم من حديث أبي هريرة رضي اله عنه قال: ان النبي صلى الله عليه و سلّم جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكتُ،

قال صلى الله عليه و سلّم : ما اهلكك؟

قال الرّجل: و قعت على امرأتي في رمضان، و أنا صائم. و هذا جرم عظيم و ذنب كبير أن يجامع الرّجل زوجته في رمضان وهو صائم.

فبماذا عامله النبي صلى الله عليه و سلّم، هل زجره؟ هل و بّخه؟... لا، لأن الرّجل جاء تائبا نادما، و ليس مستهترا غير مبال. فسأله النبي عليه أفضل الصلاة و السّلام: هل تجد رقبة لتعتقها؟

فقال: لا.

فسأله: هل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين؟

فقال: لا.

فقال: هل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا؟

فقال: لا.

ثم جلس الرّجل فأتى النبي صلى الله عليه بتمر، فقال له: خذ هذا فتصدّق به. يعني كفارة له لما فعله.

فقال الرّجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله، و الله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر مني، فضحك النبي صلى الله عليه و سلّم حتى بدت نواجذه، ثم قال: أطعمه أهلك.

الصحابي الذي عطس في الصلاة

فهو في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه حين دخل مع النبي صلى الله عليه و سلّم و هو يصلي فعطس رجل من القوم فقال: الحمد لله، فقال له معاوية: يرحمك الله. فرماه الناس بأبصارهم، استنكارا لتكلمه في الصلاة، فقال: واثكلَ أميّاه، ما شأنكم تنظرون إلي؟

فجعلوا يضربون على افخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه و سلّم - فبابي هو و أمي - ما رأيت معلّما قبله ولابعده أحسن تعليما منه، فو الله ما كهرني و لا ضربني و لا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام النّاس، إنما هو التسبيح و التكبير و قراءة القرآن[1].

الشّاب الذي يريد الزّنا

عن أبي أمامة قال إنّ فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه مه. فقال صلى الله عليه وسلم: ادنو، فدنا منه قريبا فجلس. قال صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

(1) رواه مسلم

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللّهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك يلتفت الفتى إلى شيء.[1]

***

شهامة رجل

وقال أحمد بن مهدي رحمه الله: جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي، فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت بمحنة، وقالت: أسألك بالله أن تسترني، فقلت: وما محنتك؟ قالت: أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرتُ للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، أُسترني سترك الله - عزَّ وجلَّ - فسكت عنها ومضت. فلم أشعر حتى وضعت، وجاء إمام المدينة في جماعة من الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل ووزنت في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول: هذه نفقة المولود، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من اللّيالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام فردتها، وقالت: سترك الله - عزَّ وجلَّ - كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود، وهي لك فاعملي فيها ما تريدين.

(1) رواه الإمام أحمد ورواته ثقات.

لا تحتقر العاصي

قال جعفر الصائغ: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممَّن يمارِس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يُسَلِّمُ عليه، فكأنَّ أحمد لم يَرُدَّ عليه ردًّا تامًّا وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله، لِمَ تنقبض مني؟! فإني قد انتقلت عمَّا كنتُ تعهدني برؤيا رأيتها. قال: وأي شيء رأيت؟ قال: رأيت النبي في النوم كأنه على علوٍّ من الأرض، وناس كثير أسفل جلوس. قال: فيقوم رجل منهم إليه، فيقول: ادع لي. فيدعو له، حتى لم يبقَ من القوم غيري. قال: فأردت أن أقوم، فاستحيت من قبيح ما كنت عليه، قال لي: يا فلان، لِمَ لا تقوم إلي فتَسْأَلني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله، يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه. فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم فسلني أدعُ لك، فإنك لا تسبُّ أحدًا من أصحابي. قال: فقمت، فدعا لي، فانتبهت وقد بَغَّضَ اللهُ إليَّ ما كنت عليه. قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان حدثوا بهذا واحفظوه؛ فإنه ينفع.

عثمان بن عفان يشكر الله

دعي عثمان إلى قوم على ريبة فانطلق ليأخذهم فتفرقوا فلم يدركهم. فأعتق رقبة شكرا لله تعالى أن لا يكون جرى على يديه خزي مسلم.

الحواري واللّص

وعن وهيب بن الورد رحمه الله قال: بلغنا أن عيسى - عليه السلام - مرّ هو ورجل من حوارّييه بلص في قلعة له، فلما رآهما اللص ألقى الله في قلبه التوبة. قال: فقال في نفسه: هذا عيسى بن مريم - عليه السلام - روح الله وكلمته، وهذا فلان حواريّه، ومن أنت يا شقي؟ لصّ

بنـي إسرائيـل، قطعـت الطريـق، وأخـذت الأمـوال، وسـفكت الدمـاء، ثـم هبـط إليهـما تائبًـا نادمًـا عـلى مـا كان منـه.

فلـما لحقهـما قـال لنفسـه: تريـد أن تمـشي معهـما؟ لسـت لذلـك بأهـل، امـش خلفهـما كـما يمـشي الخطّـاء المذنـب مثلـك. قـال: فالتفـت إليـه الحواري فعرفـه، فقـال في نفسـه انظـر إلى هـذا الخبيـث الشـقيّ، ومشـيه وراءنـا. قـال: فاطّلـع اللـه عـلى مـا في قلوبهـما، مـن ندامتـه وتوبتـه، ومـن ازدراء الحـواريّ إيـاه، وتفضيلـه نفسـه عليـه.

قـال فأوحـى اللـه - عـزَّ وجـلَّ - إلى عيـسى بـن مريـم: أن مُـر الحـواريّ، ولـص بنـي إسرائيـل أن يسـتأنفا العمـل جميعًـا: أمـا اللـص، فقـد غفـرت لـه مـا قـد مـضى لندامتـه وتوبتـه، وأمـا الحـواري، فقـد حبـط عملـه لعجبـه بنفسـه، وازدرائـه هـذا التـوّاب.

لا تقنط من رحمة الله

عـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال :

كان فيمـن كان قبلكـم رجـل قتـل تسـعة وتسـعين نفسـا ، فسـأل عـن أعلـم أهـل الأرض ، فـدُلَّ عـلى راهـب ، فأتـاه فقـال : إنـه قتـل تسـعة وتسـعين نفسـا ، فهـل لـه مـن توبـة ، فقـال : لا ، فقتلـه فكمـل بـه مائـة ، ثـم سـأل عـن أعلـم أهـل الأرض ، فـدُلَّ عـلى رجـل عـالم ، فقـال : إنـه قتـل مائـة نفـس، فهـل لـه مـن توبـة؟

فقـال : نعـم ، ومـن يحـول بينـه وبـين التوبـة ، انطلـق إلى أرض كـذا وكـذا، فـإن بهـا أناسـا يعبـدون اللـه ، فاعبـد اللـه معهـم ، ولا ترجـع إلى أرضـك، فإنهـا أرض سـوء.

فانطلق حتى إذا نصَفَ الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملَكٌ في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة . قال قتادة : فقال الحسن : ذُكِرَ لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره.

عليك أن تسترها

وعن عامر قال: أتى رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن ابنة لي كانت وئدت في الجاهلية فاستخرجتها قبل أن تموت. فأدركت الإسلام فلما أسلمت أصابت حدا من حدود الله فعمدت إلى الشفرة لتذبح بها نفسها فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها فداويتها حتى برئت. ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة فهي تُخْطَبُ إلي يا أمير المؤمنين أفأخبر من شأنها بالذي كان؟

فقال عمر: أتخبر بشأنها! تعمد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة.

محمد بن زكريا الغلابي و السكير

قال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد ابن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة، فجذبها، فاستغاثت، فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه، فقال للناس: تنحوا

عـن ابـن أخـي. ثـم قـال: إليَّ يابـن أخـي. فاسـتحي الغـلام، فجـاء إليـه فضمَّـه إلى نفسـه، ثـم قـال لـه: امـض معـي. فمـضى معـه حتـى صـار إلى منزلـه، فأدخلـه الـدار، وقـال لبعـض غلمانـه: بيتـه عنـدك، فـإذا أفـاق مـن سـكره فأعلمـه بمـا كان منـه، ولا تدعـه ينـصرف حتـى تأتينـي بـه.

فلـما أفـاق ذكـر لـه مـا جـرى، فاسـتحيا منـه وبـكى، وهَـمَّ بالانـصراف؛ فقـال الغـلام: قـد أمـر أن تأتيـه. فأدخلـه عليـه فقـال لـه: أمـا اسـتحييت لنفسـك؟ أمـا اسـتحييت لشرفـك؟ أمـا تـرى مـن والـدك؟ فاتـق اللـه، وانـزع عـما أنـت فيـه. فبـكى الغـلام منكِّسًـا رأسـه، ثـم رفـع رأسـه، وقـال: عاهـدت اللـه تعـالى عهـدًا يسـألني عنـه يـوم القيامـة أني لا أعـود لـشرب النبيـذ، ولا لـشيء مـما كنـت فيـه وأنـا تائـب. فقـال: أُدن منـي. فقبَّـل رأسـه، وقـال: أحسـنت يـا بنـي. فـكان الغـلام بعـد ذلـك يلزمـه ويكتـب عنـه الحديـث.

الباب العشرون

العزّة و الجرأة

- **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :** نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.
- **قال الحسين بن علي رضي الله عنه:** هيهات منا الذّلة.
- **سأل رجل الحسن البصري:** بمَ نلت هذا المقام؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي.
- **قال المتنبي:**

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

الحسن البصري مع الحجَّاج

الحسن البصري من كبار التابعين، وهو عالم جليل، والعلم أمانة، ومن أمانة العلم التبيين، وكان في عهد الحجاج، والحجاج مخيف، أدى أمانة العلم، وبلغ الحجاج ما قاله الحسن البصري فيه، فغضب وزمجر، وهدد وتوعد، وقال لجلسائه: يا جبناء، والله لأورينّكم من دمه، بكل بساطة أمر بقتله، وجاء بالسياف، ومدّ النطع، وهو قماش يمنع تلوث الأثاث بدم المقتول.

دخل الحسن البصري إلى مجلس الحجاج، رأى السياف واقفاً، وقد مُدّ النطع، فهِم كل شيء، جيء به ليقتل، فحرك شفتيه، وتمتم بكلمات، فإذا بالحجاج يقف له، ويقول: أهلاً بأبي سعيد، أنت سيد العلماء، وما زال يقربه، ويقربه حتى أجلسه على سريره، وسأله، واستفتاه، وضيفه، وعطّره، وودّعه، صُعق السياف والحاجب الذي جاء به، فلما خرج الحسن البصري تبعه الحاجب، قال له: يا أبا سعيد، لقد جيء بك لغير ما فعل بك، فماذا قلت لربك؟ قال: قلت له: يا ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي في وحشتي، اجعل نقمته عليّ برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

جرأة العزبن عبد السّلام

كان في مصر ملِكٌ اسمه أيوب، كان إذا مشى موكبه قبّل الأمراء والكبراء الأرض أمامه خضوعاً له، وهناك حديث عنه طويل، عن جبروته، وقوته، كان إذا تكلم أحد في مجلسه قتله، يجب أن تسكت، كان إذا أدخل أحداً السجن، وسأل عنه أحد قتله، هناك قصص عن جبروته، وقهره، وظلمه بشكل لا يصدق، وكان في عهده عالم جليل اسمه العز بن عبد السلام، في يوم عيد الأضحى، وهو في موكبه الكبير على فرسه، وحوله

الكبراء والأمراء، والأمراء يقبّلون الأرض أمامه، صاح به بأعلى صوته، يا أيوب، هكذا، ماذا تقول لربك يوم القيامة وقد ملّكك مصر لمَ تُزِل المنكرات؟ صعق الملك، قال له: أيّ منكر؟ قال: هناك حانة تبيع الخمر، قال: لا أعلم، قال: أنا قد أعلمتك، قال: لعلها مِن عهد والدي، قال: إذاً ينطبق عليك قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾، قال: سأزيلها فوراً، يقول الظاهر بيبرس: والله ما استقر مُلكي حتى مات العز بن عبد السلام.

سعيد بن جبير مع الحجَّاج

سعيد بن جبير أراد الحجاج أن يقتله، قال: سأقتلك، قال: والله لو علمت أن أمري بيدك ما عبدت غيرك، لكنني أعبد الله.

ربعي بن عامر ورستم

دخل ربعي بن عامر على رستم، وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق المذهَّبة والزَّرَابِيِّ الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته على رأسه.

فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكَّأ على رمحه فوق النمارق، فخرق

عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخِّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحبّ إليكم؟ يومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال: ما سَنَّ لنا رسول الله أن نؤخِّرَ الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب.

والي البصرة مع الخليفة يزيد

جلس والي البصرة و كان عنده الإمام الجليل الحسن البصري، وقد جاءه لتوه توجيه وأمرٌ من يزيد الخليفة، وفيه ظلم شديد، هذا التوجيه

لـو نفـذه لأغضـب اللـه عـز وجـل، ولـو لم ينفـذه لأغضـب الخليفـة، وربمـا عزلـه، فوقـع في حـيرة مـن أمـره، وعنـده الإمـام الجليـل الحسـن البـصري، قـال لـه: مـاذا أفعـل يـا إمـام ؟

قـال لـه: إن اللـه يمنعـك مـن يزيـد، ولكـن يزيـد لا يمنعـك مـن اللـه، هـذا التوحيـد، لا يوجـد إلا اللـه فقـط، لا تخـشَ أحـداً، اللـه يحميـك مـن كل البـشر، لكـن أقـوى البـشر لا يحميـك مـن اللـه.

الجواب ما ترى لا ما تسمع

قصتنـا التاليـة هـي عـن هـارون الرشـيد .. ولعـل هـذا الرجـل مـن مَـن كـثر عنهـم الـكلام والأقاويـل بأنـه صاحـب غنـاء وخمـر ولهـو وغـير ذلـك وكل هـذا ادعـاءات مـن أعـداء الديـن ومـن يقـرأ سـيرته بتمحـص وتمعـن يعـرف انـه كان يصـلي في الليلـة الواحـدة مائـة ركعـة وكان يحـج عامـاً ويغـزو عامـا .. ومـا يهمنـا منـه الان هـذه القصـة التـي بهـا العـبرة ..

وصلـه خطـاب طويـل مـن ملـك الـروم كان هـذا الخطـاب كثـير الكلـمات والحـروف يسـب ويشـتم ويلعـن هـارون الرشـيد.. والمسـلمين.. وفيـه مـن التهديـد الكثـير ويقـول فيـه أيضـاً أني سـأفعل وسـأُدمر وسـأكون جيشـاً هائـلاً قويـاً والمسـلمين وسأكتسـح أراضيكـم. ولـن يقـف أمـام وجهـي أحـد.. حتـى أصـل إلى الكعبـة.. فأقـضي عليهـا وأهدمهـا .. فأرسـل هـذا الخطـاب لهـارون الرشـيد و قُـرأ عليـه هـذا الخطـاب فالتفـت هـارون إلى كاتبـه ، وقـال اكتـب خلـف الخطـاب لا يريـد أن يرسـل لـه خطابـاً في ورقـة جديـدة اسـتحقاراُ لـهُ، قـال اكتـب خلـف الخطـاب .. مـن هـارون الرشـيد أمـير المؤمنـين إلى نقفـور كلـب الـروم .. إن الجـواب مـا تـرى لا مـا تسـمع ! والسـلام عـلى مـن اتبـع الهـدى ثـلاث كلـمات فقـط أرسـلها لـه (إن الجـواب مـا تـرى لا مـا تسـمع)

ثـم خـرج هـارون الرشـيد ونـادى في النـاس الجهـــاد الجهـــاد ،فاجتمـع النـاس جماعـات ووحدانـا و خـلال وقـت قصـير إذا بالجيـش يلتئـم والقـوة تتجمـع ثـم يقودهـا هـذا البطـل العظيـم ومتجهـاً إلى أيـن ؟ إلى نقفـور بذاتـه ملـك الـروم ..

ويصـل إليـه بعـد أن يفتـح البـلاد تلـو البـلاد .. والقـرى تلـو القـرى إلى أن يصـل إلى عاصمـة نقفـور .. يحاصرهـا ويشـد عليهـم بالحصـار ويحلـف أن لا يرجـع إلا بـرأس نقفـور .. أعطـاه الـروم مـا شـاء مـن المـال والذهـب والجزيـة لكنـه أبى ،ورفـض ثـم في النهايـة قـام الـروم بالانقـلاب عـلى نقفـور، وسـلموا رأسـه إلى هـارون الرشـيد قتيـلا .. ثـم استسـلموا جميعـاً لهـارون الرشـيد ودفعـوا لـه الجزيـة أذلـة خاسـئين وعـاد رضي اللـه عنـة منتـصراً قويـا إلى بـلاده وقـد رفـع رايـة الإسـلام والحـق عاليـا.

الباب الحادي و العشرون

حسن مداراة الناس

- **قال الشافعي رحمه الله :**

وداريتُ كلَّ الناسِ لكنَّ حاسدي مداراتُه عزَّت وعزَّ منالُها

وكيف يُداري المرءُ حاسدَ نعمةٍ إذا كان لا يرضيه إلا زوالُها؟

- **وقال أحمد الخطابي:**

ما دمتَ حيًّا فدارِ النَّاس كلَّهم فإنما أنت في دارِ المـــــدَاراةِ

من يَدرِ دارى ومن لم يَدرِ سوف يرَى عما قليلٍ نديمًا للنداماتِ

- **وقال القاضي التنوخي:**

القَ العدوَّ بوجهٍ لا قطوبَ به يكادُ يقطرُ من ماءِ البشاشاتِ

فأحزمُ النَّاسِ من يلقَى أعاديَه في جسمِ حقدٍ وثوبٍ من مودَّاتِ

الرفقُ يمنٌ وخيرُ القولِ أصدقُه وكثرةُ المزحِ مفتاحُ العداواتِ

- **وقال علي بن محمد البسامي:**

دارِ مِن الناسِ مَلالاتِهم مَن لم يدارِ الناسَ ملُّوه

ومكرمُ النَّاسِ حبيبٌ لهم مَن أكرمَ الناسَ أحبُّوه

• **قال الشاعر:**

وإذا عجزتَ عن العدوِّ فدارِهِ وامزحْ له إنَّ المزاحَ وفـــــاقُ

فالنَّارُ بالماءِ الذي هو ضدُّها تُعطي النضاجَ وطبعُها الإحراقُ

مداراة النبي ﷺ لمخرمة

عـن المسـور بـن مخرمـة، قـال: قسـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أقبيـة ولم يعـط مخرمـة شـيئًا، فقـال مخرمـة: يـا بنـي، انطلـق بنـا إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. فانطلقـت معـه، فقـال: ادخـل فادعـه لي. قـال: فدعوتـه لـه، فخـرج إليـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وعليـه قبـاء منهـا، فقـال: خبـأت هـذا لـك. قـال: فنظـر إليـه، فقـال: رضي مخرمـة.

حسن المداراة

وشـكا رجـل إلى مخلـد بـن الحسـين رجـلًا مـن أهـل الكوفـة فقـال: أيـن أنـت عـن المـدَاراة؟ فـإني أداري حتـى أداري هـذه -جاريـة حبشـية تغربـل شـعير الفـرس لـه-، ثـم قـال: مـا تكلمـت بكلمـة أُريـد أن أعتـذر منهـا منـذ خمسـين سـنة.

مداراة عبد الله بن عمر لمعاوية

عـن عكرمـة، عـن ابـن عُمـر رضي اللـه عنـه، قـال: دخلـتُ عـلى حفصـةَ فقلـت: قـد كانَ مـن النـاس مـا تَرَيـن، ولم يُجعـل لي مـن الأمـر شيءٌ، قالـت: فالحـق بهـم فإنهـم ينتظرونـك، وإني أخـشى أن يكـون في احتباسـك عنهـم فُرقـةٌ، فلـم يَرعـه حتـى ذهـب. قـال: فلـما تفـرَّق النـاس، خطـب معاويـةُ، فقـال: مـن كان يُريـد أن يتكلَّـم في هـذا الأمـر، فليُطلـعْ إليَّ قرنـه، فنحـنُ أحـقُّ

بذلك منه ومن أبيه[1].

قال حبيبُ بنُ مسلمة: فهَلاَّ أجبته فِداكَ أبي وأمي؟ فقال ابنُ عمر: حلَلْتُ حبوتي، فهممتُ أن أقول: أحقُّ بذلك منك من قاتَلَكَ وأباكَ على الإسلام فخشيتُ أن أقولَ كلمة تُفرِّق الجمع، ويُسْفَكُ فيها الدَّمُ، فذكرتُ ما أعدَّ الله في الجنان.

حكمة الحارث بن سويد رحمه الله

وعن سعيد بن حبان قال: جمع المختار رباع أهل الكوفة على صحيفة مختومة يبايعون على ما فيها ويقرون بها. فقلت: لأنظرن ما يصنع الحارث بن سويد رحمه الله، فلما دعيت إذا هو بين يدي القوم فمشيت إلى جنبه، فقلت: يا أبا عائشة أتدري ما في هذه الصحيفة؟ قال: إليك عني، فإني سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: ما كنت لأدع قولاً أقوله أدرأ به عني سوطين.

مصعب بن الزبيررحمه الله والرجل الفطن

وعن عبد الله بن سلمويه، قال: أسر مصعب بن الزبير رحمه الله رجلاً فأمر بضرب عنقه، فقال: أصلح الله الأمير، ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فأتعلق بأطرافك الحسنة، وبوجهك الذي يستضاء به، فأقول: يا رب سل مصعبًا فيم قتلني؟ فقال: يا غلام، أعف عنه، فقال: أصلح الله الأمير، إن رأيت أن تجعل ما وهبت لي من حياتي في عيشٍ رخي، قال: يا غلام، أعطه مائة ألف، فقال: أيها الأمير، فإني أشهد الله وأشهدك أني قد جعلت لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفًا، فقال له: ولِمَ؟ قال:

(1) يعرّض بعبد الله بن عمر و أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

لقولـه فيـك:

إنما مصعب شهاب من اللـه تجلت عن وجهه الظلماء

مداراة إبراهيم بن أبي عبلة رحمه الله لهشام بن عبد الملك

وعـن إبراهيـم بـن أبي عبلـة رحمـه اللـه أنـه قـال: بعـث إليّ هشـام بـن عبـد الملـك، فقـال: يـا إبراهيـم، إنـا قـد عرفنـاك صغـيرًا وخبرنـاك كبـيرًا، ورضينا بسـيرتك وحالـك، وقـد رأيـت أن أخلطـك بنفـسي وبخاصتـي، وأشركك في عمـلي، وقـد وليتـك خـراج مـصر، فقـال: أمـا الـذي عليـه رأيـك يـا أمـير المؤمنـين فاللـه يجزيـك ويثيبـك وكفـى بـه جازيًـا ومثيبًـا، وأمـا الـذي أنـا عليـه فـمالي بالخـراج تـصرف، ومـالي عليـه قـوة. فغضـب حتـى اختلـج وجهـه، ثـم قـال: لَيلِـيَنَّ طائعًـا أو لَيلِـينَّ كارهًـا، فأمسـكت عـن الـكلام حتـى رأيـت غضبـه قـد انكـسر وثورتـه قـد طفئـت، فقلـت: يـا أمـير المؤمنـين، أأتكلـم؟ فقـال: نعـم، فقلـت: إن اللـه سـبحانه قـال في كتابـه: ﴿إِنَّـا عَرَضْنَـا الْأَمَانَـةَ عَـلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَـيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الْإِنسَـانُ إِنَّـهُ كَانَ ظَلُومًـا جَهُـولاً﴾ الآيـة [الأحـزاب: 72]. واللـه يـا أمـير المؤمنـين مـا غضـب عليهـن إذ أَبَـيْنَ، ولا أَكْرههـن إذْ كَرِهـن، ومـا أنـا بحقيـق أن تغضـب عـليّ إذ أبيـت ولا تكرهنـي إذ كرهـت، فضحـك وقـال: يـا إبراهيـم، أبيـت إلا رفقًـا فقـد أعفينـاك ورضينـا عنـك.

مخالطة النّاس

وجـاء رجـل إلى وهـب بـن منبـه رحمـه اللـه فقـال: إني قـد حدثـت نفـسي أن لا أخالـط النـاس فـما تـرى؟ قـال: لا تفعـل، إنـه لا بـد للنـاس منـك، ولا بـد لـك منهـم، لـك إليهـم حوائـج، ولهـم إليـك حوائـج، ولكـن كـن فيهـم أصـم سـميعا، أعمـى بصـيرا، سـكوتا نطوقـا.

وصية جد الأصمعي

وعـن الأصمعـي قـال: لمـا حـضرت جـدي عـلي بـن الأصمـع رحمـه اللـه الوفـاة، جمـع بنيـه فقـال: أي بَنـيَّ عـاشروا النـاس معـاشرة إن عشـتم حنـوا إليكـم، وإن متـم بكـوا عليكـم.

وعـن عـروة بـن الزبـير رحمـه اللـه قـال: مكتـوب في الحكمـة: لتكـن كلمتـك طيبـة، وليكـن وجهـك بسـطا، تكـن أحـب إلى النـاس ممـن يعطيهـم العطـاء.

وعـن أبي قلابـة ، قـال : التمـس لأخيـك العـذر بجهـدك ، فـإن لم تجـد لـه عـذرا فقـل : لعـل لأخـي عـذرا لا أعلمـه.

وكان يقـال: إذا بلغـك عـن أخيـك مـا تكـره فالقـه بمـا يحـب؛ فإنـك تقضمه جمرتـه وهو لا يشـعر.

الباب الثّاني و العشرون

الصداقة و الأخوة في الله

- **قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه:** الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومُمِلُّ الخير خير من الصامت، والصامت خير من مُمِل الشر.
- **وقال عون بن عبد الله رحمه الله:** ما تحابّ رجلان في الله، إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه.
- **وقال القاسم بن محمد رحمه الله:** قد جعل الله في الصديق البارّ عِوَضًا من الرَّحِم المُدْبِرة.
- **يقول أحد الشّعراء:**

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ ولكنَّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

- **وقال أخر:**

اِستكثرنّ من الإخوان إنهُمُ خيرٌ لكانزهم كنزا من الذهبِ

كم من أخٍ لك لو نابتْكَ نائبةٌ وجدْته لك خيرا من أخِ النسب

- **وقال أخر:**

وليس أخي من ودني بلسانه ولكنْ أخي من ودّني في النوائبِ

ومَن مالُهُ مالي إذا كنتُ معدَمًا ومالي له إن عضّ دهرٌ بغاربِ

• **وقال أخر:**

وليس خليلي بالمولولِ ولا الذي إذا غبْتُ عنه باعني بخليلِ

ولكن خليلي من يديمُ وصالَهُ ويكتمُ سِري عند كل دخيلِ

• **قال الشافعي رحمة الله عليه:**

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكنْ بها صديقٌ صدوقٌ صادق الوعدِ منصفا

أيّ العمل أحب إليك؟

وقال سفيان بن عيينة: نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة رحمه الله بالكوفة، فحمله على حمار، فسألوه فقالوا: يا عبد الله أيّ العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. قالوا: فما بقي مما يستلذ؟ قال: الإفضال على الإخوان.

من هو الغريب؟

وقال أبو الحسين العتكي: سمعت إبراهيم الحَرْبي رحمه الله يقول لجماعةٍ عندَه: من تعُدُّون الغريبَ في زمانكم؟ فقال رجلٌ: الغريبُ: مَن نأى عن وطنه. وقال آخر: الغريب: من فارقَ أحبابَه. فقال إبراهيم: الغريبُ في زماننا: رجلٌ صالحٌ، عاشَ بين قومٍ صالحين، إن أمر بمعروفٍ آزروه، وإن نهى عن منكر عانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه.

دعاء أبو الدرداء لإخوانه

عن أُمِّ الدرداء، قالت: كان لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ست وثلاث

مئـة خليـل في اللـه. يدعـوا لهـم في الصـلاة، فقلـتُ لـه في ذلـك، فقـال: إنـه ليـس رجـلٌ يدعـوا لأخيـه في الغيـب، إلاَّ وَكَّلَ اللـه بـه ملكـين يقـولان: ولـك بمثـل. أفـلا أرغـبُ أَنْ تدعُـوا لي الملائكـة.

ما بكيت لسؤالك

وعـن مهـدي بـن سـابق قـال: طلـب ابـن أخـي محمـد بـن سـوقة رحمـه اللـه منـه شـيئًا. فبـكى، فقـال لـه: واللـه يـا عَـمّ لـو علمـت أن مسـألتي تبلـغ منـك هـذا مـا سـألتك، قـال: مـا بكيـت لسـؤالك، إنمـا بكيـت؛ لأني لم أبتدئـك قبـل سـؤالك.

اكتبها في رُقْعة

وعـن مطـرِّف بـن الشـخير رحمـه اللـه أنَّـه قـال لِبعـض إخوانـه: يـا أبـا فـلان إذا كانـت لـك حاجـةٌ فـلا تُكلِّمنـي واكتبهـا في رُقْعـة فـإني أكـرهُ أن أرى في وجهـك ذُلَّ السـؤال.

فوات الحج

وعـن معمـر: أن طاووسًـا رحمـه اللـه أقـام عـلى رفيـق لـه مريـض حتـى فاتـه الحـج.

صرة النقود

وقـال يعقـوبُ بـن شـيبة رحمـه اللـه: أظَـلَّ العيـدُ رجـلاً، وعِنْـده مئـة دينـار لا يملـكُ سـواها، فكتـب إليـه صديـق يسـترعي منـه نفقـة، فأنفـذ إليـه بالمئـة دينـار، فلـم يَنْشَـبْ أن وردَ عليـه رقعـةٌ مـن بعـض إخوانـه يذكـرُ أنَّـه أيضـا في هـذا العيـد في إضاقـة، فوجَّـه إليـه بالـصُّرَّة بعينهـا. قـال: فبقـي الأول

لا شيء عنده، فاتفق أنَّه كتبَ إلى الثالث وهو صديقُه يذكرُ حاله، فبعثَ إليه الصُّرة بخَتْمِها. قال: فعرفَها، وركبَ إليه، وقال: خبِّرني ما شأنُ هذه الصُّرة؟ فأخبره الخبر، فركبا معًا إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها.

احسان ابن المبارك رحمه الله لإخوانه

وقال علي بن الحسن بن شقيق: كان ابن المبارك رحمه الله إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟

فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه.

أحب الإخوان

وقيل لخالد بن صفوان رحمه الله: أيّ إخوانك أحبُّ إليك؟
قال: الذي يَغفِرُ زَلَلي، ويَقبَلُ عِلَلي، ويَسُدُّ خللي.

لماذا ترك الجارية؟

وعن محمد بن إبراهيم الحدثي أنه قال: حدثني أبي عن رجل قد سمّاه كان ينزل عليه عبد الله بن المبارك رحمه الله في بعض ما كان ومعه إخوان له، فشكى إليّ العزبة وأمرني أن أشتري له جارية. قال: فاشتريت له جارية وعرضتها عليه فرضيها، وقال: ابعث بها إلى المنزل. قال: فأتيت بها أهلي فأقامت حتى حاضت وطهرت، فأخبرته بذلك فقال لي: ابعث بها الليلة، فأتيت بناتي فأخبرتهن، فقمن إليها فمشطنها وهيأنها. قال: فلما صلى العشاء الآخرة وجهتها إليه، فلما أصبحنا قال للجارية: امضي إلى أهل فلان. قال: فجاءت الجارية فسألتها بناتي وأمهن عن حالها فقالت: ما وضع يده عليّ، قال: فغدوت إليه فقلت: يا أبا عبد الرحمن، شكوت إلي العزبة، وأمرتني فاشتريت لك جارية، وعرضتها عليك فرضيتها، وقامت بناتي فهيأنها، وإن أم فلان أخبرتني أنك لم تضع يدك عليها؟! قال لي: يا أبا فلان، القول ما قلت لك من شدة العزبة، لكني لما خلوت بها ذكرت إخواني فَتَذهَّمْت أن أنال شهوة لا ينالوها، وليس في يميني ما يسعهم. أخرج الجارية فبعها.

وفي معنى هذه القصة يقول أحد الشعراء:

وتركي مواساة الأخلاء بالـــــذي تنال يدي ظلمٌ لهم وعقوق
وإني لأستحيي من الناس أن أرى بحال اتساع والصديق مضيق

شرط الصحبة

وعن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي رحمه الله على بغداد يريد مكة، فكنت أحب أن أصحبه، فأتيته فاستأذنته في الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال: اعزم على شرط يكون أحدنا

الأمير لا يخالفه الآخر: فقلت: أنت الأمير! فقال: يا أبا محمد لا! بل أنت الأمير! فقلت: أنت أسن وأولى! فقال: نعم، ولا يجب أن تعصيني! فقلت: نعم! فخرجت معه، فكان إذا حضر الطعام يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشترط عليك أن لا تخالفني؟ فكان هذا دأبنا، حتى ندمت على صحبته لما يلحق نفسه من الضرر، فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير، فقال لي: يا أبا محمد اطلب الميل: فلما رأينا الميل قال لي: اقعد في أصله! فأقعدني في أصله، وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا علي وعليه كساء قد تجلل به يظللني به من المطر حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخلنا مكة.

نصيحة الشافعي رحمه الله

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي رحمه الله: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المبلغ، فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر، فاقبل منه، وإن لم تر ذلك، فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدّها،

ثـم ابـدر لـه إحسـانًا بهـذه السـيئة، ولا تبخسـن باقـي إحسـانه السـالف بهـذه السـيئة، فـإن ذلـك الظلـم بعينـه. يـا يونـس إذا كان لـك صديـق فشـد يديـك بـه، فـإن اتخـاذ الصديـق صعـب ومفارقتـه سـهل.

وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء:

إذا ما صديقي رابَني سُوءُ فِعلِهِ ولم يَكُ عمّا ســـاءني بمُفِيقِ
صبرت على أشياء منــه تريبني مخافة أن أبقى بغير صديق

ويقول آخر:

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ
ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كـــلَّ عثرةٍ يَجِدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صَاحِبُ

احسان مورق رحمه الله لإخوانه

وعـن جعفـر قـال: حدثنـا بعـض أصحابنـا قـال: كان مـورق رحمـه اللـه يتجـر فيصيـب المـال، فـلا تـأتي عليـه جمعـة وعنـده منـه شيء، يلقـى الأخ فيعطيـه أربعمائـة خمسـمائة ثلاثمائـة، فيقـول: ضعهـا عنـدك حتـى نحتـاج إليهـا ثـم يلقـاه بعـد ذلـك فيقـول: شـأنك بهـا.

فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها.

فيقـول: إنـا واللـه مـا نحـن بآخذيهـا أبـدًا فشـأنك بهـا. وقـال: كـره أن يعطيهـم عـلى وجـه الصدقـة.

الباب الثّالث و العشرون

الشّجاعة

- **قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد:** احرص على الموت، توهب لك الحياة.
- **وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** الجبن والشَّجَاعَة غرائز في النَّاس، تلقى الرجل يقاتل عمن لا يعرف، وتلقى الرجل يفر عن أبيه.
- **قال الإمام الذهبي رحمه الله:** الشَّجَاعَة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله، فلن يجود بنفسه.
- **قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

في الجبن عارٌ و في الإقدام مكرُمةٌ ومن يفر فلن ينجو من القدر

- **ابن نباتة السعدي رحمه الله:**

و من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب و الموت واحد

- **قال قطري بن الفجاءة:**

أقول لها وقد طارت شعاعًا من الأبطالِ ويحك لن تـــراعي
فإنك لو سألت بقاء يـــوم على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا فمـــــا نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب الحياة بثوب عز فيطوى عــن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي وداعيه لأهـــــل الأرض داعي

ومن لم يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنـــــون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حيـــــاة إذا ما عدَّ من سقط المـــــتاع

صور من شجاعة النَّبي ﷺ

في إحـدى اللّيـالي سـمع أهـل المدينـة صوتًـا عاليًـا، ألقـى الخـوف في قلوبهـم، فانطلـق النـاس ناحيتـه، فقابلهـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في الطريـق عائـدًا، وكان قـد سـبقهم إلى مصـدر هـذا الصـوت، فقـال لهـم: لم تُرَاعـوا..لم تراعـوا[1]. متفـق عليـه.

عـن عـلي رضي اللـه عنـه قـال: لقـد رأيتنـا يـوم بـدر ونحـن نلـوذ برسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وهـو أقربنـا إلى العـدو، وكان مـن أشـد النَّـاس يومئـذ بأسًـا.

وعـن عبـاس بـن عبـد المطلـب رضي اللـه عنـه قـال: شـهدت مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم حنـين، فلزمـت أنـا وأبـو سـفيان بـن الحـارث بـن عبـد المطلـب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فلـم نفارقـه، ورسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى بغلـة لـه بيضـاء أهداهـا لـه فـروة بـن نفاثـة الجذامـي، فلـما التقـى المسـلمون والكفـار، ولَّى المسـلمون مدبريـن، فطفـق رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يركـض ببغلتـه قِبَـلَ الكفـار، قـال عبـاس: وأنـا آخـذ بلجـام بغلـة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أكفهـا؛ إرادةَ أن لا تـسرع، وأبـو سـفيان أخـذ بـركاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه

(1) أي لا تفزعوا.

وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيْ عباس، ناد أصحاب السمرة. فقال عباس: -وكان رجلًا صيِّتًا- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثُمَّ قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس.

شجاعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

عن عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنَّبي صلى الله عليه وسلم، قال:بينا النَّبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم وقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ ربي الله.

وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: خطبنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال: أيها النَّاس، أخبروني بأشجع النَّاس، قالوا: لو قلنا أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع النَّاس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر الصديق، إنا لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشًا

فقلنا: من يكون مع النَّبي صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، وهذا أشجع النَّاس، قال علي: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، قال: فوالله ما دنا منه إليه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى أخضل لحيته، ثم قال علي: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ قال: فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني ؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

شجاعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل، إني قد أسلمت، قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد، فنادى أندية قريش، فقال: يا معشر قريش، إنَّ ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر: كذب ولكني أسلمت وآمنت بالله، وصدَّقت رسوله، فثاوروه، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، حتى فتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه، فقال

عمـر: افعلـوا مـا بـدا لكـم، فوالله لـو كنـا ثـلاث مائـة رجـل لقـد تركتموهـا لنـا أو تركناهـا لكـم...

وعـن محمـد بـن إسـحاق قـال: فلـما قـدم عبـد اللـه بـن أبي ربيعـة، وعمـرو ابـن العـاص، عـلى قريـش ولم يدركـوا مـا طلبـوا مـن أصحـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وردّهـم النجـاشي بمـا يكرهـون، أسـلم عمـر بـن الخطـاب، وكان رجـلًا ذا شـكيمة، لا يـرام مـا وراء ظهـره، امتنـع بـه أصحـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وبحمـزة بـن عبـد المطلـب، حتـى غـزا قريشًـا، فـكان عبـد اللـه بـن مسـعود يقـول: مـا كنـا نقـدر عـلى أن نصـلي عنـد الكعبـة حتـى أسـلم عمـر بـن الخطـاب، فلـما أسـلم قاتـل قريشًـا حتـى صـلَّى عنـد الكعبـة وصلَّينـا معـه، وكان إسـلام عمـر بعـد خـروج مـن خـرج مـن أصحـاب النَّبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى أرض الحبشـة.

شجاعة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

عـن عامـر بـن سـعد عـن أبيـه رضي اللـه عنـه: أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم جمـع لـه أبويـه قـال: كان رجـل مـن المشركـين قـد خـرق المسـلمين، فقـال النَّبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لسـعد: ارم فـداك أبي وأمـي، قـال: فنزعـت بسـهم لي فيـه نصـل، فأصبـت جنبـه، فوقـع وانكشـفت عوراتـه، فضحـك رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حتـى نظـرت إلى نواجـذه.

شجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه

قـال خالـد بـن الوليـد رضي اللـه عنـه: لقـد رأيتنـي يـوم مؤتـة تقطَّعـت في يـدي تسـعة أسـياف، وصـبرت في يـدي صفيحـة لي يمانيـة.

ولمـا احتـضر قـال: لقـد طلبـت القتـل مظانـه، فلـم يقـدر لي إلاّ أن أمـوت

على فراشي، وما من عملي شيءٌ أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس بترسي، والسماء تهلبني ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار، ثُمَّ قال: إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوها عدَّة في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

الشجاعة في قول الحق

وهذه قصة عالم من علماء المسلمين الربانين الذين أيقنوا أن الآجال بيد الله تعالى وحده ، وهي قصة أحمد بن نصر الخزاعي والتي ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية فقال في أحداث سنة إحدى وثلاثين ومائتين : وكان فيها مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه .

وكان سبب ذلك أن هذا الرجل كان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وكان الواثق من اشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلا ونهارا، سرا وجهارا، اعتمادا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون، من غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ولا سنة ولا قرآن. فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر. فأحضر للمناظرة وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره ، بل أعرض عن ذلك كله ، وقال له : ما تقول في القرآن ؟

فقال : هو كلام الله

قال : أمخلوق هو ؟

قال : هو كلام الله . وكان أحمد قد استقتل وباع نفسه وحضر وقد تحنط وتنور وشد على عورته ما يسترها. فقال له: ما تقول في ربك ، أتراه يوم القيامة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين قد جاء في القرآن والأخبار بذلك ، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فنحن على الخبر.

قال الواثق : ويحك ! أيرى كما يرى المحدود المتجسم ؟! ويحويه مكان ، ويحصره الناظر ؟! أنا أكفر برب هذه صفته . قلت : وما قاله الواثق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم . ثم قال أحمد بن نصر للواثق : وحدثني سفيان بحديث يرفعه : أن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويحك ! انظر ما تقول.

فقال : أنت أمرتني بذلك ، فأشفق إسحاق من ذلك ، وقال : أنا أمرتك ؟! قال : نعم أنت أمرتني أن أنصح له .

فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فأكثروا القول فيه ، فقال عبد الرحمن بن إسحاق - وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل ، وكان موادا لأحمد بن نصر قبل ذلك - : يا أمير المؤمنين هو حلال الدم وقال أبو عبد الله الأرمني - صاحب ابن أبي دؤاد : اسقني من دمه يا أمير المؤمنين فقال الواثق : لا بد أن يأتي ما تريد وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل.

فقال الواثق : إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي ، فإني

احتسب خطاي ثم نهض بالصمصامة - وقد كانت سيفا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صحيفة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير - فلما انتهى إليه ضربه بها ضربة على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم طعنه بالصمصامة في بطنه ، فسقط صريعا رحمه الله على النطع ميتا . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمه الله وعفا عنه .

وذكر الإمام أحمد بن حنبل يوما فقال : رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله ، لقد جاد بنفسه له وقال جعفر بن محمد الصائغ : بصرت عيني وإلا فقئتا وسمعت أذناي وإلا فصمتا ، أحمد بن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه : لا إله إلا الله وقد سمعه بعض الناس وهو مصلوب على الجذع ورأسه يقرأ : ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهو لا يفتنون﴾ قال : فاقشعر جلدي.

شجاعة غلام

مرَّ عمرُ بن الخطاب بابن الزبير ، وهو يلعب مع الصبيان ففرُّوا ووقف، فقال له: ما لك لم تفرَّ مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم فأخاف، ولم يكن الطريق ضيِّقة فأوسع عليك!!.

سعيد بن المسيب و الوليد بن عبد الملك

تولى عمر بن عبد العزيز إمارة المدينة و قامت بينه و بين سعيد بن المسيب علاقة حميمة أساسها المحبة و الإخوة.و ذات مرة حج أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك فلما اقترب موكبه من المدينة هرب أهلها لشدة صرامته ولم يبقى في المسجد إلا سعيد بن المسيب وكان يلقب بحمامة المسجد لشدة ملازمته له.

و عندمـا جـاء الوليـد بـن عبـد الملـك دخـل المسـجد فخـاف عمـر بـن عبـد العزيـز عـلى سـعيد مـن بطـش الوليـد و اخـذ الوليـد يـدور في المسـجد حتـى بلـغ سـعيد بـت المسـيب جالسـا ووجهـه إلى الأرض فسـلم عليـه الوليـد فـرد عليـه مثلـما يـرد عامـة النـاس فخـاف عليـه عمـر بـن عبـد العزيـز خوفـا شـديدا ولكـن اللـه سـلم و انـصرف الوليـد مـن المسـجد ولم يصـب سـعيد بـأذى فاقبـل عليـه عمـر بـن عبـد العزيـز يسـأله متعجبـا يـا سـعيد أمـا خفـت اللـه في نفسـك واللـه لقـد شـق عـلى الوليـد مـا صنعتـه معـه فقـال سـعيد بإيمـان راسـخ يـا عمـر ذلـك الـذي أردت ليعلـم أن للـه في أرضـه عبـادا لا يخافـون غـيره فـكان عمـر يقـول دائمـا سـبحان مـن نجـا سـعيدا مـن الوليـد.

الباب الرّابع و العشرون

الإيجابية وعُلُو الهمَّة

- **يقول بهاء الدين الأميري رحمه الله:**

أسير رهين صروف الزمـــــان وأشعر أني وحيد غريـــــب
أهيب بقومي إلى المكرمـــات وما من ملب وما من مجيب
تبلد في الناس حـــس الكفاح ومالوا لكسب وعـيش رتيب
يكاد يزعزع من هـــــمتي سدور الأمين وعـــزم المريب
ولكن خلقت بأرض بـــــها نفوس العبيد بـــرق تطيب

- **يقول أبو فراس الحمداني رحمه الله:**

ونحن قوم لا توسط بيـــننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون في المعالي نفوســــــنا ومن يخطب الحسناء لا يغله المهر

- **وقال ابن نباتة رحمه الله:**

حاول جسيمات الأمور ولا تقل إن المحامـد والعلى أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا عن غاية في الطلاب سباق

- **قال الإمام علي رضي الله عنه:**

إذا أظْمَأتْك أكفُّ الرِّجالِ كفَتْك القناعةُ شِبَعًا ورِيًّا
فكنْ رُجلًا رِجلُه في الثَّرَى وهامةُ هِمَّتِه في الثُّرَيَّا

قصة مؤمن القرية

قال الله عز وجل: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة يس: 20]، لنتأمل حال هذا الرجل الداعية، من خلال عدة وقفات:

الوقفة الأولى: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾، جاء من مكان بعيد؛ لم يمنعه بُعد المكان أن يأتي ليبلغ دعوته، وينشر معتقده، فقد جاء من أقصا المدينة! فلم يقل: الشُّقة بعيدة، والمسافة طويلة، والأمر صعب، بل اطرح جميع هذه المعوقات. هذه واحدة.

والوقفة الثانية: إنه جاء {يَسْعَى}، ولم يأتي ماشياً!!؛ فإن ما قام في قلبه من الحماس، والحمية، والحركة، والرغبة، في نقل ما عنده إلى الآخرين، حمله على أن يسعى.

الوقفة الثالثة: {مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} وعادةً، لا سيما في الأزمنة السابقة، لا يسكن أقصا المدينة إلا بسطاء الناس، وضعفاؤهم، وفقراؤهم، فلم يمنعه ما هو عليه من شظف العيش ودنو المنزلة الاجتماعية، من أن يجهر بدعوته.

الوقفة الرابعة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ كلمةً صريحةً، واضحةً، صرخ بها بين ظهراني قومه. ولربما كان هذا الإنسان قبل أن يمن الله تعالى عليه بالإيمان، لا يقوى أن يرفع طرفه إلى الملأ من قومه، مما يجد في نفسه من الشعور بالذلة والمهانة؛ فهو ليس من علية القوم، يعيش في قصر في قلب البلد، لا وإنما يعيش في ضواحيه، وأطرافه وكما قال بعض المفسرين: أنه كان يعمل (إسكافاً) وهي مهنة بسيطة دنيئة. لكن الإيمان الذي وقر في قلبه حمله على أن يشعر بعزة الإيمان، واستعلائه، فيصيح

بين ظهراني قومه قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، دون سابق ممارسة، واعتياد. وإنما يتكلم الإنسان، ويمتلك الشجاعة

الأدبية لما يقوم في قلبه من الإيمان العميق بالحق الذي يعتقده. فلماذا نتلجلج أحيانًا؟، ولماذا نتلكأ؟، ولماذا نحجم؟، إن هذا ناتج عن ضعف الإيمان، وبرودة المعاني التي نعتقدها، أما إذا حَيَت في قلوبنا هذه المعاني فإنها ستظهر على فلتات اللسان وحركة الأبدان للتعبير عنها.

الوقفة الخامسة: ﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: ها هو يناظرهم، ويجادلهم، ويشير إلى بعض نقاط الخلاف بين قومه وبين أولئك الرسل الكرام الذين أرسلوا إليهم، ثم يسوق الحجج العقلية، والفطرية، فيقول: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿22﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿23﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [سورة يس: 22-25].

هذا مثال لمؤمن حمله إيمانه الحق الصادق، على أن يجهر بدعوته، لا يجمجم، ولا يهمهم، وإنما يأتي بها

صريحة، واضحة، بينة، في منتديات الناس. إيمان فاعل، إيمان ناشط، إيمان واعٍ؛ يدرك تبعاتها، وآثارها، وما سوف تجر عليه من مسؤوليات، لكن ذلك لم يمنعه ولهذا قال ذلك الكلام بين ظهراني قومه، ونادى بملأ فيه: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ فقتله قومه شر قتله، حتى ذكر بعض التابعين الذين يروون عن أهل الكتاب أن قومه وطئوه بأقدامهم حتى قضوا عليه، وقيل أنه قطعوه إرباً.

ولكن القصة لم تنتهِ عند هذا الحد، يظل الإيمان الفاعل يحمل صاحبه على النصح للآخرين، قائماً، فبعد أن بُشِّر: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا

لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿26﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[سورة يس: 26-27]!!

سبحان الله!!، حتى بعد الموت، والفوز بالجنة، لا يزال في قلبه الشعور بالرغبة في العطاء، الرغبة في البذل، والنصح للآخرين. ولم يشأ أن يتشفى بهم، أو يجعل ذلك ذريعةً للنيل منهم، وإنما تمنى من سويداء قلبه أن يعلم قومه بعاقبته، لعل ذلك يحملهم على أن يقبلوا نصحه. قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحا، لا تلقاه غاشا؛ لَمَّا عاين من كرامة الله. وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: {يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}، وبعد مماته في قوله: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ رواه ابن أبي حاتم.

قال ابن كثير رحمه الله: و مقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب، والجزاء، والنعيم المقيم، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصا على هداية قومه).

سعد بن خيثمة رضي الله عنهما

عن سليمان بن بلال رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأمر أن يخرج أحدهما، فاستهما، فقال خيثمة ابن الحارث لابنه سعد رضي الله عنهما: إنه لابد لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ودٍّ .

همَّةٌ فوق السحاب

ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه .. غلام صغير من الأصحاب .. لكن همته كانت فوق السحاب .. كان يأتي إلى النبي عليه السلام .. وهو غلام .. فيُقرِّب له وَضوءه وحاجته .. فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يكافئه يوماً .. فقال له : سلني يا ربيعة ..

فسكت ربيعة قليلاً .. ثم قال : أسألك مرافقتك في الجنة .. فقال صلى الله عليه وسلم : أوَ غير ذلك ؟ قال : هو ذاك .. فقال عليه السلام : فأعِنِّي على نفسك بكثرة السجود .. رواه مسلم ..

فكان ربيعة على صِغَر سنه لا يُرى إلا مصلياً أو ساجداً .. لم يُفوِّت من عمره ساعة .. ولم يُفقَد في صلاة جماعة ..

أنس بن النضر رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين؛ لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرينَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء. يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظنُّ أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23] إلى آخر الآية.

عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه

عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟، قال: إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني، وأنا أحبُّ الخروج لعلَّ الله أن يرزقني الشهادة. قال: فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فردَّه، فبكى فأجازه، فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة.

أحلام في حجر الكعبة

وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا، فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا، فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا، فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له.

علو همّة طفل

واستيقظ أبو يزيد البسطامي ليلة وهو صبي، فإذا أبوه يصلي، فقال لأبيه: يا أبت، علمني كيف أتطهّر، وأفعل مثل فعلك، وأصلي معك، فقال له أبوه: يا بنيّ! ارقد فإنك صغير بعد، فقال له: يا أبت! إذا كان يوم القيامة، حين يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، أأقول لربي: إني طلبت من أبي، فلم يعلمني؟، فقال له: لا والله يا بنيّ، وعلّمه، فكان يصلي معه.

علو همة هند رضي الله عنها

ونظر رجل إلى معاوية رضي الله تعالى عنه وهو غلام صغير فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند رضي الله عنها: ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه.

اطلبوني في المقبرة

وروي عن الإمام ابن خفيف أنه كان به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه، أقعده عن الحركة، فكان إذا نودي بالصلاة يُحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خفّفت على نفسك، فقال: إذا سمعتم حي على الصلاة، ولم تروني في الصف، فاطلبوني في المقبرة.

علو همّة عبد الرحمن الداخل

لما فرَّ عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس من العباسيين أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها وقال: إن هذه من القلب والعين بمكان وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن اشتغلت بها عن ما أطلبه ظلمت همتي ، ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها.

علو همة عبد العزيز بن مروان رحمه الله

وعن محمد بن الحارث المخزومي قال: دخل على عبد العزيز بن مروان رحمه الله رجل يشكو صهرًا له، فقال: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من خَتَنَك؟ فقال له: خَتَنَني الختان الذي يختن الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك، ما أجابني، فقال له: أيها الأمير، إنك لحنت وهو لا يعرف اللّحن، كان ينبغي أن تقول له: من خَتَنُك، فقال عبد العزيز: أراني أتكلم بكلام لا يعرفه العرب، لا شاهدت

الناس حتى أعرف اللّحن. قال: فأقام في البيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية، قال: فصلى بالناس الجمعة وهو من أفصح الناس.

علو همّة الإمام أحمد

قال الإمام أحمد: ما كتبت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد عملت به، حتى مرّ بي الحديث: (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة الحجام ديناراً) أصله في البخاري فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجّام دينارا.

علو همة أبو هريرة رضي الله عنه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإنَّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينًا، ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يومًا: لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا. فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها، حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدَّثتكم شيئًا أبدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة: 159] إلى قوله الرَّحِيمُ [البقرة: 160]

وعنه أيضًا قال: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم غرس الودي ، ولا صفق بالأسواق إني إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة يعلمنيها، وأكلة يطعمنيها، فقال له ابن عمر: أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلمنا بحديثه.

علو همة ابن عباس رضي الله عنه

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: لما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلمّ، فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث، فإن كان ليَبلُغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه وهو قائل، فأتوسَّد التراب، فيخرج فيراني فيقول: يابن عمّ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك فأسألك عن الحديث فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رآني، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني .

وقال رضي الله تعالى عنه: ذَلَلْتُ طالبًا، فعزَزْتُ مطلوبًا، وكان يقول: وجدتُّ عامّة عِلْم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحيّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ أُذِن لي، ولكن أبتغي بذلك طِيب نفسه.

علو همة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال:

يا غلام، هل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله، فإنك غليم معلم.

علو همّة الطبري

وعن أبي القاسم بن عقيل: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟، قالوا: كم قدره؟، فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه!، فقال: إنا لله، ماتت الهمم، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير، قال لهم نحوا من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ.

علو همة أبو محمد بن حزم رحمه الله

وقال أبو بكر محمد بنُ طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد - يعني والد أبي بكر بن العربي: أخبرني أبو محمد بن حزم رحمه الله أن سبب تعلمه الفقه أنه شهِد جِنازة، فدخل المسجدَ، فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قُم فصلِّ تحية المسجد. وكان قد بلغ ستًّا وعشرين سنة. قال: فقُمتُ وركعتُ، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دَخَلْتُ المسجد، فبادرتُ بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة وكان بعدَ العصر قال: فانصرفتُ وقد حزِنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون. قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على موطأ مالك، فبدأتُ به عليه، وتتابعت

قـراءتي عليـه وعـلى غـيره نحـوًا مـن ثلاثـة أعـوام، وبـدأتُ بالمناظـرة.

علو همّة محمد بن سلمة

وعـن محمـد بـن سـلمة أنـه كان يجـزئ ليلـه ثلاثـة أجـزاء: جـزء للنـوم، وجـزء للـدرس، وجـزء للصـلاة، وكان كثـير السـهر، فقيـل لـه: لم لا تنـام؟، فقـال: كيـف أنـام وقـد نامـت عيـون المسـلمين تعويـلاً علينـا؟ وهـم يقولـون: إذا وقـع لنـا أمـر رفعنـاه إليـه فيكشـفه لنـا. فـإذا نمنـا ففيـه تضييـع للديـن.

قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه

كان يتحـاشى، ويحـاذر أن يسـمع كلام النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، بسـبب تحذيـر قريـش. فلـما سـمعه، وأدرك صدقـه، بعقلـه، وثاقـب نظـره، وفطرتـه السـليمة، آمـن. ولكـن الرجـل لم يكتـم إيمانـه في قبيلتـه (دوس)، ولم ينكفـئ عـلى نفسـه دون أن يكـون لـه أثـر. وإنمـا طلـب مـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يجعـل لـه آيـة.

فلـما أقبـل عـلى قومـه جعـل اللـه لـه نـورًا بـين عينيـه. فسـأل اللـه تعـالى أن تكـون في غـير هـذا الموضـع، حتـى لا يظنهـا قومـه مُثلـه. فكانـت في رأس سـوطه. فلـما جـاءه أبـوه قـال: إليـك عنـي، مـا أنـا منـك، ولا أنـت منـي!!، وصنـع ذلـك مـع زوجـه، وقبيلتـه. فقالـوا: مـاذا أصابـك؟، قـال: إني آمنـت باللـه، فإمـا أن تؤمنـوا بمـا آمنـت بـه، أو أفارقكـم. فلـم يـزل بهـم حتـى وافقـوه. وقـدم عـلى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم عـام خيـبر، ومعـه سـبعون مـن قبيلتـه دوس!!، رجـل واحـد يـأتي بسـبعين رجـلاً، منهـم أبـو هريـرة!!

فلـو لم يكـن مـن فضائلـه، رضي اللـه عنـه، إلا أن أسـلم عـلى يديـه أبـو هريـرة، رضي اللـه عنـه، لكفـى. كفـى أن أبـا هريـرة، أكـثر الصحابـة روايـة

عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، حسـنة مـن حسـنات هـذا المؤمـن الفاعـل النشـيط، الـذي وقـر الإيمـان في قلبـه، فظهـر عـلى أعمالـه وسـلوكه.

علو همة سفيان الثوري

عـن أبي شـهاب الحنـاط قـال: بعثـت أخـت سـفيان الثـوري معـي بجـراب إلى سـفيان وهـو بمكـة فيـه كعـك وخُشْـكِنانْج ، فقدمـت مكـة فسـألت عنـه فقيـل لي: إنَّـه ربمـا قعـد دبـر الكعبـة مـما يـلي بـاب الحناطـين، قـال: فأتيتـه هنـاك، وكان لي صديقًـا، فوجدتـه مسـتلقيًا، فسـلَّمت عليـه فلـم يسـائلني تلـك المسـائلة، ولم يسـلِّم عـلي كـما كنـت أعـرف منـه، فقلـت لـه: إن أختـك بعثـت إليـك معـي بجـراب فيـه كعـك وخشـكنانج، قـال: فعجـل بـه عـلي، واسـتوى جالسًـا.

فقلـت: يـا أبـا عبـد اللـه، أتيتـك وأنـا صديقـك. فسـلَّمت عليـك، فلـم تـردَّ عـليَّ ذاك الـرد، فلـما أخبرتـك أني أتيتـك بجـراب كعـك لا يسـاوي شـيئًا جلسـت وكلمتنـي، فقـال: يـا أبـا شـهاب، لا تلمنـي؛ فـإنَّ هـذه لي ثلاثـة أيـام لم أذق فيهـا ذواقًـا. فعذرتـه.

الباب الخامس و العشرون

الإيـــــــــثار

- **قـال اللـه سـبحانه و تعـالى:** ﴿وَيُؤْثِـرُونَ عَلَى أَنفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَانَ بِهِـمْ خَصَاصَةٌ وَمَـن يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِـهِ فَأُوْلَئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سـورة الحـشر: الآية9
- **قـال أبـو سـليمان الـدَّاراني:** لـو أنَّ الدُّنيـا كلَّهـا لي فجعلتهـا في فـم أخ مِـن إخـواني لإسـتقللتها لـه.
- **قال علي رضي الله عنه** : الإيثار أعلى الإيمان.
- **سـئل بعـض الحكـماء :** مـن أجـود النّـاس ؟ قـال : مـن جـاد مـن قلّـة ، وصـان وجـه السـائل عـن المذلـة.
- **قال أحد الشّعراء:**

عجبتُ لبعضِ النَّاسِ يبذلُ ودَّه ويمنعُ ما ضمَّت عليه الأصابعُ

إذا أنا أعطيتُ الخليلَ مودَّتي فليس لمالي بعدَ ذلك مـــانعُ

- **وقال آخر:**

المالُ للرَّجلِ الكريمِ ذرائـــعٌ يبغي بهنَّ جلائلَ الأخطارِ

والنَّاسُ شتى في الخِلَالِ وخيرُهم مَن كان ذا فضلٍ وذا إيثارِ

صور مِن إيثار الرّسول ﷺ

عـن سـهل بـن سـعد، قـال: جـاءت امـرأة بـبردة، قـال: أتـدرون مـا الـبردة؟ فقيـل لـه: نعـم، هـي الشَّـملة منسـوج في حاشـيتها. قالـت: يـا رسـول اللـه، إنِّي نسـجت هـذه بيـدي أكسـوكها، فأخذهـا النَّبـيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم محتاجًـا إليهـا، فخـرج إلينـا وإنَّهـا إزاره، فقـال رجـل مِـن القـوم: يا رسـول الله، اكسـنيها. فقـال: (نعـم). فجلـس النَّبـيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم في المجلـس، ثـمَّ رجـع فطواهـا، ثـمَّ أرسـل بهـا إليـه، فقـال لـه القـوم: مـا أحسـنت، سـألتها إيَّـاه، لقـد علمـت أنَّـه لا يـردُّ سـائلًا. فقـال الرَّجـل: واللـه مـا سـألته إلَّا لتكـون كفنـي يـوم أمـوت. قـال سـهل: فكانـت كفنـه.

وعـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: قـال أبـو طلحـة لأمِّ سـليم: لقـد سـمعت صـوت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ضعيفًـا أعـرف فيـه الجـوع، فهـل عنـدك مِـن شيء؟ قالـت: نعـم. فأخرجـت أقراصًـا مِـن شـعير، ثمَّ أخرجـت خـمارًا لهـا فلفَّـت الخبـز ببعضـه، ثـمَّ دسَّـته تحـت يـدي ولاثتنـي ببعضـه، ثـمَّ أرسـلتني إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. قـال: فذهبـت بـه فوجـدت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في المسـجد ومعـه النَّـاس، فقمـت عليهـم، فقـال لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: آرسـلك أبـو طلحـة؟ فقلـت: نعـم. قال:بطعـام؟ قلـت: نعـم. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لِمـن معـه: قومـوا. فانطلـق وانطلقـت بـين أيديهـم حتـى جئـت أبـا طلحـة فأخبرتـه، فقـال أبـو طلحـة: يـا أمَّ سـليم، قـد جـاء رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بالنَّـاس، وليـس عندنـا مـا نطعمهـم. فقالـت: اللـه ورسـوله أعلـم. فانطلـق أبـو طلحـة حتـى لقـي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فأقبـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأبـو طلحـة معـه، فقـال

رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: هلمِّـي يـا أمَّ سـليم مـا عنـدك، فأتـت بذلـك الخبـز، فأمـر بـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ففـتَّ، وعـصرت أمُّ سـليم عكَّـة فأدّمتـه ، ثـمَّ قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فيـه مـا شـاء اللـه أن يقـول، ثـمَّ قـال: ائـذن لعـشرة. فـأذن لهـم، فأكلـوا حتـى شـبعوا، ثـمَّ خرجـوا، ثـمَّ قـال: ائـذن لعـشرة. فـأذن لهـم، فأكلـوا حتـى شـبعوا ثـمَّ خرجـوا، ثـمَّ قـال: ائـذن لعـشرة. فـأذن لهـم، فأكلـوا حتـى شـبعوا، ثـمَّ خرجـوا، ثـمَّ قـال: ائـذن لعـشرة. فـأكل القـوم كلُّهـم حتـى شـبعوا، والقـوم سـبعون أو ثمانـون رجـلًا .

وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه أنَّـه كان يقـول: اللـه الـذي لا إلـه إلَّا هـو، إن كنـت لأعتمـد بكبـدي عـلى الأرض مِـن الجـوع. وإن كنـت لأشـدُّ الحجـر عـلى بطنـي مِـن الجـوع. ولقـد قعـدت يومًـا عـلى طريقهـم الـذي يخرجـون منـه فمـرَّ أبـو بكـر فسـألته عـن آيـة مِـن كتـاب اللـه مـا سـألته إلَّا ليشـبعني، فمـرَّ ولم يفعـل، ثـمَّ مـرَّ أبـو القاسـم صـلى اللـه عليـه وسـلم فتبسَّـم حـين رآني، وعـرف مـا في نفـسي ومـا في وجهـي. ثـمَّ قـال: يـا أبـا هـر! قلـت: لبَّيـك رسـول اللـه. قـال: الْحَـق. ومـضى فتبعتـه، فدخـل فاسـتأذن، فـأذن لي، فدخـل فوجـد لبنًـا في قـدح، فقـال: مِـن أيـن هـذا اللَّـبن؟ قالـوا: أهـداه لـك فـلان أو فلانـة قـال: أبـا هـر! قلـت: لبَّيـك يـا رسـول اللـه. قـال: الْحَـق إلى أهـل الصُّفَّـة فادعهـم لي. قـال وأهـل الصُّفَّـة أضيـاف الإسـلام لا يـأوون عـلى أهـل ولا مـال ولا عـلى أحـد. إذا أتتـه صدقـة بعـث بهـا إليهـم ولم يتنـاول منهـا شـيئًا، وإذا أتتـه هديَّـة أرسـل إليهـم وأصـاب منهـا وأشركهـم فيهـا فسـاءني ذلـك، فقلـت: ومـا هـذا اللَّـبن في أهـل الصُّفَّـة؟ كنـت أحـقَّ أن أصيـب مِـن هـذا اللَّـبن شربـة أتقـوَّى بهـا، فـإذا جـاءوا أمـرني فكنـت أنـا أعطيهـم، ومـا عـسى أن يبلغنـي مِـن هـذا اللَّـبن؟! ولم يكـن مِـن طاعـة اللـه وطاعـة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم بـدٌّ، فأتيتهـم فدعوتهـم فأقبلـوا فاسـتأذنوا، فـأذن لهـم وأخـذوا مجالسـهم مِـن

البيـت. قـال: يـا أبـا هـر، قلـت: لبَّيـك يـا رسـول اللـه. قـال: خـذ فأعطهـم. فأخـذت القـدح فجعلـت أعطيـه الرَّجـل فيـشرب حتـى يـروى، ثـمَّ يـردُّ عـليَّ القـدح حتـى انتهيـت إلى النَّبـيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم وقـد روي القـوم كلُّهـم. فأخـذ القـدح فوضعـه عـلى يـده فنظـر إليَّ فتبسَّـم، فقـال: أبـا هـر، قلـت: لبَّيـك يـا رسـول اللـه. قـال: بقيـت أنـا وأنـت. قلـت: صدقـت يـا رسـول اللـه. قـال: اقعـد فـاشرب، فقعـدت فشربـت. فقـال: اشرب. فشربـتُ، فـما زال يقـول: اشرب. حتـى قلـتُ: لا والـذي بعثـك بالحـقِّ مـا أجـد لـه مسـلكًا. قـال: فـأرني، فأعطيتـه القـدح، فحمـد اللـه وسـمَّى، وشرب الفضلـة .

الأنصار و المهاجرون

فعـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: لمـا قـدم المهاجـرون المدينـة نزلـوا عـلى الأنصـار في دورهـم، فقالـوا: يـا رسـول اللـه، مـا رأينـا مثـل قـوم نزلنـا عليهـم أحسـن مواسـاة في قليـل، ولا أبـذل في كثـير منهـم، لقـد أشركونـا في المهنـأ وكفونـا المؤنـة، ولقـد خشـينا أن يكونـوا ذهبـوا بالأجـر كلِّـه. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: كلَّا مـا دعوتـم اللـه لهـم وأثنيتـم بـه عليهـم.

دلُّوني على السُّوق

عـن عبـد الرحمـن بـن عـوف رضي اللـه عنـه، قـال: لمـا قدمنـا المدينـة آخى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بينـي وبـين سـعد بـن الربيـع، فقـال سـعد بـن الربيـع: إني أكـثر الأنصـار مـالاً فأُقسـم لـك نصـف مـالي، وانظـر أي زوجتـيَّ هويـت نزلـت لـك عنهـا، فـإذا حلَّـت تزوجتَهـا. قـال: فقـال عبـد الرحمن:بـارك اللـه لـك في أهلـك ومالـك، دلُّـوني عـلى السُّـوق.

ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلَّا الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن يضمُّ أو يضيف هذا؟ فقال رجل مِن الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلَّا قوت صبياني. فقال: هيِّئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيَّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوَّمت صبيانها، ثمَّ قامت كأنَّها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنَّهما يأكلان، فباتا طاويين ، فلمَّا أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ضحك الله اللَّيلة أو عجب مِن فعالكما، فأنزل الله:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:9].

حديثَ الكرام

وعن حبيب بن أبي ثابت أن الحارثَ بنَ هشام وعِكْرِمةَ بن أبي جَهْل وعَيَّاشَ بن أبي ربيعة رضي الله عنهم خرجوا يوم اليَرْمُوك حتى انْبَتُّوا، فدعا الحارثُ بنُ هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه إلى عكرمةَ، فنظر إليه عيّاشٌ فقال عكرمةُ: ادفعه إلى عيّاش. فما وصل على عيّاشٍ حتى مات ولا عاد إليهم حتى ماتوا، فسُمِّي هذا حديثَ الكرام.

ايثارعبد الله ابن عمر

واشتهى عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يومًا سمكةً، وكان قد نَقِهَ مِن مرضٍ فالتُمِسَت بالمدينة، فلم توجد حتى وُجِدَت بعد مُدَّةٍ، واشْتُرِيَت بِدرهم ونصفٍ، فشُوِيَت وجيء بها على رغيف، فقام

سـائلٌ بالبـاب، فقـال ابـن عمـر للغـلام لفَّهـا برغيفهـا، وادفعهـا إليـه. فـأبى الغـلام، فـردَّه وأمـره بدفعهـا إليـه، ثـمَّ جـاء بـه فوضعهـا بـين يديـه، وقـال: كُلْ هنيئًـا يـا أبـا عبـد الرَّحمـن، فقـد أعطيتـه درهـمًا وأخذتهـا. فقـال: لفَّهـا وادفعهـا إليـه، ولا تأخـذ منـه الدِّرهـم.

إيثار أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

لمـا طُعِـن أمـير المؤمنـين عمـر بـن الخطَّـاب رضي اللـه عنهـما قـال لابنـه عبـد اللـه: اذهـب إلى أُمِّ المؤمنـين عائشـة رضي اللـه عنهـا فقـل: يقـرأ عمـر ابن الخطَّـاب عليـك السَّـلام، ثـمَّ سـلها أن أُدْفَـن مـع صاحبـيَّ. قالـت: كنـت أريـده لنفـسي، فلأوثرنَّـه اليـوم عـلى نفـسي. فلـمَّا أقبـل، قـال لـه: مـا لديـك؟ قـال: أذنـت لـك يـا أمـير المؤمنـين. قـال: مـا كان شيء أهـمَّ إليَّ مـن ذلـك المضجـع، فـإذا قُبِضـت فاحملـوني، ثـمَّ سـلِّموا، ثـمَّ قـل: يسـتأذن عمـر بـن الخطَّـاب، فـإن أذنـت لي فادفنـوني، وإلَّا فـردُّوني إلى مقابـر المسـلمين.

هذا خير من قرصك

روى مالـك بـن أنـس رحمـه اللـه أنـه بلغـه عـن عائشـة زوج النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن مسـكينًا سـألها وهـي صائمـة، وليـس في بيتهـا إلا رغيـف، فقالـت لمـولاة لهـا: أعطيـه إيـاه فقالـت: ليـس لـك مـا تفطريـن عليـه. قالـت: أعطيـه إيـاه. قـال: ففعلـت. قالـت: فـما أمسـينا حتـى أهـدى لنـا أهـل بيـت أو إنسـان ممـن كان يُهـدي لنـا شـاة وكفنهـا، فدعتنـي عائشـة فقالـت: كُلي مـن هـذا، هـذا خـير مـن قرصـك.

إيثار أبي طلحة للنبي صلى الله عليه وسلم

عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه: أن أبـا طلحـة كان يرمـي بـين يـدي

النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم أحـد، والنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم خلفـه يتـترَّسُ بـه، وكان راميًـا، وكان إذا رمـى رفـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم شـخصه ينظـر أيـن يقـع سـهمُه، ويرفـع أبـو طلحـة صـدره ويقـول: هكـذا بـأبي أنـت وأمـي يـا رسـول اللـه، لا يصيبـك سـهم، نحـري دون نحـرك. وكان أبـو طلحـة يشـور نفسـه بـين يـدي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أي يُعرِّضهـا للقتـل ويقـول: إني جَلْـدٌ يـا رسـول اللـه، فوجهنـي في حوائجـك، ومـرني بمـا شـئت.

إيثار عمر بن الخطاب لأخيه زيد

عـن عبـد اللـه بـن عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنهـما، قـال: قـال عمـر بـن الخطـاب لأخيـة زيـد بـن الخطـاب يـوم أحـد: أَقسـمتُ عليـك إلا لبسـتَ درعـي، فلبسـها ثُـمَّ نزعهـا، فقـال لـه عمـر: مالـك؟ قـال: إني أريـد بنفـسي مـا تُريـد بنفسـك.

رأس شاة

عـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما قـال: .أُهـدي لرجـل مـن أصحـاب النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم رأس شـاة فقـال: إن أخـي فلانًـا وعيالـه أحـوج إلى هـذا منَّـا. قـال: فبعـث إليـه، فلـم يـزل يبعـث بـه الواحـد إلي الآخـر حتَّـى تداولهـا سـبعة أبيـات، حتَّـى رجعـت إلى الأول، ونزلـت: ﴿وَيُؤْثِـرُونَ عَـلَى أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَانَ بِهِـمْ خَصَاصَـةٌ﴾.

إيثار... حتى للحيوان

خـرج عبـد اللـه بـن جعفـر إلى ضيعـة لـه، فنـزل عـلى نخيـل قـوم، وفيـه غـلام أسـود يعمـل فيـه، إذ أتى الغـلام بقوتـه فدخـل الحائـط كلـبٌ ودنـا

مِـن الغـلام، فرمـى إليـه الغـلام بقـرصٍ فأكلـه، ثـمَّ رمـى إليـه الثَّـاني والثَّالـث فأكلـه، وعبـد اللـه ينظـر إليـه، فقـال: يـا غـلام، كـم قوتـك كلَّ يـوم؟ قـال: مـا رأيـت. قـال: فلِـمَ آثـرت بـه هـذا الكلـب؟! قـال: مـا هـي بـأرض كلاب، إنَّـه جـاء مِـن مسـافة بعيـدة جائعًـا، فكرهـت أن أشـبع وهـو جائـع. قـال: فـما أنـت صانـع اليـوم؟! قـال: أطـوي يومـي هـذا. فقـال عبـد اللـه بـن جعفـر: أُلام عـلى السَّـخاء! إنَّ هـذا الغـلام لأسـخى منِّـي. فاشـترى الحائـط والغـلام ومـا فيـه مِـن الآلات، فأعتـق الغـلام ووهبـه منـه.

إيثار إبراهيم التيمي

طلـب الحجـاج إبراهيـم النخعـي، فجـاء الرسـول فقـال: أريـد إبراهيـم، فقـال إبراهيـم التيمـي: أنـا إبراهيـم، ولم يسـتحل أن يدلـه عـلى النخعـي، فأمـر بحبسـه في الديمـاس، ولم يكـن لهـم ظـل مـن الشـمس، ولا ملجـأ مـن الـبرد، وكان كل اثنـين في سلسـلة، فتغـيّر إبراهيـم فعادتـه أمـه فلـم تعرفـه، حتـى كلّمهـا، فـمات في سـجنه، فـرأى الحجـاج في نومـه قائـلا يقـول: مـات في البلـد الليلـة رجـلٌ مـن أهـل الجنـة، فسـأل، فقالـوا: مـات في السـجن إبراهيـم التيمـي، فقـال: حلـمٌ نزغـة مـن نزغـات الشـيطان. وأمـر بـه فألقـي عـلى الكناسـة.

الرّجال و الأرغفة

وحُـكي عـن أبي الحسـن الأنطـاكي: أنـه اجتمـع عنـده نيفـاً وثلاثـين رجـلا بقريـة مـن قـرى الـريّ، ومعهـم أرغفـةٌ محـدودةٌ لا تشـبعهم جميعـاً، فكسـروا الأرغفـة وأطفـأوا السُّـرج، وجلسـوا للطعـام، فلـما رُفـع الطعـام إذا هـو بحالـه لم يُمـسّ؛ إذ تصنّـع كل واحـد منهـم أنـه يـأكل، ولم يـأكل مؤاثـرة لأخيـه، فلـذا بقـي الطعـام عـلى حالـه.

إيثار أبو محمد المروزي

عن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته في الصحبة فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة، فأتيته فسلمت عليه وسألته، فقال: اعزم على شرط: يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت أنت الأمير. فقال: لا بل أنت، فقلت: أنت أسنّ وأولى، فقال: فلا تعصني. فقلت: نعم. فخرجتُ معه وكان إذا حضر الطعام يؤْثرني، فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليك أن لاتخالفني؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته؛ لما يلحق نفسه من الضرر. فأصابنا في بعض الأيام مطرٌ شديد ونحن نسير فقال لي: يا أبا أحمد اطلب الميل وهو علامة الطريق ثم قال لي: اقعد في أصله، فأقعدني في أصله، وجعل يديه على الميل، وهو قائم قد حنا عليّ وعليه كساء قد تجلل به يظلني من المطر، حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة رحمه الله.

أدنى خصلة

قال أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج أحد التابعين: لقد رأيتُنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه مُتماريين ولا مُتنازعين في حديث لا ينفعُنا.

الدّيون

ورُوِي أنَّ مسروقًا ادَّان دينًا ثقيلًا، وكان على أخيه خيثمة دين، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة، وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم .

بشر ابن الحارث

وقال عبَّاس بن دهقان: ما خرج أحدٌ مِن الدُّنْيا كما دخلها إلَّا بشر ابن الحارث؛ فإنَّه أتاه رجل في مرضه، فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إيَّاه، واستعار ثوبًا فمات فيه.

ايثار أحمد بن حنبل

قال الخلال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المُؤدِّب: كنت آتي أباك يعني أحمد بن حنبلفرُبَّما أعطاني الشيء وقال: أعطيتك نصف ما عندنا؛ فجئت يومًا فأطلت القعود، فخرج ومعه أربعة أرغفة فقال: يا أبا سعيد، هذا نصف ما عندنا. فقلت: يا أبا عبد الله، هذه الأربعة الأرغفة أحبُّ إليَّ من أربعة آلاف من غيرك.

قصة الصرة

قال يوسف بن بهلول: حدثنا يعقوب بن شيبة السَّدوسي قال: أظلَّ العيدُ رجلاً، وعنده مائة دينار لا يملك سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمائة دينار، فلم ينشب أن ورد عليه رقعة من بعض إخوانه يذكر أنه أيضًا في هذا العيد في ضائقة، فوجَّه إليه بالصُّرَّة بعينها. قال: فبقي الأوَّل لا شيء عنده، فاتَّفق أنه كتب إلى الثالث وهو صديقه يذكر حاله، فبعث إليه الصُّرَّة بختمها. قال: فعرفها، وركب إليه، وقال: خبِّرْني، ما شأن هذه الصُّرَّة؟ فأخبره الخبر، فركبا معًا إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها. قال يوسف ابن البهلول: الثلاثة هم: يعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزِّيادي، وآخر نسيته.

إيثار امرأة

عن ابن شوذب قال: كتب عبدة بن أبي لبابة الى شريك له يقال له الحسن بن الخزاز: ادفع ثلاثمائة درهم الى أحوج بيت بمكة. فسأل فدل على أهل بيت فوقف بهم فخرجت اليه امرأة كبيرة في السن حسنة السمت فقال لها: بعث الي بثلاثمئة درهم و طلب مني ان ادفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة.

فقالت المرأة: اذا كنت امرت بهذا فما نحن هم، ومالنا فيها من حق و إني أعرف أهل بيت أحوج منا، فسألها عنهم فدلته عليهم فأعطاهم المال و كتب الى عبدة يخبره بخبر المرأة و حالها. فكتب اليه عبدة ان أعطها الضّعف.

الباب السّادس و العشرون

الأمـــــــــانة

- **قـال مالـك بـن دينـار رحمـه اللـه:** كفـى بالمـرء خيانـة أن يكـون أمينًـا للخَوَنـة.
- **قـال عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه :** لا يعجبكـم مـن الرجـل طنطنتـه، ولكـن مـن أدى الأمانـة وكـف عـن أعـراض النـاس ، فهـو الرجـل.
- **وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :** أداء الأمانة مفتاح الرزق.
- **قال كعب المزني:**

أرعَى الأمَانَةَ لا أخونُ أمانتي إنَّ الخؤونَ على الطريقِ الأنكبِ

- **وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

أدِّ الأمَانَة والخيانة فاجْتَنِبْ واعْدِلْ ولا تظلمْ، يَطِبْ لك مكسبُ

- **وقال المعري:**

يخونُك مَن أدَّى إليك أمـــانةً فلم ترعَه يومًا بقولٍ ولا فعلِ

فأَحْسِنْ إلى مَن شئتَ أو أسئْ فإنَّك تجزي حذوك النَّعل بالنَّعلِ

جرة من الذّهب

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: اشـترى رجـل مِـن رجـل عقـارًا لـه فوجـد الرَّجـل الـذي اشـترى العقـار في عقـاره جـرَّةً فيهـا ذهـبٌ، فقـال لـه الـذي اشـترى العقـار: خـذ ذهبـك منِّـى؛ إنَّمـا اشـتريت منـك الأرض ولم أبتـع منـك الذَّهـب. فقـال الـذي شرى الأرض: إنَّمـا بعتـك الأرض ومـا فيهـا. قـال: فتحاكـما إلى رجـل، فقـال الـذي تحاكـما إليـه: ألكـما ولـدٌ؟ فقـال: أحدهـما لي غـلامٌ، وقـال الآخـر: لي جاريـة. قـال أنكحـوا الغـلام الجاريـة، وأنفقـوا عـلى أنفسـكما منـه وتصدَّقـا.

قصة الالف دينار

وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه عـن النَّبـيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم أنَّـه ذكـر رجـلًا مِـن بنـي إسرائيـل سـأل بعـض بنـي إسرائيـل أن يُسْـلفه ألـف دينـار، فقـال: ائتنـي بالشُّـهداء أشـهدهم. فقـال: كفـى باللـه شـهيدًا. قـال: فأتنـي بالكفيـل. قـال: كفـى باللـه كفيـلًا. قـال: صدقـت. فدفعهـا إليـه إلى أجـلٍ مسـمًّى، فخـرج في البحـر، فقـضى حاجتـه، ثـمَّ التمـس مركبًـا يركبهـا يقـدم عليـه للأجـل الـذي أجَّلـه، فلـم يجـد مركبًـا فأخـذ خشـبة فنقرهـا، فأدخـل فيهـا ألـف دينـار وصحيفـة منـه إلى صاحبـه، ثـمَّ زجَّـج موضعهـا، ثـم أتى بهـا إلى البحـر، فقـال: اللَّهـمَّ إنَّـك تعلـم أنِّي كنـت تسـلَّفت فلانًـا ألـف دينـار، فسـألني كفيـلًا، فقلـتُ: كفـى باللـه كفيـلًا، فـرضي بـك، وسـألني شـهيدًا، فقلـتُ: كفـى باللـه شـهيدًا، فـرضي بـك، وإنِّي جهـدت أن أجـد مركبًـا أبعـث إليـه الـذي لـه فلـم أقـدر، وإنِّي أسـتودعكها، فرمـى بهـا في البحـر حتـى ولجـت فيـه، ثـمَّ انـصرف وهـو في ذلـك يلتمـس مركبًـا يخـرج إلى بلـده، فخـرج الرَّجـل الـذي كان أسـلفه ينظـر، لعـلَّ مركبًـا قـد جـاء بمالـه، فـإذا بالخشـبة التـي فيهـا المـال، فأخذهـا لأهلـه حطبًـا فلـما نشرهـا وجـد المـال والصَّحيفـة،

ثـمَّ قـدم الـذي كان أسـلفه، فـأتى بالألـف دينـار فقـال: والله مـا زلـت جاهـدًا في طلـب مركـب لآتيـك بمالـك، فـما وجـدت مركبًـا قبـل الـذي أتيـت فيـه. قـال: هـل كنـت بعثـت إليَّ بـشيء؟ قـال: أخـبرك أنِّي لم أجـد مركبًـا قبـل الـذي جئـت فيـه. قـال: فـإنَّ الله قـد أدَّى عنـك الـذي بعثـت في الخشـبة، فانـصرف بالألـف الدِّينـار راشـدًا.

أمانة امرأة

قـال أبـو حنيفـة: كنـتُ مجتـازًا فأشـارتْ إليَّ امـرأة إلى شيء مطـروح في الطريـق، فتوهَّمْـتُ أنهـا خرسـاء وأنَّ الـشيء لهـا، فلـمَّا رفعتُـهُ إليهـا، قالـت: احفظـه، حتـى تُسَـلِّمَهُ لصاحبـه.

الأمانة في قول الحق

دخـل أبـو مسـلم الخَـوْلَانِيُّ عـلى معاويـة بـن أبي سـفيان، فقـال: السـلام عليـك أيهـا الأجـير.

فقالوا: قُلِ السلام عليك أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قُلْ أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قُلِ الأمير.

فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، فإنه أعلم بما يقول.

فقـال: إنمـا أنـت أجـير اسـتأجرك ربُّ هـذه الغنـم لرعايتهـا، فـإن أنـت هَنَـأْتَ جرباهـا، وداويـتَ مرضاهـا،

وحبسـت أُولاهـا عـلى أُخراهـا، وفَّـاك سـيِّدُها أجرهـا، وإن أنـت لم تهنـأ جرباهـا، ولم تـداوِ مرضاهـا، ولم تحبـس أولاهـا عـلى أخراهـا، عاقبـك سـيِّدُها.

أمانة وشجاعة أعرابي

قام أعرابيٌّ إلى سليمان بن عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني مكلِّمك بكلامٍ فاحتَمْلُه إنْ كرهته، فإنَّ من ورائه ما تحبُّه إنْ قَبلْتَه.

قال: هات يا أعرابي.

قال: فإني سأطلق لساني بما خَرِسَتْ عنه الألسن من عظتك بحق الله، وحقِّ إمامتك، إنه قد اكتنفك رجالٌ أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربُ الآخرة سِلْمُ الدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه؛ فإنهم لم يألوا الأمانة إلاَّ تضييعًا، والأُمَّة إلاَّ عسفًا، والقرى إلا خسفًا، وأنت مسئول عمَّا اجترحوا، وليسوا مسئولين عمَّا اجترحتَ، فلا تُصْلح دنياهم بفساد آخرتك، فأعظم الناس غبنًا يوم القيامة مَنْ باع آخرته بدنيا غيره.

فقال له سليمان: أمَّا أنت يا أعرابي فقد نصحت، وأرجو أن الله يُعِينُ على ما تقلَّدْنَا.

درهم من بيت المال

وعن قتادة قال: كان معيقيب على بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابنٍ لعمر، قال معيقيب: فانصرفت إلى بيتي فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معيقيب أوجدت علي في نفسك شيئًا؟ قال: قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد صلى الله عليه و سلم في هذا الدرهم.

ثمن الثوب

وعـن غسـان بـن المفضـل قـال: جـاءت امـرأة بمطـرف خـز إلى يونـس بـن عبيـد رحمـه اللـه، فألقتـه إليـه ليعرضـه في السـوق فنظـر إليـه. فقـال لهـا: بكـم؟ قالـت: بسـتين درهـمًا. قـال: فألقـاه إلى جـاره. فقـال: كيـف تـراه؟ قـال: بعشريـن ومائـة قـال: أرى ذلـك ثمنـه أو نحـوًا مـن ثمنـه. قـال: فقـال لهـا: اذهبـي فاسـتأمري أهلـك في بيعـه بخمسـة وعشريـن ومائـة. قالـت: قـد أمـروني أن أبيعـه بسـتين. قـال: ارجعـي إليهـم فاسـتأمريهم.

وقـال أميـة بـن بسـطام: جـاءت يونـس بـن عبيـد رحمـه اللـه امـرأةٌ بجبّـة خـز، فقالـت لـه: اشـترِها فقـال: بكـم تبيعينهـا؟ قالـت: بخمسـمائة. قـال: هـي خـير مـن ذلـك. قالـت: بسـتمائة. قـال: هـي خـير مـن ذلـك، فلـم يـزل يقـول: هـي خـير مـن ذلـك حتـى بلغـت ألفًـا، وقـد بذلَتْهـا بخمسـمائة.

معي غيري

وعـن وكيـع حدثنـي أبي قـال: كنـت جالسًـا مـع زبيـد رحمـه اللـه فأتـاه رجـل ضريـر يريـد أن يسـائله. فقـال لـه زبيـد: إن كنـت تريـد أن تسـألني عـن شيء فـإن معـي غـيري[1].

درس في الامانة

وعـن عـلي بـن المحسـن التنوخـي قـال: كان عبـد الصمـد رحمـه اللـه يدق السـعد في العطاريـن ويذهـب مذهـب التديـن والتصـون والتعفف والتقشـف، فسـمع عطـارًا يهوديًـا يقـول لابنـه: يـا بنـي قـد جربـت هـؤلاء المسـلمين

(1) أخبره بذلك حتى لا يظن هذا الضرير أنه ليس عنده أحد فيقول ما في خاطره وهو لا يريد أن يسمع كلامه غير زبيد.

فـما وجـدت فيهـم ثقـة، فتركـه عبـد الصمـد أيامًـا ثـم جـاءه، فقـال: أيهـا الرجـل تسـتأجرني لحفـظ دكانـك. قـال: نعـم، وكـم تأخـذ منـي؟ قـال: ثلاثـة أرطـال خبـز ودانقـين فضـة كل يـوم، قـال: قـد رضيـت، قـال: فأعطنـي الخبـز أدرارًا واجمـع لي الفضـة عنـدك فـإني أريدهـا لكسـوتي. فعمـل معـه سـنة، فلـما انقضـت جـاءه فحاسـبه فقـال: انظـر إلى دكانـك، قـال: قـد نظـرت، قـال: فهـل وجـدت خيانـة أو خلـلاً، قـال: لا واللـه، قـال: فـإني لم أرد العمـل معـك وإنمـا سـمعتك تقـول لولـدك في الوقـت الفـلاني أنـك لم تـر في المسـلمين أمينًـا، فـأردت أن أنقـض عليـك قولـك وأعلمـك أنـه إذا كان مثـلي وأنـا أحـد الفقـراء عـلى هـذه الصـورة فغـيري مـن المسـلمين عـلى مثلهـا ومـا هـو أكـثر منهـا. ثـم فارقـه.

أمانة حفص بن غيّاث رحمه الله

وعـن عبيـد بـن غنـام أنـه قـال: حدثنـي أبي قـال: مـرض حفـص بـن غيّـاث رحمـه اللـه القـاضي خمسـة عـشر يومًـا فدفـع إليّ مائـة درهـم فقـال: امـض بهـا إلى العامـل وقـل لـه: هـذه رزق خمسـة عـشر يومًـا لم أحكـم فيهـا بـين المسـلمين لا حـظ لي فيهـا.

القلم

وعـن الحسـن بـن عرفـة أنـه قـال: قـال عبـد اللـه بـن المبـارك رحمـه اللـه: اسـتعرت قلـمًا بـأرض الشـام، فذهـب عـلي أن أرده إلى صاحبـه، فلـما قدمـت مـرو نظـرت فـإذا هـو معـي، فرجعـت يـا أبـا عـلي إلى أرض الشـام حتـى رددتـه عـلى صاحبـه.

الباب السّابع و العشرون

المـــزاح

- **قـال الإمـام عـلي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه:** روحـوا القلـوب و أطلبـوا لهـا طـرف الحكمـة فإنهـا تمـل كـما تمـل الأبـدان.
- **قـال أبـو الـدرداء رضي اللـه عنـه:** اني لأسـتجم نفـسي ببعـض الباطـل[1] كراهيـة أن أحمـل عليهـا مـن الحـق مـا يكلّهـا.
- **و عـن محمـد بـن اسـحاق قـال:** كان ابـن عبـاس رضي اللـه عنـه إذا جلـس مـع أصحابـه حدّثهـم سـاعة ثـم يقـول: حمضونـا، فيأخـذ في أحاديـث العرب ثـم يعـود يفعـل ذلـك مـرارا.
- **وعـن مالـك بـن دينـار قـال:** كان الرجـل ممـن كان قبلكـم إذا ثقـل عليـه الحديـث قـال: إن الأذن مجاجـة و القلـب حمـض فهاتـوا مـن طـرف الأخبـار.
- **ويقول أحد الشّعراء:**

أروح القلب ببعض الهـــزل تجاهـــلا مني، بغير جهل

أمزح فيه، مزح أهـل الفضل والمزح، أحيانا، جلاء العقل

---

(1) أخـي الكريـم مـا يقصـده أبـو الـدّرداء رضي اللـه عنـه بالباطـل هنـا، هـو المـزاح المبـاح فـلا تظـن أنـه كان يقصـد الكـذب أو شـيئا آخـر.

فصل

صور من مزاح النّبي ﷺ

لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلّم على عظم شأنه و علو قدره، و شديد خشيته و خوفه من الله سبحانه و تعالي و هو رسول الله و الوحي ينزل عليه من رب السّماء. إلاّ أنّه كان صلى الله عليه يبتسم و يضحك و كان يمزح مع صحابته رضوان الله عليهم و يلاعب زوجاته رضي الله عنهن. و إليك مجموعة جميلة من المواقف الرّائعة التي مزح و ضحك فيها النبّي عليه أفضل الصلاة و التّسليم.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيقول نعم ، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (أضراسه)»[1] .

و قال زيد بن أسلم: إنّ امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقالت: إن زوجي يدعوك، قال: «ومن هو ؟ أهو

(1) رواه مسلم.

الـذي بعينـه بيـاض» ؟ قالـت: واللـه مـا بعينـه بيـاض. فقـال: «بـلي إن بعينـه بياضـا». فقالـت: لا واللـه، فقـال صـلي اللـه عليـه وسـلم: «مـا مـن أحـد إلا بعينـه بيـاض».[1] وأراد بـه البيـاض المحيـط بالحدقـة.

عـن أنـس رضي اللـه عنـه: أنّ رجـلاً أتى النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم فقـال: يـا رسـول اللـه احملنـي، فقـال النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم : «إنـا حاملـوك عـلى ولـد ناقـة»، قـال: و مـا أصنـع بولـد الناقـة، فقـال صـلى اللـه عليـه و سـلم : و هـل تلـد الإبـل إلاّ النـوق[2].

روى الترمـذي عـن الحسـن البـصري رضي اللـه عنـه قـال: أتـت عجـوز إلى النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم فقالـت: يـا رسـول اللـه، ادعُ اللـه أن يدخلنـي الجنـة، فقـال صـلى اللـه عليـه و سـلّم: «يـا أم فـلان إن الجنـة لا يدخلهـا عجـوز» قـال: فولـتّ- أي ذهبـت- وهـي تبـكي، فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: أخبروهـا أنهـا لا تدخلهـا و هـي عجـوز، إنَّ اللـه تعـالى يقـول: ﴿ إنَّـا انشـأناهن إنشـاءً * فجعلناهُـنَّ أبـكاراً * عُرُبـاً أترابـاً ﴾ الواقعـة:35-37
و يقصد أنها تدخل الجنة و هي شابة.

عـن أنـس رضي اللـه عنـه قـال : كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن أحسـن النـاس خَلَقـا ، فأرسـلني يومـا لحاجـة ، فقلـت : واللـه لا أذهـب، وفي نفـسي أن أذهـب لمـا أمـرني بـه نبـي اللـه صـلى الله عليـه وسـلم ، فخرجت حتـى أمـر عـلى صبيـان وهـم يلعبـون في السـوق ، فـإذا رسـول اللـه صـلى اللـه

(1) أخرجـه الزبـير بـن بـكار في كتـاب الفكاهـة والمـزاح، ورواه ابـن أبي الدنيـا مـن حديـث عبيـدة بـن سـهم الفهـري مـع اختـلاف، كـما ذكـر العراقـي في تخريـج الإحيـاء.

(2) رواه أبو داود و الترمذي.

عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك، فقال : يا أنيس ، أذهبت حيث أمرتك ؟ قال : قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله.[1]

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقا ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير ، وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ما فعل النغير.[2]

عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره و أنا جارية لم أحمل اللّحم ولم أبدن ، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللّحم و بدنت و نسيت ، خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا، فتقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : هذه بتلك.[3]

وروى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتيت رسول اللهﷺ بحريرة طبختها له ، فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها ، فقلت لها : كلي ، فأبت، فقلت : لتأكلنَّ أو لألطخن وجهك ، فأبت ، فوضعت يدي في الحريرة فطليت بها وجهها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها ، وقال لسودة : الطخي وجهها ، فلطخت وجهي ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً.

---

(1) رواه مسلم

(2) رواه البخاري. و النّغير طائر صغير.

(3) رواه أحمد .

و دخـل النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يومـا عـلى عائشـة وهـي تلعـب بلعـب لهـا، فقـال لهـا: مـا هـذا ؟ ، قالـت: بنـاتي، قـال مـا هـذا الـذي في وسـطهن ؟ ، قالـت: فـرس، قـال: مـا هـذا الـذي عليـه ؟ ، قالـت: جناحـان، قـال: فـرس لهـا جناحـان ؟ ، قالـت : أو مـا سـمعت أنـه كان لسـليمان بـن داود خيـل لهـا أجنحـة ؟! ، فضحـك رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حتـى بـدت نواجـذه.[1]

فصل

صور من مزاح الصّحابة رضي الله عنهم

أخـي الكريـم، إنّ الصّحابـة رضي اللـه عنهـم كانـوا أكـثر النـاس جـداً وأقلهـم غفلـة، فقـد تربـوا في مدرسـة النّبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم و هـم أحسـن قـرن في هـذه الأمـة ومـن أعظـم النّـاس إيمانـا و مـن أشـدّهم خوفـا مـن اللـه سـبحانه و تعـالى و أكثرهـم حبـا للنبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم. ورغـم ذلـك فقـد كانـوا يضحكـون و يمزحـون في مـا بينهـم بعيـدا عـن المـزاح المحـرّم والغيبـة و النّميمـة.

روى البخـاري في الأدب المفـرد «كان أصحـاب النبـي صـلى اللـه عليه وسـلم يتبادحـون بالبطيـخ فـإذا كانـت الحقائـق كانـوا هـم الرّجـال» (الأدب المفـرد 266 وهـو صحيـح).

وقيل لابن سيرين هل كانوا يتمازحون؟: قال: ما كانوا إلا كالنّاس.

(1) رواه أبو داود .

وقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما، هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل .

وعن محمد بن اسحاق قال: كان ابن عباس رضي الله عنه إذا جلس مع أصحابه حدّثهم ساعة ثم قال : حمضونا، فيأخذ في أحاديث العرب ثم يعود يفعل ذلك مرارا.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: روّحوا القلوب تعي الذّكر.

وعن الزّهري قال: كان رجل يُجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم و يحدّثهم فإذا كثروا وثقُل عليهم الحديث، قال: إنّ الأذن مجاجة و القلوب حمضة فهاتوا من أشعاركم و أحاديثكم.

و إليك مجموعة جميلة من المواقف الرّائعة التي مزح و ضحك فيها الصّحابة رضوان الله عليهم.

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمازح مولاة له فيقول لها: خلقتي خالق الكرام، وخلقك خالق اللّئام. فتغضب وتصيح وتبكي، ويضحك عبد الله بن عمر.

وممن عرف بالمزاح من الصحابة نعيمان بن عمرو، وكان لا يدخل المدينة طُرفة، أو فاكهة، إلا اشترى منها، وأكل بعضها، وأهدى الباقي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نُعيمان أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أعط هذا ثمن متاعه!! فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أولم تهده لي؟)) فيقول: نعم، ولكن،

والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله. فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ويأمر لصاحبه بالثمن.

ومن نوادره: أن أعرابياً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأناخ ناقته بفنائه، وكانت ناقة فتية سمينة، فقال بعض أصحاب نُعيمان: لو عقرتها فأكلناها. فإنا قد قرمنا[1] إلى اللّحم. فقام نُعيمان وعقر الناقة. فخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم ووجد ناقته تُسلخ، و نُعيمان يتولى توزيع لحمها. فصاح: يا محمد، واعقراه، واناقتاه.

فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «من فعل هذا؟» فقالوا: النُعيمان. فأتبعه يسأل عنه، حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب. واستخفى تحت سرب (دكة تكون خارج الغرفة) فوقه جريد. فأشار بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكانه: فأمر بإخراجه. و قال له: (ما حملك على ما صنعت؟).قال: الذين دلوك عليّ يا رسول الله، هم الذين قَرِموا إلى اللّحم، وأمروني بعقر الناقة. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يمسح التراب عن وجهه، ثم غرم ثمنها للأعرابي.[2]

سويبط والنعيمان

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: خرج أبو بكر رضي الله عنه في تجارة إلى البصرة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سويبط بن حرملة والنعيمان، وكان سويبط قد شهد بدرا والنعيمان رضي الله عنه مزّاحا وكان سويبط على الزاد فقال له نعيمان: أطعمني.

(1) اشتهينا اللّحم بشدّة.

(2) أنظر حياة الصحابة.

فقال: حتى يجيء أبو بكر.
فقال له النعيمان: أما لأغيظنك.

فمروا بقوم فقصدهم النعيمان فقال: أتشترون مني عبدا؟ فقالوا: نعم.. فقال لهم: إن له كلام وإنه قائل لكم إنه حر فإذا قال هذه المقالة كنتم تاركيه فلا تفسدوا علي عبدي، قالوا: بل نشتريه. فدفعوا له عشر قلائص.

ثم اخذوه فوضعوا في عنقه حبلا وهموا بأخذه فقال لهم: إني حر ولست بعبد إنما استهزأ هذا بكم فأخذوه وقالوا: لقد خبرنا خبرك.. وانطلقوا به.. فلما جاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبروه الخبر تبع القوم فرد عليهم القلائص وردوا عليه سويبطا.. فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه بما كان فضحك رسول الله ومعه أصحابه من حوله.

أصناف النّساء

سأل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وهو والي الكوفة أعرابياً رآه في الطريق فقال له: ماذا تعرف عن النساء ؟

قال الأعرابي : النساء أربع مربع ، وجمع يجمع ، وشيطان سمعمع ، وغل لا يخلع !!

قال المغيرة: فسّرها لي.

قال : أما أربع مربع : إذا نظرت إليك سرّتك ، وإذا أقسمت عليك برَّتك، وأما التي جمع يجمع : فالمرأة تتزوجها ولا نسب لك فتجمع نسبك إلى نسبها ، وأما الشيطان السمعمع : النائحة في وجهك إذا دخلت ، والمولولة في أثرك إذا خرجت ، وأما الغل الذي لا يخلع : فالزوجة الخرقاء الذميمة التي قد نثرت بطنها وولدت لك ، فإن طلقتها ضاع

ولـدك ، وإن أمسـكتها فعـلى جـذع أنفـك.

فقال له المغيرة: بل أنفك أنت !

فصل

العلماء والفقهاء يحبّون الطُّرَفْ و النّوادر

أخـي الكريـم، لم يُغفـل علـماء السّـلف الأجـلاء جانـب الترفيـه في حياتهـم رغـم شـدّة زهدهـم وورعهـم و كـثرة مشـاغلهم و ضيـق وقتهـم لشـدّة انشـغالهم بطلـب العلـم و العبـادة. و قـد كانـوا يثـيرون موضـوع التّرفيـه مـن حـين لآخـر لقناعتهـم بحاجـة النّفـس لقسـط مـن الرّاحـة و الإسـتجمام لتسـتعيد نشـاطها. و لقـد جـرت عـادة بعـض العلـماء و المحدّثـين أن يختمـوا مجالـس العلـم بـشيء مـن الحكايـات و الطـرف و النّـوادر.

فقـد عقـد الخطيـب البغـدادي في كتابـه «الجامـع لأخـلاق الـرّاوي و آداب المسـتمع» بابـا بعنـوان « ختـم المجالـس بالحكايـات و مستحسـن النّـوادر والإنشـادات».

و قـد كان شـعبة يحـدث فـإذا رأى المزيـد النّحـوي قـال: إنـه أبـو زيـد البسـيط:

استعجمت دار نعم ما تكلمنا و الدار لو كلّمتنا ذات أخبار

ووُصـف رجـل مـن النّسـاك عنـد عبيـد اللـه بـن عائشـة فقالـوا: هـو جـد كلّـه فقـال: لقـد أضـاق عـلى نفســه المرعـى، و قـصر طـول النّهـى، و لـو

فككها بالإنتقال من حال إلى حال لتنفس عنها ضيق العقدة، وراجع الجد بنشاط و حدّة.

وعن مالك بن دينار قال: كان الرجل ممن كان قبلكم إذا ثقل عليه الحديث قال: إن الأذن مجاجة و القلب حمض فهاتوا من طرف الأخبار.

و عن حماد بن سلمة أنه كان يقول: لا يحب الملح و النّوادر إلا ذكران الرجال و لا يكرهها إلا مؤنثهم.

و قال الأصمعي: أنشدتُ محمّد بن عمران التميمي - قاضي المدينة وما رأيت في القضاة أعقل منه- أبياتا و هي:

يا أيها السّائل عن منزلي نزلت في الخان على نفسي
يغدو علي الخبز من خابز لا يقبل الرهن و لا ينسي
آكل من كيسي و من كسوتي حتى لقد أوجعني ضرسي

فقال: أكتبه لي، قلتُ: أصلحك الله إنما يكتب هذا الأحداث، فقال: ويحك اكتبه فإن الأشراف يعجبهم الملاحة.

وممن اشتهر بالدّعابة و الفكاهة من المحدّثين: عامر بن شرحبيل الشّعبي و كذلك سليمان الأعمش و قد قال عنه ابن خلكان: « كان لطيف الخلق مزّاحا».

وإليك بعض المواقف الطريفة من حياة العلماء و الصالحين

أبو حنيفة و السّائل

جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له :إذا نزعت ثيابي و دخلت النّهر لأغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له أبو حنيفة: الأفضل

أن يكـون وجهـك إلى جهـة ثيابـك لـكي لا تـسرق منـك.

الشعبي و الأودي

دخـل الشـعبي يومـا إلى الحـمام فـرأى داود الأودي مـن دون مئـزر فغمـض عينيـه، فقـال لـه داود الأودي: منـذ متـى عميـت يـا أبـا عمـرو ؟ فقال له الشّعبي: منذ أن هتك الله سترك.

المستعجل

قـال جعفـر بـن أبي عثـمان: كنـا عنـد يحيـى بـن معـين فجـاءه رجـل مستعجل فقـال: يـا أبـا زكريـا حدثنـي بـشيء أذكـرك بـه ، فقـال لـه يحـي بـن معـين: أذكـرني أنـك سـألتني أن أحدثـك فلـم أفعـل.

الأصمعي والكنّاس

قـال الأصمعـي رحمـه اللـه: مـررت بكنـاس بالبـصرة يكنـس كنيفـا و يغنـي أضاعـوني وأي فتـى أضاعـوا ليـوم كريهـة و سـداد ثغـر فقلـت لـه : أمـا سـداد الكنيـف فانـت مليـئ بـه أمـا الثغـر فـلا علـم لنـا كيـف أنـت فيـه ، و كنـت حديـث السـن و أردت أن أعبـث معـه فأعـرض عنـي مليـا ثـم أقبـل عـلي متمثـلا يقـول: و أكـرم نفـسي أننـي أن أهنتهـا و حقـك لم تكـرم عـلى أحـد بعـدي.

فقلـت لـه: و اللـه مـا يكـون مـن الهـوان شـيئا أكـثر مـما بذلتهـا لـه، فقـال لي: واللـه إن مـن الهـوان لـشرا مـما أنـا فيـه، فقلـت لـه: مـا هـو؟ فقـال: الحاجـة إليـك و إلى أمثالـك.

القاضي الشعبي و المغفل

لقي رجل القاضي الشعبي و هو واقف مع امرأة يكلمها في شأن لها، فقال الرجل: أيكما الشعبي؟ فأومأ[1] الشعبي إلى المرأة وقال للسائل: هذه.

الحسن البصري و النّحوي

جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: ما تقول في رجل مات فترك أبيه و أخيه، فقال الحسن البصري: ترك أباه و أخاه.

فقال : ما لأباه و أخاه ، فقال الحسن البصري ما لأبيه و أخيه ، فقال الرجل: إني أراك كلما طاوعتك تخالفني.

أعظم نحوي

قال أبو العبر: قال لي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الظبي معرفة أو نكرة ؟ فقلت: إن كان مشوياً على المائدة فمعرفة، وإن كان في الصحراء فهو نكرة. فقال: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو.

مرض الأعمش

مرض الأعمش يوما فزاره قوم و أطالوا الجلوس عنده، فلما سئم منهم أخذ وسادته و قام ثم قال :شفى الله مريضكم انصرفوا.

نعل أبو الطيب الطبري

قيل: إن أبا الطيب الطبري دفع خُفاً له إلى من يصلحه، فماطله وبقي

(1) أشار.

كلـما جـاءه أبـو الطيـب نقـع نعلـه في المـاء، وقـال: الآن أصلحـه. فلـما طـال ذلـك عـلى أبي الطيـب ضـاق ذرعـاً، وقـال لـه: إنمـا دفعتـه إليـك لتصلحـه، لا لتعلمـه السـباحة!!.

حتى يبدو العظم

سـأل رجـلٌ الشـعبيَّ: هـل يجـوز للمحـرمِ أن يحُـكَّ بدنـه؟ فقـال نعـم يجـوز.

فقال الرجل مقدار كم؟ فقال الشعبي بمقدار ان يبدو العظم!

زواج لم نحضره

سأل رجلٌ الإمام الشعبي رحمه الله: ما اسم امرأة إبليس؟!

فقال الشعبي: ذاك نكاحٌ ما شهدناه!

الإمام أبو حنيفة و الأعمش

جـاء الإمـام أبـو حنيفـة رحمـه اللـه ذات يـوم يعـود الأعمـش فقـال لـه: لـولا أن أثقـل عليـك يـا أبـا محمـد، لعدتـك واللـه في كل يـوم مرتـين.

فقـال لـه الأعمـش: واللـه يـا ابـن أخـي، أنـت ثقيـل عـلي وأنـت في بيتـك، فكيـف لـو جئتنـي في كل يـوم مرتـين.

الباب الثّامن و العشرون

الذّكاء، الفراسة و الفطنة

- **يقول ابن أبي عيينة رحمه الله:**

فانظر وفكِّر فيـــــما تمرُّ به إنَّ الأريب المفـــكر الفَطِن

- **وقال آخر:**

ذو العقلِ يسخو بعيشِ ساعتِه وبالذي بعدَها تشحُّ يدُه

وكلُّ ذي فِطْنَةٍ ومعـــــــرفةٍ أهمُّ مِن يومِه عليه غدُه

- **وقال آخر:**

اعملْ بعلمِك تؤْتَ حكمًا إنَّما جدوى علومِ المرءِ نَهْجُ الأقومِ

وإذا الفتى قد نـال علمًا ثم لم يعملْ بـــه فكأنَّه لم يعلمِ

فطنة ابراهيم عليه السّلام

قال ابن عباس: لمّا شبّ اسماعيل تزوّج امرأة من جرهم، فجاء ابراهيم فلم يجد اسماعيل، فسأل عنه امرأته فقالت: خرج يبتغي لنا.

ثم سألها عن عيشهم فقالت: نحن بشر في ضيق وشدّة، وشكت اليه، فقال: فاذا جاء زوجك فاقرأي عليه السلام وقولي له: يغيّر عتبة بابه.

فلما جاء أخبرته فقال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك.

صور من فطنة سليمان عليه السلام

ومن المنقول عن سليمان عليه السلام: عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

خرجت امرأتان ومعهما صبيّان، فعدا الذئب على أحدهما، فأخذتا تختصمان في الصبي الباقي، فاختصمتا الى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرّتا على سليمان عليه السلام، فقال ما أمركما؟ فقصّتا القصّة.

فقال: ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما.

فقالت الصغرى: أتشقه؟

قال: نعم.

قالت: لا تفعل، حظي منه لها.

فقال: هو ابنك. فقضى به لها.

***

وعن محمد بن كعب القرظي قال:

جاء رجل الى النبي سليمان عليه السلام فقال: يا نبيّ الله! ان لي

جيرانـا يسرقـون أوزي. فنـادى الصـلاة جامعـة.

ثـم خطبهـم، فقـال في خطبتـه: واحدكـم يـسرق اوز جـاره، ثـم يدخـل المسـجد والريـش عـلى رأسـه! فمسـح رجـل برأسـه، فقـال سـليمان: خـذوه فانـه صاحبكـم.

فطنة عيسى عليه السلام

ومـن المنقـول عـن عيـسى عليـه السـلام: أن ابليـس جـاء اليـه، فقـال لـه: ألسـت تزعـم أنـه لا يصيبـك الا مـا كتـب اللـه لـك؟

قال: بلى.

قال: فارم بنفسك من هذه الجبل، فانه ان قدر لك السلامة تسلم.

فقـال لـه: يـا ملعـون، ان للـه عـز وجـلّ أن يختـبر عبـاده، وليـس للعبـد أن يختـبر ربّـه عـز وجـلّ.

صور من فطنة نبيّنا محمدﷺ

عن علي رضي الله عنه قال:

لمـا سـار رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الى بـدر وجدنـا عندهـا رجلـين: رجـلا مـن قريـش ومـولى لعقبـة بـن أبي معيـط. فأمـا القـرشي فأفلـت، وأمـا مـولى عقبـة فأخذنـاه، فجعلنـا نقـول لـه: كـم القـوم؟ فيقول:هـو واللـه كثـير عددهـم، شـديد بأسـهم.

فجعـل المسـلمون اذا قـال ذلـك ضربـوه، حتـى انتهـوا بـه الى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلّم، ثـم ان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلّم سـأله: كـم ينحـرون

مـن الجـزر؟ فقـال: عـشرا لـكل يـوم.

فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلّم: القـوم ألـف، كل جـزور لمئـة وتبعهـا.

وعـن الحسـن أن رجـلا أتى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلّم برجـل قـد قتـل حميـما لـه، فقـال لـه النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلّم: أتأخـذ الديـة؟

قال: لا

قال: أفتعفوا؟

قال: لا.

قال: اذهب فاقتله!

فلـما جـاوزه الرجـل قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلّم: ان قتلـه فهـو مثلـه.

فلحـق الرجـل رجـلا فقـال لـه: ان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلّم قـال كـذا، فتركـه وهـو يجـر نسـعه في عنقـه[1].

(1) قـال ابـن قتيبـة: لم يـرد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلّم أنـه مثلـه في المأثـم واسـتيجاب النـار ان قتلـه. وكيـف يريـد هـذه وقـد أبـاح اللـه عـز زجـلّ قتلـه بالقصـاص، ولكـن كـره رسـول اللـه أن يقتـص وأحـب لـه العفـو, فعـرّض تعريضـا أوهمـه بـه أنـه ان هـو قتلـه كان مثلـه في الاثـم ليعفـو عنـه, وكان مـراده أن يقتـل نفسـا كـما قتـل الأوّل نفسـا, فهـذا قاتـل وهـذ قاتـل, فقـد اسـتويا في قاتـل وقاتـل, الا أن، الأوّل ظـالم والآخـر مقتـصّ.

صور من فطنة وذكاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عن أنس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلّم كان رسول الله يركب ، وأبو بكر رديفه . وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام ، فكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول : هاد يهديني . حدثنا الحسن قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلّم أبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلا قال له : من هذا معك يا أبا بكر ؟ فيقول : دليل يدلني الطريق . وصدق والله أبو بكر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاس، وقال:إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا.

قال ابن الجوزي: (هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم)

و مما يدل على فطنة ابي بكر رضي الله عنه موقفه حين وفاة النبي صاى الله عليه و سلّم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه خرج، وعمر رضي الله عنه يكلِّم النَّاس، فقال: اجلس. فأبى، فقال: اجلس. فأبى، فتشهَّد أبو بكر رضي الله عنه، فمال إليه النَّاس، وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فإن محمَّدًا

صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلى الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144] والله لكأنَّ النَّاس لم يكونوا يعلمون أنَّ الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه النَّاس، فما يُسْمَع بَشَرٌ إلَّا يتلوها

ذكاء وفطنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن أسلم ، عن أبيه قال : قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فقسمها بين الناس ، فرأى فيها حلة رديئة . فقال : كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحد لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها ؟ قال : فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه ، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه، فجعل يقسم بين الناس . قال : فدخل الزبير بن العوام ، وهو تلك الحال قال : فجعل ينظر إلى تلك الحلة فقال له : ما هذه الحلة ؟ قال عمر : دع هذه عنك .

قال : ما هيه ما هيه ما شأنها ؟ قال : دعها عنك . قال : فأعطنيها. قال : إنك لا ترضاها . قال : بلى رضيتها . فلما توثق منه . واشترط عليه أن يقبلها ولا يردها ، رمى بها إليه ، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة ، فقال : لا أريدها . فقال عمر : أيها قد فرغت منها ، فأجازها عليه وأبى أن يقبلها منه .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه و جرير

وعن جرير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له - والنَّاس يتحامون العراق وقتال الأعاجم-: سِر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه، فلمَّا جُمِعت الغنائم -غنائم جلولا-ادعى جرير أنَّ له ربع ذلك

كلِّه، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب عمر: صدق جرير قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قَاتَل هو وقومه على جُعْلٍ فأَعْطُوه جُعْلَه، وإن يكن إنَّما قاتل لله ولدينه ولحبيبه، فهو رجل من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم. فلمَّا قَدِم الكتاب على سعد، أخبر جرير بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين.

يا أهل الضوء

خرج عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يعس المدينة بالليل، فرأى ناراً موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء وكره أن يقول: يا أهل النار. وهذا من غاية الذكاء .

ذكاء وفطنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن أبي البختري قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب ، فأطراه وكان يبغضه ، فقال له : إني ليس كما تقول وأنا فوق ما في نفسك .

قضية الدّنانير

وعن خنبش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش ، فاستودعاها مائة دينار وقالا : لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع ، فلبثا حولاً ، فجاء أحدهما إليها ، فقال : إن صاحبي قد مات ، فادفعي إليِّ الدنانير ، فأبت وقالت : إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه ، فلست بدافعتها إليك ، فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه ، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر ، فقال : ادفعي إليِّ الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاءني، فزعم أنك مت فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأراد أن يقضي عليها.

فقالت: أنشدك الله أن لا تقضي بيننا ارفعنا إلى عليّ، فرفعهما إلى عليّ وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه ؟ قال : بلى . قال: فإن مالك عندنا، فاذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما.

فِطْنَة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ من الشَّجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النَّخلة. قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت: هي النَّخلة. أحبُّ إليَّ من كذا وكذا.

ذكاء وفطنة العباس رضي الله عنه

عن أبي رزين قال : سُئل العباس : أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه و سلّم ؟ فقال : هو أكبر مني وأنا ولدت قبله .

فطنة العبّاس رضي الله عنه

وعن ابن عباس قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلّم حين فرغ من بدر: عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العباس بن عبد المطلب وهو أسير في وثاقه: أنه لا يصلح لك . قال: ولم ؟ قال : لأن الله تعالى إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطالك ما وعدك .

عثمان بن عفان رضي الله عنه

فقد أمر الصحابة إذا اختلفوا في شيء عند جمع القرآن أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُّحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصُّحف إلى حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلى كلِّ أُفُقٍ من الآفاق بمصحف ممَّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يُحرق .

ذكاء وفطنة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

عن كعب القرظي قال : قال فتى منا لحذيفة : رأيت رسول الله؟ قال : نعم . قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض . قال حذيفة : دعاني رسول الله صلى الله عليه و سلّم ونحن بالخندق قال : اذهب فاجلس في القوم ، فانظر ماذا يفعلون ، فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل في جنود الله عز وجل ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا ماءً ، فقام أبو سفيان بن حرب فقال : يا معشر قريش ! لينظر كل امرئ من يجالس ، فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت له : مَن أنت ؟ فقال : أنا فلان ابن فلان .

الحق و الباطل

سأل أحد الناس عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- فقال له: ما تقول في الغناء؟ أحلال أم حرام؟

فقال ابن عباس: لا أقول حراما إلا ما ذكر في كتاب الله أنه حرام.

فقال الرجل: أحلال هو؟

فقال ابن عباس: ولا أقول حلالاً إلا ما ذكر في كتاب الله أنه حلال.

ونظر ابن عباس إلى الرجل، فرأى على وجهه علامات الحيرة.

فقال له: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟

فقال الرجل: يكون مع الباطل.

وهنا قال ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك.

الطاعون

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذاهبا إلى بلاد الشام، وكان معه بعض الصحابة. وفي الطريق علم أن مرض الطاعون قد انتشر في الشام، وقتل كثيرا من الناس، فقرر الرجوع، ومنع من معه من دخول الشام. فقال له الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فرد عليه أمير المؤمنين لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! ثم أضاف قائلاً: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله؛ أرأيت لو أن لك إبلا هبطت واديا له جهتان: إحداهما خصيبة[1]، والأخرى جديبة[2]، أليس لو رعيت في الخصيبة رعيتها بقدر الله، ولو رعيت في الجديبة رعيتها بقدر الله؟

قصة حكم البراءة

تزوجت امرأة، وبعد ستة أشهر ولدت طفلا، والمعروف أن المرأة غالبا ما تلد بعد تسعة أشهر أو سبعة أشهر من الحمل، فظن الناس أنها لم تكن مخلصة لزوجها، وأنها حملت من غيره قبل زواجها منه. فأخذوها إلى الخليفة ليعاقبها، وكان الخليفة حينئذ هو عثمان بن عفان- رضي الله عنه- فلما ذهبوا إليه، وجدوا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(1) أي بها زرع وحشائش تصلح لأن ترعى فيها الإبل

(2) أي لا زرع فيهما، ولا تصلح لأن ترعى فيها الإبل

موجودا عنده، فقال لهم: ليس لكم أن تعاقبوها لهذا السبب. فتعجبوا وسألوه: وكيف ذلك؟ فقال لهم: لقد قال الله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ أي أن الحمل وفترة الرضاعة ثلاثون شهرا. وقال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ أي أن مدة الرضاعة سنتين. إذن فالرضاعة أربعة وعشرون شهرا، والحمل يمكن أن يكون ستة أشهر فقط.

المرأة الحكيمة

صعد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- يوما المنبر، وخطب في الناس، فطلب منهم ألا يغالوا في مهور النساء، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يزيدوا في مهور النساء عن أربعمائة درهم؟ لذلك أمرهم ألا يزيدوا في صداق المرأة على أربعمائة درهم. فلما نزل أمير المؤمنين من على المنبر، قالت له امرأة من قريش: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم؟ قال: نعم. فقالت: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾[1].

فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فصعد المنبر، وقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في مهور النساء، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل.

ذكاء وفطنة الحسن بن علي رضي الله عنهما

عن أبي الوفاء بن عقيل قال : لما جيء بابن ملجم إلى الحسن قال له : أريد أن أسارك بكلمة ، فأبى الحسن وقال : إنه يريد أي يعض أذني ، فقال ابن ملجم : والله لو مكنني منها لأخذتها من صماخه .

(1) القنطار المال الكثير.

قال ابن عقيل : انظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق وتقصيه إلى هذا الحد ، وانظر إلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استرداد غشه .

ذكاء وفطنة الحسين بن علي رضي الله عنهما

عن إبراهيم بن رباح الموصلي قال : يروى أن رجلاً ادّعى على الحسين بن علي مالاً وقدمه إلى القاضي ، فقال الحسين : ليحلف عليّ ما ادعى ويأخذه ، فقال الرجل : والله الذي لا إله إلا هو . فقال : قل والله والله والله إن هذا الذي تدعيه لك قبلي ، ففعل الرجل وقام ، فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً . فقيل للحسين في ذلك فقال : كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه .

الجارية الذكية

غضب المأمون على طاهر بن عبد الله، فأراد طاهرٌ أن يقصده، فورد كتابٌ له من صديقٍ له ليس فيه إلا السلام، وفي حاشيته يا موسى، فجعل يتأمَّله ولا يعلم معنى ذلك، وكانت له جارية فطنةٌ، فقالت: إنه يقول: يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ. فتثبط عن قصد المأمون.

السؤال الصعب

جاء شيخ كبير إلى مجلس الإمام الشافعي، فسأله: ما الدليل والبرهان في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. فقال الشيخ: وماذا- أيضا-؟ قال: سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم. قال الشيخ: وماذا- أيضا-؟قال: اتفاق الأمة. قال الشيخ: من أين قلت اتفاق الأمة؟ فسكت الشافعي، فقال له الشيخ: سأمهلك ثلاثة أيام. فذهب الإمام الشافعي إلى بيته،

وظـل يقـرأ ويبحـث في الأمـر. وبعـد ثلاثـة أيـام جـاء الشـيخ إلى مجلـس الشـافعي، فسـلم وجلـس. فقـال لـه الشـافعي: قـرأت القـرآن في كل يـوم وليلة ثـلاث مـرات، حتـى هـداني اللـه إلى قولـه تعـالى: ﴿ومـن يشـاقق الرسـول مـن بعـد مـا تبـين لـه الهـدى ويتبـع غـير سـبيل المؤمنـين نوفـه مـا تـولى ونصلـه جهنـم وسـاءت مصـيرا﴾. فمـن خالـف مـا اتفـق عليـه علـماء المسـلمين مـن غـير دليـل صحيـح أدخلـه اللـه النـار، وسـاءت مصـيرا. فقـال الشـيخ: صدقـت.

قصة الشكاك

جـاء أحـد الموسوسـين المتشـككين إلى مجلـس الفقيـه ابـن عقيـل، فلـما جلـس، قـال للفقيـه: إني أنغمـس في المـاء مـرات كثـيرة، ومـع ذلـك أشـك: هـل تطهـرت أم لا، فـما رأيـك في ذلـك؟ فقـال ابـن عقيـل: اذهـب، فقـد سـقطت عنـك الصـلاة. فتعجـب الرجـل وقـال لـه: وكيـف ذلـك؟ فقـال ابـن عقيـل: لأن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: رفـع القلـم عـن ثلاثـة: المجنـون حتـى يفيـق، والنائـم حتـى يسـتيقظ، والصبـي حتـى يبلـغ . ومـن ينغمـس في المـاء مـرارا - مثلـك- ويشـك هـل اغتسـل أم لا، فهـو بـلا شـك مجنـون.

صور من فطنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

كان عمـر بـن عبـد العزيـز- رضي اللـه عنـه- معروفـا بالحكمـة والرفـق، وفي يـوم مـن الأيـام، دخـل عليـه أحـد أبنائـه، وقـال له:يـا أبـت! لمـاذا تتسـاهل في بعـض الأمـور؟! فـو اللـه لـو أني مكانـك مـا خشـيت في الحـق أحـدا. فقـال الخليفـة لابنـه: لا تعجـل يـا بنـي؛ فـإن اللـه ذم الخمـر في القـرآن مرتـين، وحرمهـا في المـرة الثالثـة، وأنـا أخـاف أن أحمـل النـاس عـلى الحـق جملـة فيدفعـوه (أي أخـاف أن أجبرهـم عليـه مـرة واحـدة فيرفضـوه) فتكـون فتنـة. فانـصرف الابـن راضيـا بعـد أن اطـمأن لحسـن سياسـة أبيـه، وعلـم أن وفـق

أبيه ليس عن ضعف، ولكنه نتيجة حسن فهمه لدينه.

حجَّ سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برقٌ ورعدٌ، حتى كادت تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدَّق بها. فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم، لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فردَّ المظالم.

وحدث من سليمان بن عبد الملك أنَّ سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا وُلِّينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامَّة فمُر به، فكان من ذلك أنَّ عمر أمر بعزل عمال الحجَّاج، وأقيمت الصَّلاة في أوقاتها بعد ما كانت أُمِيتت عن وقتها، مع أمور جليلة كان يُسمع من عمر فيها، فقد قيل: إنَّ سليمان حجَّ فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخَلْق الذي لا يحصي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيَّتك، وهم غدًا خصماؤك، فبكى سليمان بكاءً شديدًا.

المهديُّ والعجوز

وقف المهديُّ على عجوزٍ من العرب، فقال: ممَّن أنتِ؟ قالت: من طيِّئ. قال: ما منع طيِّئًا أن يكون فيهم مثل حاتم؟

فقالت: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك. فعجب من جوابها ووصلها.

مائة حديثٍ

قال الحميدي: كنا عند سفيان بن عيينة فحدَّثنا بحديث زمزم؛ أنه لما شرب له، فقام رجلٌ من المجلس، ثمَّ عاد، فقال له: يا أبا محمدٍ، أليس الحديث الذي حدثتنا في زمزم صحيحًا؟ فقال: نعم. قال: فإني قد شربت الآن دلوًا من زمزم على أنك تحدثني بمائة حديثٍ. فقال سفيان: اقعد. فحدَّثه بمائة حديثٍ.

العاطس الساهي

كان عبد الله بن المبارك عابدا مجتهدا، وعالما بالقرآن والسنة، يحضر مجلسه كثير من الناس؛ ليتعلموا من علمه الغزير. وفي يوم من الأيام، كان يسير مع رجل في الطريق، فعطس الرجل، ولكنه لم يحمد الله. فنظر إليه ابن المبارك، ليلفت نظره إلى أن حمد الله بعد العطس سنة على كل مسلم أن يحافظ عليها، ولكن الرجل لم ينتبه. فأراد ابن المبارك أن يجعله يعمل بهذه السنة دون أن يحرجه، فسأله: ي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ فقال الرجل: الحمد لله! عندئذ قال له ابن المبارك: يرحمك الله.

الباب التّاسع والعشرون

الحرص على الصّلاة

- **قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:** من سمع المنادي فلم يجب لم يرد به خيرا.
- **قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:** الصلاة مكيال، فمن وفى وفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين.
- **وقال عمر رضي الله تعالى عنه:** إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة، فهو والله لغيرها من حق الله أشد تضييعًا.
- **وعن أبي بحرية قال:** دخلت مسجد حمص فسمعت معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: من سرّه أن يأتي الله عزَّ وجلَّ وهو آمن، فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، ومما سنه لكم نبيكم صلى الله عليه و سلم، ولا يقل إن لي مصلى في بيتي فأصلي فيه، فإنكم إن فعلتم ذلك تركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه و سلم لضللتم.
- **قال أحد الشّعراء مادحا الصلاة و فضلها:**

ألا في الصلاة الخير و الفضل أجمع ... لأنّ بها الآراب[1] لله تخضع
وأول فرض من شريعة ديننا ... و آخر ما يبقى إذا الدّين يُرفع
فمن قام للتكبير لا قته رحمة ... وكان كعبد باب مولاه يقرع
و صار لرب العرش حين صلاته ... نجيّا فيا طوباه لوكان يخشع

(1) الجوارح.

زهد الفاروق

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما إلى بستان نخيل له. فرجع إلى المدينة وقد صلى الناس العصر و فاتته الصلاة في جماعة، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنا لله و إنا اليه راجعون فاتتني صلاة العصر، أشهدكم أنّ بستاني صدقة للمساكين ليكون كفارة لما صنع عمر.

حرص عمر رضي الله تعالى عنه على الصلاة

عن سليمان بن يسار، أن المِسْور بن مَخْرَمَة أخبره خبر طعن عمر رضي الله تعالى عنه: أنه دخل عليه هو وابن عباس رضي الله عنهما، فلما أصبح أفزعوه، فقالوا: الصلاة، الصلاة، فقال: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فخرج والجرح ينزف دمًا.

حرص ابنُ الزُّبير رضي الله تعالى عنه على الصلاة

وعن عمرو بن دينار، قال: كان ابنُ الزُّبير رضي الله تعالى عنه يُصلي في الحِجْرِ والمِنْجنِيق يَصُبُّ ثُوْبَهُ[1]، فما يلتفت، يعني: لما حاصروه.

شعر عمر بن عبد العزيز

بعث عبد العزيز إبنه عمر إلى المدينة ليتأدب بها وكتب إلى صالح بن كيسان أحد العلماء الثقات ليتعاهده و يرعاه. وكان عمر يذهب إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يسمع منه العلم أما صالح بن كيسان فكان يلزمه الصلاة ليحافظ عليها في المسجد. و ذات يوم أبطا عمر بن

(1) التوب: حجر المنجنيق. والمعنى: أن المنجنيق يقذف بالحجارة على ناحية ابن الزبير وهو لا يلتفت ولا يبالي لاشتغاله بالصلاة وتعلق قلبه بالله.

عبد العزيز عن الصلاة.فقال له صالح ما حبسك عن الصلاة ؟فقال له عمر كانت مرجلتي ترجل (تسوي و تزين) شعري.فقال صالح غاضبا: فقد بلغ بك عنيتك بشعرك ما شغلك عن الصلاة. ثم كتب صالح إلى والده عبد العزيز يخبره بما حدث من ابنه. فأرسل عبد العزيز إلى إبنه رسولا فأمسك به وحلق له شعره حتى لا يشغله عن الصلاة مرة أخرى.

حرص الأعمش رحمه الله على الصلاة

وقال وكيع: كان الأعمش رحمه الله قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبًا من سنتين، فما رأيته يقضي ركعة.

كيف لك بتأمين الملائكة؟

وعن محمد بن سماعة القاضي رحمه الله أنه قال: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يومًا واحدًا ماتت فيه أمي، ففاتني فيه صلاة واحدة في جماعة، فقمت فصليت خمسًا وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف فغلبتني عيني، فأتاني آت فقال: يا محمد قد صليت خمسًا وعشرين صلاة ولكن كيف لك بتأمين الملائكة؟

الباب الثّلاثون

قيام اللّيل

- **قال رسول صلى الله عليه وسلم:** «من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين».[1]

- **وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال:** فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.

- **قال الحسن رحمه الله:** ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال، وإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل.

- **وقال ابن المبارك رحمه الله:**

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم وقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

- **وقال أحد الشّعراء:**

تيقظ لساعات من اللّيل يا فتى لعلّك تحظى في الجنان بحورها

فتنعم في دار يدوم نعيمها محمّد فيها و الجليل يزورها

فقم و تيقظ ساعة بعد ساعة عساك توفي ما بقي من مهورها

---

(1) المقنطرون هم الذين لهم قنطار من الأجر. الحديث رواه أبو داوود وصححه الألباني.

فراش الجنة ألين منك

كان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي روّاد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول: ما ألينك !! ولكن فراش الجنة ألين منك!! ثم يقوم إلى صلاته .

قيام حتى الفجر

قال معمر : صلى إلى جنبي سليمان التميمي رحمه الله بعد العشاء الآخرة فسمعته يقرأ في صلاته : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حتى أتى على هذه الآية ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا ، ثم خرجت إلى بيتي ، فما رجعت إلى المسجد لأؤذن الفجر فإذا سليمان التميمي في مكانه كما تركته البارحة !! وهو واقف يردد هذه الآية لم يجاوزها ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾.

مسروق بن الأجدع

قالت امرأة مسروق بن الأجدع : والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام !! ،، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف إلى فراشه كما يزحف البعير !!

إبراهيم بن أدهم

قال مخلد بن الحسين : ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يذكر الله ويصلي إلا أغتم لذلك ، ثم أتعزى بهذه الآية ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

أبو سليمان الدارني

قال أبو سليمان الدارني رحمه الله : ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة ، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها !! ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري ، لأن لي في كل تدبر علماً جديدا ، والقرآن لا تنقضي عجائبه !! .

أبو ريحانة

عن مولى لأبي ريحانة -وكان أبو ريحانة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- أنه رجع من غزوة كان فيها، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائهم، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ثم أخرى، فلم يزل ذلك مكانه كلما فرغ من سورة افتتح أخرى، حتى إذا أذن المؤذن من السحر شد عليه ثيابه، فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة! قد غزوت فتعبت في غزوتك ثم قدمت، ألم يكن لي منك حظ ونصيب؟، فقال: بلى، والله ما خطرت لي على بال، ولو ذكرتك لكان لك علي حق[1]، قالت: فما الذي شغلك يا أبا ريحانة؟، قال: لم يزل يهوى قلبي في ما وصف الله في جنته من لباسها وأزواجها ولذاتها، حتى سمعت المؤذن.

أيوب السختياني

وعن سعيد بن عامر قال: كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

---

(1) أخي الكريم إنّ ما فعله هذا الصحابي من القيام أمر عظيم. و لكن في ديننا الحنيف على المؤمن أن يعطي لكل حق حقه. كما سترى ذلك في الباب التالي إن شاء الله في قصّة سلمان و أبو الدرداء رضي الله عنهما.

الصلاة الصلاة

عـن أسـلم، أن عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه تعـالى عنـه كان يصـلي مـن الليـل مـا شـاء اللـه حتـى إذا كان مـن آخـر الليـل أيقـظ أهلـه فيقـول: الصـلاة الصـلاة ويتلـو هـذه الآيـة: ﴿وَأْمُـرْ أَهْلَـكَ بِالصَّـلَاةِ﴾ الآيـة [طـه: 132].

ذنوبك قيدتك

قـال رجـل للحسـن البـصري رحمـه اللـه : يـا أبـا سـعيد : إني أبيـت معـافى وأحـب قيـام الليـل ، وأعـد طهـوري فـما بـالي لا أقـوم ؟!! فقـال الحسـن : ذنوبـــك قيــدتك !!

الرؤيا

وعـن ابـن عمـر رضي اللـه تعـالى عنـه قـال: كان الرجـل في حيـاة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم إذا رأى رؤيـا قصّهـا عـلى النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم قـال: وكنـت غلامًـا عزبًـا، فكنـت أنـام في المسـجد عـلى عهـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم. فرأيـت في النـوم كأن ملكـين أخـذاني، فذهبـا بي إلى النـار فـإذا هـي مطويـة كطـي البـئر وإذا لهـا قرنـان، وأرى فيهـا ناسًـا قـد عرفتهـم، فجعلـت أقـول: أعـوذ باللـه مـن النـار أعـوذ باللـه مـن النـار. فلقيهـما ملـك آخـر فقـال لي: لـن تُـرعْ، فقصصتهـا عـلى حفصـة، فقصتهـا حفصـة عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم فقـال: نعـم الرجـل عبـد اللـه لـو كان يصـلي مـن الليـل، قـال سـالم: فـكان عبـد اللـه بعـد لا ينـام مـن الليـل إلا قليـلاً.

سبب البكاء

قـال أبـو جعفـر البقـال : دخلـت عـلى أحمـد بـن يحيـى رحمـه اللـه ،

فرأيته يبكي بكاء كثيرا ما يكاد يتمالك نفسه !! فقلت له : أخبرني ما حالك؟!! فأراد أن يكتمني فلم أدعه ، فقال لي : فاتني حزبي البارحة !! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته ، فعوقبت بمنع حزبي !!ثم أخذ يبكي !! فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه ، فقلت له : ما أعجب أمرك !! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها ، حتى قعدت تبكي !! فقال لي : دع عنك هذا يا أبا جعفر !! فما احسب ذلك إلا من أمر أحدثته !! ثم غلب عليه البكاء !! فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت وتركته .

قم بثلث القران

عن أي غالب قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما ينزل علينا بمكة ، وكان يتهجد من الليل ، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح : يا أبا غالب : ألا تقوم تصلي ولو تقرأ بثلث القرآن ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن قد دنا الصبح فكيف اقرأ بثلث القرآن ؟!! فقال إن سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن .

يا معشر الشباب

كان أبو إسحاق السبيعي رحمه الله يقول : يا معشر الشباب جدوا واجتهدوا ، وبادروا قوتكم ، واغتنموا شبيبتكم قبل أن تعجزوا ، فإنه قلّ ما مرّت عليّ ليلة إلا قرأت فيها بألف آية !!

ما يبكيك

لما احتضر العبد الصالح أبو الشعثاء رحمه الله بكى فقيل له : ما يبكيك !! فقال : إني لم أشتفِ من قيام اللّيل !!

خلفوا بعدهم رجالا

كان أبـو مسـلم الخـولاني رحمـه اللـه يصـلي مـن الليـل فـإذا أصابـه فتـور أو كسـل قـال لنفسـه : أيظـن أصحـاب محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يسـبقونا عليـه ، واللـه لأزاحمنهـم عليـه ، حتـى يعلمـوا أنهـم خلفـوا بعدهـم رجـالا !! ثـم يصـلي إلى الفجـر .

أويس القرني رحمه الله

وعـن أصبـغ بـن زيـد قـال: كان أويـس القـرني رحمـه اللـه إذا أمـسى يقـول: هـذه ليلـة الركـوع، فيركـع حتـى يصبـح. وكان يقـول إذا أمـسى: هـذه ليلـة السـجود، فيسـجد حتـى يصبـح. وكان إذا أمـسى تصـدق بمـا في بيتـه مـن الفضـل مـن الطعـام والثيـاب ثـم يقـول: اللهـم مـن مـات جوعًـا فـلا تؤاخـذني بـه، ومـن مـات عريانًـا فـلا تؤاخـذني بـه.

داود الطائي رحمه الله

وعـن أم سـعيد بـن علقمـة النخعـي قالـت: كان بيننـا وبـين داود الطـائي رحمـه اللـه حائـط قصـير أسـمع حسـه عامـة الليـل لا يهـدأ. قالـت: وربمـا سـمعته يقـول: همـك عطـل عـلي الهمـوم وخالـف بينـي وبـين السـهاد، وشـوقي إلى النظـر إليـك أوبـق منـي الشـهوات، وحـال بينـي وبـين اللـذات، فأنـا في سـجنك أيهـا الكريـم مطلـوب. قالـت: وربمـا ترنـم بالآيـة، فـأرى أن جميـع نعيـم الدنيـا جمـع في ترنمـه وكان يكـون في الـدار وحـده، وكان لا يُصبَـح فيهـا، أي كان لا يُـسرج.

مهر الجارية

وعـن أزهـر بـن مغيـث بـن ثابـت الثعلبـي رحمـه اللـه، حدثنـا أبي وكان

مـن القوامـين للـه في سـواد هـذا الليـل المظلـم، قـال: رأيـت في منامـي امـرأة لا تشـبه نسـاء أهـل الدنيـا فقلـت: مـن أنـت؟ قالـت: حـوراء أمـة اللـه ، قـال: قلـت: زوِّجينـي نفسـك، قالـت: اخطبنـي إلى سـيدي وأمهـرني، قـال: قلـت: ومـا مهـرك؟ قالـت: طـول التهجـد.

سفيان الثّوري رحمه الله

وقـال عبـد الرحمـن بـن مهـدي: مـا عـاشرت في النـاس رجـلاً هـو أرق مـن سـفيان الثـوري رحمـه اللـه، قـال: وكنـت أرامقـه الليلـة بعـد الليلـة، فـما كان ينـام إلا في أول الليـل ثـم ينتفـض فزعًـا مرعوبًـا ينـادي: النـار، شـغلني ذكـر النـار عـن النـوم والشـهوات، كأنـه يخاطـب رجـلاً في البيـت، ثـم يدعـو بمـاء إلى جانبـه فيتوضـأ، ثـم يقـول عـلى إثـر وضوئـه: اللهـم إنـك عـالم بحاجتـي غـير معلـم بمـا أطلـب، ومـا أطلـب إلا فـكاك رقبتـي مـن النـار، اللهـم إن الجـزع قـد أرقنـي مـن الخـوف فلـم يؤمنـي، وكل هـذا مـن نعمتـك السـابغة عـليّ، وكذلـك فعلـت بأوليائـك وأهـل طاعتـك، إلهـي قـد علمـت أن لـو كان لي عـذر في التخـلي مـا أقمـت مـع النـاس طرفـة عـين، ثـم يقبـل عـلى صلاتـه. وكان البـكاء يمنعـه مـن القـراءة حتـى إني كنـت لا أسـتطيع سـماع قراءتـه مـن كـثرة بكائـه.

الباب الحادي و الثّلاثون

القصد في العبادة، وذمّ الغلو

- **قال الله سبحانه و تعالى:** ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ طه:1
- **و قال سبحانه و تعالى أيضا:** ﴿ يريد الله بكم اليسر و لايريد بكم العسر﴾ البقرة: 185
- **قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم:** « هلك المتنطّعون[1]» قالها ثلاثا. رواه مسلم
- **وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال:** ما تقلد امرؤ قلادة أفضل من سكينة، وما زاد الله عبدًا قط فقها إلا زاده الله قصدًا.
- **وعن مخلد بن الحسين رحمه الله قال:** ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين: ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلوًا فيه، وإما تقصيرًا عنه.
- **وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال:** وضع دين الله دون الغلو وفوق التقصير.

---

(1) المتنطّعون : المتعمّقون المتشدّدون في غير موضع التشديد.

من رغب عن سنتي ليس مني

عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قال:جـاء ثلاثـة رهـط إلى بيـوت أزواج النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم، يسـألون عـن عبـادة النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلّم، فلـما أخـبروا كأنّهـم تقالّوهـا[1] و قالـوا: أيـن نحـن مـن النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم، قـد غُفـر لـه مـا تقـدّم مـن ذنبـه و مـا تأخـر؟

قـال أحدهـم: أمّـا انـا فأصـلي اللّيـل أبـدا، وقـال الآخـر: و انـا أصـوم الدّهـر و لا أفطـر، و قـال الأخـر: و أنـا أعتـزل النّسـاء فـلا أتـزوج أبـدا، فجـاء رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلّم فقـال:« أنتـم الذيـن قلتـم كذا و كـذا؟ أمـا و الله إني لأخشـاكم للـه و أتقاكـم لـه لكنـي أصـوم و أفطـر، و أصـلي و أرقـد، وأتزوج النّسـاء، فمـن رغـب عـن سـنّتي فليـس منـي»[2].

عليكم بما تطيقون

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا أن النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلّم دخـل عليهـا و عندهـا امـرأة، قـال صـلى اللـه عليـه و سـلّم: مـن هـذه؟ قالـت عائشـة رضي اللـه عنها:هـذه فلانـة تذكـر مـن صلاتهـا[3].

قـال صـلى اللـه عليـه و سـلّم : مـه[4] عليكـم بمـا تطيقون،فواللـه لا يمـل

(1) رأو أنّ عبادة الرّسول صلى الله عليه و سلّم قليلة.

(2) متفق عليه.

(3) أي تذكر كثرة عبادتها و صلاتها لعائشة رضي الله عنها.

(4) مـه كلمـة زجـر و نهي،ومعنـى (لا يمـل اللـه) أي لايقطـع ثوابـه عنكـم و جـزاء أعمالكـم حتـى تملـوا أنتـم العمـل و تتركوه،فينبغـي لكـم أن تأخـذوا مـا تطيقـون الـدّوام عليـه ليـدوم ثوابـه لكـم و فضلـه عليكـم.

الله حتى تملّوا و كان أحب الدّين إليه ما داوم صاحبه عليه[1].

لمن الحبل؟

عن أنس رضي الله عنه قال:دخل النبي صلى الله عليه و سلّم المسجد فإذا حبلٌ ممدود بين السّاريتين[2] فقال: ما هذا الحبل؟

قالوا:هذا حبل لزينب، فإذا فترت[3] تعلّقت به.

فقال النبي صلى الله عليه و سلّم: « حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه،فإذا فتر فليرقد»[4].

أعط لكل حقّه

آخى النبي صلى الله عليه و سلّم بين سلمان الفارسي و أبي الدرداء رضس الله عنهما، فزار سلمان أبا الدّرداء، فرأى أمّ الدرداء متبذّلة[5] فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا.

فجاء أبو الدّرداء فصنع له طعاما[6]، فقال له:كل فإني صائم.

قال له سلمان الفارسي: ما أنا بآكل حتى تأكل،فأكل أبو الدرداء.فلما كان من اللّيل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له سلمان: نم فنام، ثم

(1) متفق عليه.

(2) عمودان من سواري المسجد.

(3) كسلت عن القيام في الصلاة، أي صلاة النّافلة.

(4) حديث متفق عليه

(5) لابسة ثوب الممتهنة البذلة،تاركة لثياب الزينة و الجمال.

(6) إكراما له فهو ضيفه.

ذهب يقوم فقال له: نم، فلمّا كان من آخر اللّيل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا،فقال له سلمان: إنّ لربك عليك حقا، و إنّ لنفسك عليك حقا، و لأهلك عليك حقا[1]،فأعط كل ذي حق حقه. فأتى أبو الدرداء إلى النبي صلى الله عليه و سلّم فذكر له ذلك، فقال النبي صلى الله عليه و سلّم: « صدق سلمان»[2].

عمل أبي أمامة

وجاء رجل إلى أبي أمامة رضي الله تعالى عنه فقال: إنه أتاني آت فقال: اعمل مثل عمل أبي أمامة، فقال أبو أمامة: وما عسى أن يبلغ عمل أبي أمامة، أصلي الخمس، وأصوم رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صوتت الطير صوت معها، يعني من السحر.

عليك بالقصد فإنه أبلغ

عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان الليل، كان الناسُ منه على ثلاث منازل: فمنهم مَن له ولا عليه، ومنهم مَن عليه ولا له، ومنهم من لا عليه ولا له! فقلت: وكيف ذاك؟ قال: أما مَن له ولا عليه، فرجلٌ اغتنم غفلةَ الناس وظلمةَ الليل، فتوضأ وصلَّى، فذاك له ولا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس، وظلمةَ الليل، فمشى في معاصي الله، فذاك عليه ولا له، ورجل نام حتى أصبح، فذاك لا له ولا عليه.

قال طارق: فقلت: لأصحبنَّ هذا. فَضُرب على الناس بعثٌ، فخرج

(1) أي لزوجتك عليك حقا فعليك إتيانها و اشباع رغاباتها كامرأة.

(2) رواه البخاري.

فيهم، فصحبته وكنت لا أفضله في عمل، إن أنا عجنت خَبَزَ وإن خبزت طبخ، فنزلنا منزلاً فبتنا فيه، -وكانت لطارق ساعة من الليل يقومها- فكنت أَتيقظ له فأجده نائمًا، فأقول: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، خيرٌ مني نائم، فأنام ثم أَقوم فأجده نائمًا فأنام، إلا أنه كان إذا تعارّ من الليل قال وهو مضطجع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير. حتى إذا كان قبيل الصبح قام فتوضأ ثم ركع أربع ركعات. فلما صلّينا الفجر قُلت: يا أيا عبد الله! كانت لي ساعة من الليل أقومها وكنت أتيقظ لها فأجدك نائمًا، قال: يا ابن أخي! فماذا كنت تسمعني أقول؟ فأخبرته، فقال: يا ابن أخي تلك الصلاة، إن الصلوات الخمسَ كفارات لما بينهن ما اجتنبت المقتلة، يا ابن أخي عليك بالقصد فإنه أبلغ.

الباب الثّاني و الثّلاثون

السّعي من أجل الرّزق

- **قال الله سبحانه وتعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ سورة الملك الآية 15 .
- **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله، أعطاه أو منعه»[1].
- **قال ابن شهاب:**

تتبع خبايا الأرض و أدع مليكها لعلّك يوما تجاب فترزق

- **وقال أحد الشّعراء:**

إذا المرء لم يطلب معاشا ولم يتحاشَ من طول الجلوس

جفاه الأقربون وصار كَلاًّ على الإخوان كالثوب اللّبيس

- **وأبيات قيمة لأبي الأسود ينصح فيها ابنه:**

وما طلبُ المعيشةِ بالتمني ولكن ألق دلوك في الدّلاءِ

تجِئك بملئها يوماً ، ويوماً تجِيء بحمأةٍ وقليلِ ماءِ

ولا تقعد على كُل التمني تحيل على المقادر والقضاءِ

فإن مقادِر الرحمن تجري بإرزاق العباد من السماءِ

(1) متفق عليه.

و من أقوال السلف الصالح في وجوب العمل و السّعي من أجل الرّزق

سعيد بن المسيب :لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس.

سفيان الثوري رحمه الله :عليك بعمل الأبطال. الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال.

أبو سليمان الداراني : ليست العبادة أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفك فأحرزها، ثم تعبد.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: ما خلق الله -عزَّ وجلَّ -مِيتة أموتها بعد القتل في سبيل الله -عزَّ وجلَّ -أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رَحْل أضرب في الأرض، أبتغي من فضل الله -عزَّ وجلَّ.

وقال أيضا رضي الله تعالى عنه: مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: إني لأحب أن آكل من كدّ يدي.

وقال حماد بن زيد: قال لنا أيوب رحمه الله: الزم السوق فإن الغنى من العافية.

وعن حماد بن زيد قال: قال لي أيوب: الزم سوقك فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تحتج إليهم.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: إن الصائم القائم المصلي

الحـاج المعتمـر الغـازي، مـن أغنـى نفسـه عـن النـاس.

وكان محمـد بـن سـيرين رحمـه اللـه إذا أتـاه رجـل مـن العـرب قـال لـه: مالـك لا تتجـر؟ كان أبـو بكـر تاجـر قريـش.

وعـن أيـوب قـال: كان أبـو قلابـة رحمـه اللـه يأمـرني بلـزوم السـوق والصنعـة ويقـول: إن الغنـى مـن العافيـة.

وقـال أيـوب رحمـه اللـه يقـول: لـو أعلـم أن عيـالي يحتاجـون إلى جُـرْزة بقـل مـا قعـدت معكـم.

وعـن أبي وائـل رحمـه اللـه قـال: الدرهـم مـن تجـارة أحـب إلي مـن عـشرةٍ مـن عطايا.

قـال عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه: لا يقعـدن احدكـم عـن طلـب الـرّزق و هـو يقـول اللّهـم أرزقنـي و قـد علـم أن السـماء لا تمطـر ذهبـا و لا فضـة، و اللـه سـبحانه و تعـالى انمـا يـرزق النـاس بعضهـم مـن بعـض.

وقـال عمـر بـن الخطّـاب رضي اللـه عنـه موجِّهًـا القـرَّاء: يـا معـشر القـرَّاء، اسـتبقوا الخـيرات، وابتغـوا مـن فضـل اللـه، ولا تكونـوا عيـالاً عـلى النـاس.

عـن وهـب بـن جابـر قـال: شـهدت عبداللـه بـن عمـرو بـن العـاص في بيـت المقـدس وأتـاه مـولى لـه فقـال: إني أريـد أن أقيـم هـذا الشـهر هاهنـا -يعنـي رمضـان- قـال لـه عبداللـه: هـل تركـت لأهلـك مـا يقوتهـم؟ قـال: لا، قـال: أمّـا لا فارجـع، فـدع لهـم مـا يقوتهـم، فـإني سـمعتُ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلّم يقـول: كفـى بالمـرء إثمـاً أن يضيـع مـن يقـوت.

وقـال عـلي بـن الفضيـل بـن عيـاض : سـمعت أبي وهـو يقـول لابـن المبـارك: أنـت تأمرنـا بالزهـد والتقلـل والبلغـة، ونـراك تـأتي بالبضائـع مـن

بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي إنما أفعل ذا؛ لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي.

وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فرضك، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

اطلب ما تطلب الأقوام!

وعن الحسن قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يمشي ذات يوم في نفرٍ من أصحابه، إذا صبية في السوق يطرحها الريح لوجهها من ضعفها، فقال عمر: يا بؤس هذا من يعرف هذه؟ قال له عبد لله: أو ما تعرفها! هذه إحدى بناتك! قال: وأي بناتي؟ قال: بنت عبد الله بن عمر، قال: فما بلغ بها ما أرى من الضيعة؟ قال: إمساكك ما عندك، قال: إمساكي ما عندي عنها يمنعك أن تطلب لبناتك ما تطلب الأقوام! أما والله ما لك عندي إلا سهمك من المسلمين، وسعك أو عجز عنك، بيني وبينكم كتاب الله.

عمل سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه

وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق، فمر علينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، وقد اشترى وسقا من طعام. فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس.

فضل العمل

وقال مسلم: لقيني معاوية بن قرّة رحمه الله، وأنا جاءٍ من الكلأ، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا. قال: وأصبت مِن حلال؟ قلت: نعم. قال: لأن أغدو فيما غدوتَ به أحبّ إليّ من أن أقوم الليل وأصوم النهار.

الجوع ببطن الغير

وقال سهيل بن علي: كنت أجالس خير بن نعيم رحمه الله، فرأيته يتجر في الزيت، فقلت له: وأنت أيضًا تتجر؟ فضرب بيده على كتفي، ثم قال: انتظر حتى تجوع ببطن غيرك. فقلت في نفسي: كيف يجوع الإنسان ببطن غيره. فلما بليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم.

كراهة الحاجة إلى مثلك

ولقي رجل الحسن بن يحيى رحمه الله بأرض الحبشة معه تجارة، فقال له: ما الذي بلغ بك ها هنا؟! فعذله[1] فقال: أكلٌ هذا طلبٌ للدنيا، وحرص عليها؟!

فقال له الحسن: يا هذا: إن الذي حملني على هذا: كراهة الحاجة إلى مثلك.

كن أنت الطائر المبصر

يروى عن شقيق البلخي وهو من أهل العبادة والزهد أنه ودَّع شيخه إبراهيم بن أدهم لسفره في تجارة عزم عليها. وهو في الطريق في

(1) أي لامه الرجل.

الصحـراء رأى طائـراً أعمـى كسـير الجنـاح، فوقـف يتأمـل الطائـر ويفكـر كيـف يجـد رزقـه في هـذا المـكان المنقطـع.

فلـم يمـض وقـت طويـل حتـى جـاء طائـر آخـر فأطعـم الطائـر كسـير الجنـاح كـما يطعـم الحـمام فراخـه.

تعجـب شـقيق .. مـن هـذا المشـهد وأثـر فيـه ،فقـال في نفسـه: إذا كان اللـه تعـالى يـرزق هـذا الطائـر مـن غـير حـول منـه ولا قـوة ولم يهملـه فلـماذا أذهـب إلى التجـارة و لمـاذا العنـاء و السـفر وأنـا في هـذا السـن؟ ! سـأرجع وحتـما سـيرزقني اللـه وعـاد إلى بيتـه وحـين وصـل زار شـيخه فقـال له الشـيخ: لمـاذا عـدت يـا شـقيق؟ الم تذهـب للتجـارة ؟

فقـص عليـه القصـة بأنـه رأى في طريقـه طائـرا أعمـى وكسـيح و أخـذ يفكـر كيـف يـأكل هـذا الطائـر ويـشرب؟

وبعـد قليـل جـاء طائـر آخـر يحمـل حبـا وأطعـم الطائـر الأعمـى ثـم سـقاه. فقلـت طالمـا ربنـا عـز وجـل رزق الطائـر الأعمـى الكسـيح ..سـأرجع إلى بيتـي وسـط أولادي وارجـع لأهـلي وبلـدي وربي سـيرزقني.

هنـا قـال لـه إبراهيـم بـن ادهـم: سـبحان اللـه يـا شـقيق! ولمـاذا رضيـت لنفسـك أن تكـون الطائـر الأعمـى العاجـز الـذي ينتظـر عـون غـيره ولا تكـون أنـت الطائـر الآخـر الـذي يسـعى ويكـدح ويعـود بثمـرة ذلـك عـلى مـن حولـه ؟!أمـا علمـت أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: اليـد العليـا خـير مـن اليـد السـفلى.

فقبَّل يده شقيق وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق!

وتركه وغدا يسعى كما تسعى الطير التي تغدو خماصاً وتعود بطاناً.

أتجر في البحر؟

وعـن الهيثـم بـن جميـل قـال: قلـت لابـن المبـارك رحمـه اللـه: أتجـر في البحـر؟ قـال: اتجـر في الـبر والبحـر، واسـتغن عـن النـاس.

لا تدع الكسب

وعـن عبـد اللـه بـن المبـارك رحمـه اللـه أنـه قـال: لا أرى لصاحـب عـشرة آلاف درهـم أن يـدع الكسـب، فإنـه إن لم يفعـل لم آمـن أن لا يعطـف عـلى جـاره، ولا يوسـع عـلى عيالـه.

الباب الثّالث و الثلاثون

حُسن اختيار الزّوج والزّوجة

- **قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:** لا ينبغي لذوات الأحساب تزوُّجُهُنَّ إلا من الأكفاء.
- **وقال رضي الله تعالى عنه:** لا يُكرِهنَّ أحدٌ ابنته على الرجل القبيح؛ فإنهن يحبن ما تحبون.
- **وقال الأحنف بن قيس رحمه الله:** أفعى تحكُّكُ في ناحية بيتي أحبُّ إلي من أيِّمٍ قد رددت عنها كفوءا.
- **و قال الشعبي رحمه الله:** من زوّج فاسقا فقد قطع رحمه.
- **و يروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّها قالت:** يا بنيَّ، وبني بني، إن هذا النّكاح رق، فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته.
- **قال أحد الشعراء:**

وإن تزوجت فكن حاذقاً واسأل عن الغصن وعن منبته

واسأل عن الصهر وأحواله من جيرة وذي قربته

بنت بائعة اللّبن

في احدى الليالي خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع غلامه أسلم يتفقد أحوال الرعية، فأخذه التعب من كثرة السير فاتكأ على جدار ليستريح، فوصل إلى سمعه صوت امرأة تقول لبنتها قومي إلى ذلك اللبن واخلطيه بالماء.

فقالت لها البنت: يا أماه إن أمير المؤمنين أرسل مناديه ينادي في الناس ألا يشاب اللبن بالماء، فقالت الأم: يا ابنتاه قومي إلى اللبن واخلطيه بالماء فانك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر.

فقالت الفتاة التقية المؤمنة مقولتها الشهيرة يا أماه إن كان عمر لا يرانا فان رب عمر يرانا والله ما كنت لأطيعه في الملا و اعصيه في السر. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين يسمع ذلك كله فقال يا اسلم علّم الباب و اعرف الموضع ثم نهض عمر رضي الله عنه منصرفا وعند الصباح قال عمر لغلامه اسلم : يا اسلم امض إلى الموضع و انظر من الفتاة وهل لها من بعل. فانطلق اسلم فنظر فإذا الفتاة بكر ولا بعل لها ثم عاد و اخبر عمر بالخبر فدعا عمر أولاده وقال لهم: هل فيكم من يحتاج امرأة، أزوجه. فقال ابنه عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني. فتزوجها عاصم فولدت له بنتا تزوجها عبد العزيز بن مروان فاتت بعمر بن عبد العزيز.

الله اكبر خليفة المسلمين يختار لابنته زوجة بسيطة ابنة بائعة اللّبن الفقيرة... لم يكن يعرف اسمها حتى و لا اسم عائلتها، لم يبحث عن حسبها و لا نسبها و لا جمالها انما حرّكت قلبه كلماتها المؤمنة و ثباتها على الحق فتمناها زوجة لابنه فهل ترانا ننتقي زوجاتنا بهذا المنظار وهل نبحث في اختياراتنا عن فتيات من هذا المعدن الأصيل.

قصة حارس البستان

في أحـد الأيـام دخـل صاحـب أحـد البسـاتين الى بسـتانه، وطلـب مـن حارسـه أن يحـضر لـه رمانـة حلـوة الطعـم، فذهـب الحـارس و احـضر حبـة رمـان و قدّمهـا لسـيده وحـين تذوقهـا الرّجـل و جدهـا حامضـة فقـال صاحـب البسـتان: قلـت لـك اريـد حبـة حلـوة الطعـم... احـضر لي رمانـة أخـرى..

فذهب الحارس مرتين و في كل مرة كان يحضر رمانة حامضة الطعم.

فقـال صاحـب البسـتان للحـارس متعجبـا: منـذ سـنة و انـت تحـرس البسـتان و لا تعلـم مـكان الرمـان الحلـو؟

فقـال حـارس البسـتان: لقـد طلبـت منـي يـا سـيدي ان احـرس البسـتان، لا أن اتـذوق الرّمـان، فكيـف لي ان اعـرف مـكان الرمـان الحلـو؟

تعجّـب صاحـب البسـتان مـن أمانـة هـذا الرّجـل و اخلاقـه، فعـرض عليـه أن يزوجـه ابنتـه.

و تـزوج هـذا الرجـل مـن تلـك الزوجـة الصالحـة ... و كان ثمـرة هـذا الـزواج التابعـي الجليـل الزاهـد عبـد اللـه ابـن المبـارك.

نستشـف مـن هـذه القصـة رقـي تفكـير صاحـب البسـتان اذ انـه لمـا لمـس الامانـة و الأخـلاق في هـذا الحـارس البسـيط تمنّـاه لابنتـه زوجـا غـير مبـال بفقـره و قلّـة ذات يـده.

ورطة التفاحة

دخـل احـد السـلف الصالـح و هـو ثابـت بـن النعـمان احـد البسـاتين وكان جائعـا، فشـدّته نفسـه ليـأكل مـن ثمـار البسـتان. بـدأت المعـدة تقرقـر فمـد يـدّه فتنـاول تفاحـة و اكل نصفهـا و شرب مـن مـاء البسـتان و بعـد أن

ذهبت شدة الجوع عنه انتبه انه أكل من رزق غيره ومن دون اذنه فقرر أن يبحث عن صاحب البستان و يطلب منه العفو.

بحث ثابت بن النعمان عن صاحب البستان حتى وجده، ثم حكى له القصة و طلب منه العفو، فا ندهش صاحب البستان من امانة هذا الرّجل فقال له: لن اسامحك في هذه التفاحة الا بشرط، وهو ان تتزوج ابنتي و اعلم انّها عمياء و خرساء و صمّاء و مقعدة ...اما ان تتزوجها أو لا اسامحك في هذه التفاحة أبدا.

اخذ ثابت بن النعمان يفكر في هذه الورطة التي و ضع فيها نفسه، و في الأخير قرر ان يتزوج الفتاة لأن صبره على هذه الفتاة أهون من عذاب الآخرة.

وجاء يوم الزّفاف و قد غلب الهم ثابت بن النعمان و أخذ يفكر كيف سيدخل على امرأه مقعدة و خرساء و صماء و بكماء و حين حانت اللحظة دخل ثابت على المرأة فاذا هي آية في الجمال و سلّمت عليه.

وبعد صمت قال لها: انك تمشين و تسمعين و تتكلمين.

فقالت له: ان ابي لم يكذب عليك.

فقال لها: و كيف ذلك؟

فقالت له: أني عمياء عن رؤية الحرام، وخرساء و صماء عن قول وسماع ما يغضب الله و مقعدة عن السير في طريق الحرام.

تزوج ثابت بن النعمان بالمرأة و كانت ثمرة هذا الزواج المبارك الامام ابو حنيفة النّعمان.

مِمَن أُزَوِّجها؟

وقال رجل للحسن رحمه الله: إن لي بُنَيّة وإنها تُخْطَب، فمِمَن أُزَوِّجها؟ فقال: زوجها ممن يتقِي اللهّ، فإن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يَظْلِمها.

لو أراد الدنيا لزوَّجنا

وخطب سليمان بن عبد الملك إلى هاني بن كلثوم رحمه الله ابنه على أيوب، وهو ولي عهد، فأبى أن يزوجه، ثم انصرف إلى أهله، فدعى ابن عمٍّ له فزوجه، فقال سليمان: أمَّا لو أراد الدنيا لزوَّجنا.

تلميذ سعيدَ بن المسيّب رحمه الله

وعن ابن أبي ودَاعة قال: كُنت أجالس سعيدَ بن المسيِّب رحمه الله، ففقدني أيّاما، فلما جئتُه قال: أين كنتَ؟ قلت: تُوُفيّت أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثتَ امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يُزوِّجني وما أملِكُ إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتَفعل؟ قال: نَعَمْ، ثم تحمَّد، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وزوَّجَني على درهمينأو قال: ثلاثةفقمتُ وما أدري ما أصنَعُ من الفَرح فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكَّر فيمن أستدين.

فصلَّيت المغربَ، ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائمًا، فقَدَّمتُ عشائي أُفطِر، وكان خُبزًا وزَيتًا، فإذا بابي يُقرع، فقلت: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأَفْكَرْتُ في كلِّ من اسمُه سعيد إلاَّ ابن المسيِّب، فإنَّه لم يُر أربعين سنة إلا بين بَيتِه والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنَّه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنتَ أحقُّ أن تؤتى، إنَّك كُنتَ رجُلاً عَزَبًا فتزوَّجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدَك،

وهـذه امرأتُـك، فـإذا هـي قائمـةٌ مِـن خلفِـه في طُولـه، ثـم أخَـذَ بيدِهـا فدفعها في البـاب، وردَّ البـاب، فسـقطت المـرأةُ مِـنَ الحيـاء، فاسـتوثقتُ مِـنَ البـاب ثـم وضعـتُ القصعـة في ظِـلِّ السراج لـكي لا تـراه، ثـم صعـدتُ إلى السـطح فرمَيـتُ الجـيران، فجـاؤوني فقالـوا: مـا شـأنك؟ فأخبرتُهـم. ونزلـوا إليهـا، وبلَـغَ أُمِّـي، فجـاءت وقالـت: وجهـي مِـن وجهـكَ حـرامٌ إن مَسِسْـتَها قَبْـلَ أن أصلِحَها إلى ثلاثـة أيـام، فأقمـتُ ثلاثًـا ثـم دخلـتُ بهـا، فـإذا هـي مـن أجملِ النـاس، وأحفـظِ النـاسِ لكتـابِ اللـه، وأعلمِهِـم بسـنَّةِ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم ، وأعرفهـم بحـقِّ زوج.

فمكثـتُ شـهرًا لاَ آتي سـعيدَ بـن المسـيِّب. ثـم أتيتُـه وهـو في حَلقَتِـه، فسـلمْتُ، فـردَّ عـليَّ السـلام ولم يُكَلِّمْنـي حتَّـى تقـوَّض المجلـس، فلـما لم يبْـقَ غـيري. قـال: مـا حـالُ الإنسـان؟ قلـتُ: خـيرٌ يـا أبـا محمـد، عـلى مـا يُحِـبُّ الصديـق، ويكـرَهُ العـدوُّ. قـال: إن رابَـكَ شيءٌ فالعَصَـا. فانصرفـتُ إلى منـزلي، فوجَّـه إليَّ بعشريـن ألـف درهـم.

اظفر بذات الدّين

وعـن يحيـى بـن يحيـى قـال: كنـت عنـد سـفيان بـن عيينـة رحمـه اللـه إذ جـاء رجـل فقـال: يـا أبـا محمـد، أشـكو إليـك مـن فلانـة - يعنـي امرأتـه - أنـا أذل الأشـياء عندهـا وأحقرهـا، فأطـرق سـفيان مليًـا ثـم رفـع رأسـه فقـال: لعلـك رغبـت إليهـا لتـزداد عـزاً فقـال: نعـم يـا أبـا محمـد، قـال: مـن ذهـب إلى العـز ابتـلي بالـذل، ومـن ذهـب إلى المـال ابتـلي بالفقـر، ومـن ذهـب إلى الديـن يجمـع اللـه لـه العـز والمـال مـع الديـن، ثـم أنشـأ يحدثـه فقـال:

كنـا إخـوة أربعـة، محمـد وعمـران وإبراهيـم وأنـا، فمحمـد أكبرنـا، وعمران أصغرنـا، وكنـت أوسـطهم، فلـما أراد محمـد أن يتـزوج رغـب في الحسـب فتـزوج مـن هـي أكـبر منـه حسـبًا فابتـلاه اللـه بالـذل، وعمـران رغـب في المـال

فتـزوج مـن هـي أكـثر منـه مـالاً فابتـلاه اللـه بالفقـر، أخـذوا مـا في يديـه ولم يعطـوه شـيئا.

فبقيـت في أمرهـما، فقـدم علينـا معمـر بـن راشـد فشـاورته وقصصـت عليـه قصـة إخـوتي، فذكـرني حديـث يحيـى بـن جعـدة وحديـث عائشـة، فأمـا حديـث يحيـى بـن جعـدة قـال النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم: (تنكـح المـرأة عـلى أربـع، عـلى دينهـا وحسـبها ومالهـا وجمالهـا، فعليـك بـذات الديـن تربت يـداك). وحديـث عائشـة أن النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم قـال: «أعظـم النسـاء بركـة أيسرهـن مؤنـة» فاخـترت لنفـسي الديـن وتخفيـف الظهـر اقتـداء بسـنة نبـي اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم، فجمـع اللـه لي المـال مـع الدّيـن.

نصيحة الإمام أحمد رحمه الله؟

و قد سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

رجـل ورع فقـير يخطـب إلى رجـل ابنتـه،و رجـل ذو مـال ليـس بـورع، أيهـما أحـب إليـك أن يزوجهـا؟

قال:يزوّجه الفقير الورع خير لها،و أحب إلي، لا يُعدل بالصّلاح شيء.

الباب الرّابع والثّلاثون

العشرةُ بالمعروفِ

- **قال الله سبحانه و تعالى:** ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ سورة النّساء الأية19
- **قال النّبي ﷺ:** «خيركم خيركم لأهله وأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» رواه الترمذي وصححه الألباني.
- **وقال الأحنف بن قيس رحمه الله:** إذا أردتم الحُظْوةَ عند النّساء فأَفْحشوا في النِّكاح وحَسِّنوا الأخلاق.
- **وقالت امرأة سعيد بن المسيب رحمه الله:** ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم، أصلحك الله، عافاك الله.
- **وعن الشعبي رحمه الله قال:** إن من النفقة التي تضاعف تسعمائة ضعف: نفقة الرجل على نفسه وعلى أهل بيته.
- **قال عبد الله بن جعفر لابنته :** يا بنية إيّاك والغيرة ، فإنه مفتاح الطلاق وإيّاك والمعاتبة فإنها تورث الضغينة .
- **قال ابن الجوزي رحمه الله:** وينبغي للمرأة العاقلة إن وجدت زوجاً يلائمها ، أن تجتهد في مرضاته، وتتجنب كل ما يؤذيه ، فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه أوجبت ملالته ، وبقي ذلك في نفسه ، فربما وجد فرصته فتركها أو آثر عليها ، فإنّه قد يجد وقد لا تجد هي ومعلومٌ أنَّ الملل للمستحسن قد يقع ، فكيف للمكروه.

• **قال الشاعر:**

إنك إن كلفتني ما لم أُطق ساءك ما سرك مني من خلق

صور من حسن معاملة النّبيﷺ لزوجاته

حسن التودّد

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مظهراً لكل جوانب الرقة والحنان والمحبة والتودد لعائشة ، ويشهد لذلك ما ورد في الصحيح عن عائشة تقول : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، وإنه ليسترني بردائه؛ لكي أنظر الى لعبهم ، يقف من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

حسن الهجر

وكذلك من لطائف هذه المعاملة الزوجية ما ورد في الصحيحين من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى !

فقالت له : كيف ذلك يا رسول الله ؟ أي كيف تعرف رضاي من غضبي ، فقال : (إذا كنت راضية عني قلت : لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم) ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أجل والله ما أهجر يا رسول الله إلا اسمك .

أشركاني في سلمكما

يُروى أن عائشة رضي الله عنها قد علا صوتُها صوتَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وراجعته في بعض الأمور، ووافقت هذه اللحظات مرور الصدِّيق - رضي الله عنه - بباب ابنته عائشة، فأدرك سمعه صوت ابنته عاليًا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فاستأذن الصدِّيق، ودخل بيت عائشة وقد امتلأ غيظًا، وهو يقول: يا ابنة أمّ رومان.. ؛ لم ينسبها لنفسه من شدَّة حنقه عليها. قال: لا أراكِ ترفعين صوتكِ على رسول الله.

وإذا بعائشة التي كانت تراجع النبيَّ صلى الله عليه وسلم تلوذ بالذي كانت تراجعه، وتحتمي خلف ظهره، ورسولنا صلى الله عيه وسلم يمنع أبا بكرٍ من ابنته، ويهدئ غضبه، ويسكن نفسه، حتى خرج أبو بكر رضي الله عنه من عندهم مغضبًا، فالتفت أكرم الخَلْق، ومَنْ أَسَرَ القلوب بخُلُقه إلى عائشة وقال لها ممازِحًا ومخفِّفًا: يا عائشة، كيف رأيتِني أنقذتُكِ من الرجل؟!

فما كان من عائشة إلا أن استحيَتْ، وذهب ما كان من مراجعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويشاء الله أن يمرَّ الصدِّيق من بيت عائشة؛ فيسمع رنين الضحكات، فيستأذن عليهما ويقول: أدخِلاني في سِلْمِكما كما أدخلتُماني في حربكما؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد فعلنا.. قد فعلنا.

سابقني

ومن لطيف أيضاً حسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث هنا لعله يكون أكثر توجيهاً للأزواج والرجال أكثر منه للنساء كل هذه المواقف تربيه في سيرة عائشة والنبي صلى الله عليه وسلم

لـكل الجنسـين، ففـي حديـث هشـام بـن عـروة عـن أبيـه عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت : سـابقني النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فسـبقته مـا شـاء - يعنـي أكـثر مـن مـرة - حتـى إذا أرهقنـي اللحـم سـابقني فسـبقني، فقـال : (يـا عائشـة هـذه بتلـك) .

يضع فاه على موضع فمها

ومـن لطفـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وعظيـم محبتـه لعائشـة رضي اللـه عنهـا، وهـذا حـبٌّ فريـد منـه فهنـا يعلمنـا ان الحـب في ظـل الـشرع أمـر لا حـرج فيـه ؛ فإنـه قـد قالـت عائشـة رضي اللـه عنهـا : كان رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - يعطينـي العظـم فأتعرقـه[1] ثـم يأخـذه فيديـره حتـى يضـع فـاه عـلى موضـع فمـي.

تحبباً وتلطفاً معها وإشعاراً لمنزلتها عنه.

بين عائشة و سودة

قالـت عائشـة رضي اللـه عنهـا: زارتنـا سـودة يومـاً، فجلـس رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بينـي وبينهـا، إحـدى رجليـه في حجـري، والأخـرى في حجرهـا، فعملـت لـه حريـرة[2] ... فقلـت: كُلي، فأبـت.

فقلـت: لتـأكلي أو لألطخـن وجهـك فأبـت، فأخـذتُ مـن القصـة شـيئاً فلطخـت بـه وجههـا، فرفـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم رجلـه مـن حجرهـا تسـتقيد منـي، فأخـذت مـن القصعـة شـيئاً فلطخـتْ بـه وجهـي، ورسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يضحـك.

(1) أي تأكل عروق العظم ما بقي من اللحم.

(2) والحريرة هي: الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء.

الدعوة

جاء عن أنس: أن جاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسياً كان طيب المرق، وكانت مرقته أطيب شيء ريحاً ، فصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً ، ثم جاءه يدعوه.

فقال: وهذه ؟ لعائشة.

فقال: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا .

ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذه؟

قال: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا .

ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذه؟

فقال: نعم في الثالثة.

فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله.[1]

ما كان يَصْنَعُ في بيته ؟

عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم - يَصْنَعُ في بيته ؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة .

العدل حتى في المرض

وجاء في الطبقات لأبن سعد وأصله في البخاري : أن النبي صلى

(1)قال الإمام النووي رحمه الله: كره صلى الله عليه وسلم الاختصاص بالطعام دونها، وهذا من جميل المعاشرة، وحقوق المصاحبة، وآداب المجالسة المؤكدة.

الله عليه وسلم كان يطاف به محمولاً في مرضه كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ، ويقول أين أنا غداً ؟ ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت: إنما يسأل عن يوم عائشة، فقلنا يا رسول الله: قد أذنا لك أن تكون في بيت عائشة ، فإنه يشق عليك أن تُحمل في كل ليلة ، فقال :وقد رضيتن ؟ فقلن: نعم، قال: فحولوني إلى بيت عائشة .

***

وأين الرعايةُ والتذمُّمُ!

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل همَّ بطلاق امرأته: لِم تُطَلِّقُها؟ قال: لا أُحِبُّها. قال: أوكُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ! وأين الرعايةُ والتذمُّمُ![1].

عمر رضي الله تعالى عنه والمرأة

وعن سلمان بن جبير مولى ابن عباس وقد أدرك أصحاب رسول الله قال: ما زلت أسمع حديث عمر رضي الله تعالى عنه هذا فإنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا، فمر بامرأة مغلَّقٌ عليها بابها وهي تقول، فاستمع لها عمر:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأرَّقني أن لا حبيب أُلاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه

يلاعبني طوراً وطوراً كأنما بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبه

(1) التذمم للصاحب: أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

ولكنني أخشى رقيباً مـــوكَّلاً بأنفسنا لا يَقْفرُ الدهــرُ كاتبه

ثـم تنفسـت الصعـداء وقالـت: أهـان عـلى ابـن الخطـاب وحشـتي ببيتـي، وغيبـة زوجـي، وقلـة نفقتـي.

فقـال لهـا: رحمـك اللـه، فلـما أصبـح بعـث لهـا نفقـة وكسـوة، وكتـب إلى عاملـه يـسرح لهـا زوجهـا.

ستة أشهر

وعـن الحسـن قـال: سـأل عمـر رضي اللـه تعـالى عنـه ابنتـه حفصـة: كـم تصـبر المـرأة عـن الرجـل؟ قالـت: سـتة أشـهر، فقـال: لا جـرم لا أجهـز رجـلا أكـثر مـن سـتة أشـهر.

ما يحل لي من بيت زوجي؟

وعـن عكرمـة أن امـرأة سـألت ابـن عبـاس رضي اللـه تعـالى عنـه فقالـت: مـا يحـل لي مـن بيـت زوجـي؟ فذكـر الخبـز والتمـر ونحـو ذلـك، قالـت: فالدراهـم؟ قـال ابـن عبـاس: أتحبـين أن يأخـذ حليـك؟ قالـت: لا، قـال: فـلا تأخـذي مـن دراهمـه.

وسـألت امـرأةٌ عائشـةَ رضي اللـه عنهـا فقالـت لهـا: إن أهـلي فقـراء، أفآخـذ مـن بيـت زوجـي فأبعـث إليهـم؟ فقالـت لهـا عائشـة: مـا يشـعر زوجـك؟ قالـت: مـا يشـعر بـكل مـا أبعـث بـه إليهـم، قالـت لهـا عائشـة: اسـتأمريه، فـإنْ أذن لـك فابعثـي إليهـم غـير مسرفـة، ثـم قالـت: مـا يـضر إحداكـن مـن بيـت زوجهـا سرقـت أم مـن بيـت جارتهـا.

ما حق الزوجة

وجاءت امرأة إلى معاذ رضي الله تعالى عنه فقالت: إنك رسولُ رسولِ الله حقاً، ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: حقها عليه: ألا يضرب وجهها، ولا يقبحه، وحقها عليه: أن يطعمها مما يأكل، ويكسوها مما يلبس، وحقها عليه: أن لا يهجرها في بيتها.

العدل بين النساء

وكان لعلي رضي الله تعالى عنه امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحماً بنصف درهم، وإذا كان يوم هذه اشترى لحماً بنصف درهم.

وعن يحيى بن سعيد قال: لِمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه امرأتان، فإذا كان عند أحدهما لم يتوضأ من بيت الأخرى.

قال: فماتتا في طاعون أصابهم في يوم واحد، فقدَّمهما إلى الحفرة، ثم أقرع بينهما أيهما يدخل الحفرة قبل الأخرى، ثم عفَّر درقهما جميعا في حفرة واحدة.

نحن رياحين

ومما نقش في ذاكرة التاريخ مما يدل على لباقة بعض النساء :

أن خالد بن يزيد بن معاوية وقع يوماً في عبد الله بن الزبير منافس بني أميّة اللدود ، وأقبل يصفه بالبخل ، وكانت زوجته رملة بنت الزبير أخت عبد الله بن الزبير جالسة فأطرقت ولم تتكلم بكلمة ، فقال لها خالد : ما لك لا تتكلّمين ؟! أرضيً بما قلتُه أم تنزّهاً عن جوابي ؟! فقالت: لا هذا ولا ذاك ، ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال ؟ إنما نحن رياحين للشمِّ والضّم ! فأعجبه قولها ورجاحة عقلها.

زوجة ولا أروع

عـن أنـس رضي اللـه عنـه قـال: مـات ابـن لأبي طلحـة مـن أم سـليم، فقالـت لأهلهـا: لا تحدِّثـوا أبـا طلحـة بابنـه حتـى أكـون أنـا أُحَدِّثـه، قـال: فجـاء فقربـت إليـه عشـاءً فـأكل وشرب، فقـال: ثـم تصنعـت لـه أحسـن مـا كان تصنـع قبـل ذلـك، فوقـع بهـا فلـمَّا رأتـه قـد شـبع وأصـاب منهـا، قالت:يـا أبـا طلحـة أرأيـت لـو أن قومًـا أعـاروا عاريتهـم أهـل بيـت فطلبـوا عاريتهـم ألهـم أن يمنعوهـم؟

قـال: لا، قالـت: فاحتسـب ابنـك، قـال: فغضـب، وقـال: تركتنـي حتـى تلطخـت ثـم أخبرتنـي بابنـي، فانطلـق حتـى أتى النبـي صـلى اللـه عليه و سـلم فأخـبره بمـا كان، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم: بـارك اللـه لكُـمَا في غابـر ليلتكـما.

قـال: فحَمَلـت. قـال سـفيان: قـال رجـل مـن الأنصـار: فرأيـت لـه تسـعة أولاد كلهـم قـد قـرأ القـرآن.

وصية أسماء بنت خارجة إلى ابنتها

أختـي المسـلمة ! اقـرئي وصيـة أسـماء بنـت خارجـة امـرأة عـوف الشـيباني، إلى ابنتهـا قبـل زفافهـا ، تجـدي فيهـا كلمـةً جامعـةً لأصـول المعامـلات الزّوجية، والآداب التـي يجـب أن تتحـلى بهـا كل فتـاة مقبلـة عـلى الـزّواج .

تقول أسماء لابنتها :

أي بنيـة ! إن الوصيـة لـو تركـت لفضـلِ أدبٍ لتركـتُ ذلـك منـك ، ولكنّهـا تذكـرةٌ للغافـل ، ومعونـةٌ للعاقـل ، ولـو أن امـرأة اسـتغنت عـن الـزّوج لغنـى

والديها وشدة حاجتها إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرّجال خُلِقنَ ، ولهنّ خُلِقَ الرجالُ .

أي بنية ! أنّك تفارقين بيتك الذي منه خرجتِ وتتركين عشّكِ الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيهِ ، فكوني له أرضاً يكن لك سماءً ، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً ، وكوني له أمةً يكن لك عبداً واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينُهُ منكِ على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والادعاء على حشمه وعياله، فملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً ، فإنك إن خالفت أمرهُ أوغرت صدره ، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غَدرَهُ .

ثم إياك والفرح بين يديهِ إن كان تَرِحاً ، أو الـتَرَحَ بين يديه إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والأخرى من التكدير .

وكوني ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً ، يكن أطول ما يكون لك مرافقةً ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تُحبين حتى تؤثري رضاهُ على رضاكِ، وهواهُ على هواكِ، فيما أحببتِ أو كرهتِ والله يخيرُ لكِ.

الباب الخامس والثلاثون

حسن تربية الأبناء

- **عـن ابـن عمـر رضي اللـه تعـالى عنـه قـال:** كان يُعلِّـم الصبـي الصـلاة إذا عـرف يمينـه مـن شـماله.
- **وقـال أيضـاً رضي اللـه تعـالى عنـه لرجـل:** يـا هـذا أحسـن أدب ابنـك؛ فإنـك مسـؤول عنـه، وهـو مسـؤل عـن بـرِّك.
- **وعـن سـفيان الثـوري رحمـه اللـه قـال:** ينبغـي للرجـل أن يُكـرِهَ وَلَـدَهُ عـلى العلـم، فإنـه مسـؤول عنـه.
- **وقـال أيضـا رحمـه اللـه:** كان يقـال: مـن حـق الولـد عـلى الوالـد: أن يحسـن أدبه.
- **وقال بعضهم:**

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخـــــشب

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

- **وقال بعضهم:**

وإنما أولادُنـــــــــا بينَنا أكبادُنا تمشِي على الأرضِ

لو هبّتِ الريحُ على بعضهم لا متنعتْ عيني من الغَمْضِ

فصل

حسن تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال

وجوب العدل بين الأبناء

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنّ أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه و سلّم فقال: إنّي نحلت[1] ابني هذا غلاما كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: أكلّ ولدك نحلته مثل هذا؟

فقال: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: فأرجعه.

و في رواية أخرى: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: أفعلت هذا بولدك كلّهم[2]؟

قال: لا.

قال: اتقوا الله و اعدلوا في أولادكم. فرجع أبي فردّ تلك الصدقة.[3]

احترام الغلام الصّغير

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم أُتي بشراب، فشرب منه و عن يمينه غلام،(و هذا الغلام هو ابن عبّاس رضي الله عنهما) و عن يساره أشياخ، فقال صلى الله عليه و سلّم للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ (يعني الأشياخ).

---

(1) أعطيت، وهبت.

(2) بمعنى، هل أعطيت لكل أبنائك ما أعطيته لهذا الإبن؟

(3) حديث متفق عليه.

فقال له الغلام:لا و الله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا، فتلّه[1] رسول الله صلى الله عليه و سلّم في يده.[2]

أنظر أخي إلى روعة أخلاق الحبيب صلى الله عليه و سلّم حتى مع الأطفال و الغلمان. و استئذانه من الغلام قبل أن يفعل ما يريد صلى الله عليه و سلّم، و تنفيذه لرغبة الغلام بعد ان رفض التنازل عن حقّه. فهل من الأباء الآن من يفعل هذا مع ابنائه؟

تعليمه صلى الله عليه وسلّم للأطفال

عن عمر بن أبي سلمة ر ضي الله عنه قال: كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه و سلّم، و كانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي: يا غلام سمّ الله و كل بيمينك وكل مما يليك[3].

فأرشد النبي صلى الله عليه و سلّم هذا الغلام الصغير إلى آدب الطّعام التي يجب ان يتحلى بها.

***

فائدة جميلة

اختر أما جيّدة لأولادك و هذا من الإحسان إليهم.

قال أعرابي لأولاده يوما: لقد احسنت إليكم قبل أن تولدوا و صغاراً و كباراً.

(1) تلّه أي و ضعه في يده.

(2) حديث متفق عليه.

(3) متفق عليه.

فقالـوا: عرفنـا إحسـانك إلينـا صغـاراً و كبـاراً، فكيـف أحسـنت إلينـا قبـل أن نولـد؟

فقال: تخيّرت لكم من الأمهات من لا تعيّرون بها.

فصل

الحرص على تربيتهم، تأديبهم و حسن تعليمهم

يقـول الإمـام الذّهبـي ر حمـه اللـه تعـالى مشـيرا إلى أهميـة مبـدأ التـدرج في تعليـم الطفل:

عـلى الوالديـن تعليـم الأولاد الأطفـال أولا فـأولا مـا يجـب اجتنابـه، ويلـزم فعلـه و اعتقـاده، فيذاكـر الأب و لـده شـأن التّوحيـد، و أن اللـه رب العالمين،وخالـق الشـياء،ورازق الأحيـاء، و ان محمـدا نبيـه، و أن افسـلام دينـه حـت يألفـه الصّبـي و يرسـخ في طبعـه. فـإذا ميّـز: علّمـه الوضـوء، و حـذّره الزنـا و السرقـة و الكـذب و اكل الحـرام و الـدّم و الميتـة و نحـو ذلـك و أن ببلوغـه يجـري عليـه القلـم.

تعليم الصبيان الصيام

وعـن الربيـع بنـت معـوذ رضي اللـه عنهـا قالـت: أرسـل النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم غـداة عاشـوراء إلى قـرى الأنصـار: مـن أصبـح مفطـراً فليتـم بقيـة يومـه، ومـن أصبـح صائمـاً فليصـم، قالـت: فكنـا نصومـه بعـدُ، ونُصَـوِّم صبياننـا، ونجعـل لهـم اللعبـة مـن العهـن، فـإذا بـكى أحدهـم عـلى الطعـام أعطينـاه ذاك حتـى يكـون عنـد الإفطـار.

عروة بن الزبير رحمه الله

وعن عروة بن الزبير رحمه الله، أنه كان يقول لبنيه: أي بَنيَّ هلموا فتعلموا فإنكم توشكوا أن تكونوا كبار قوم، وإني كنت صغيرا لا يُنظر إلي، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألوني، وما أشد على امرئ أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله.

حماد بن سلمة رحمه الله والصبيان

ومر قوم على حماد بن سلمة رحمه الله وحوله فتيان فقالوا: انظروا إلى حماد قد جمع حوله الصبيان! فقال: رُدُّوهم، فلما أتوه قال: إني رأيت البارحة كأني أسقي فسيلا، فأولت هؤلاء الصبيان.

منعه الدابة سنة

قال بشر مولى هشام: تفقد هشام بن عبد الملك رحمه الله بعض ولده لم يحضر الجمعة، فقال له: ما منعك؟ فقال: نَفَقَتْ دابتي، قال: وعجزت عن المشي فتركت الجمعة؟! فمنعه الدابة سنة.

مائة ألف حديث

وعن علي بن عاصم رحمه الله أنه قال: دفع إليّ أبي مائة ألف درهم، وقال: اذهب فلا أرى وجهك إلا بمائة ألف حديث.

عمر بن عبد العزيز رحمه الله ومؤدب ولده

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى مؤدب ولده: خذهم بالجفاء، فهو أمنع لأقدامهم، وترك الصبحة، فإن عادتها تُكسب الغفلة،

وقلة الضحك، فإن كثرته تميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بهما، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب بالماء، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته، فإذا فرغ منه تناول نبله وقوسه، وخرج إلى الغرض حافيا، فرمى سبعة أرشاق، ثم انصرف إلى القائلة، فإن ابن مسعود كان يقول: يا بنيَّ قيلوا فإن الشياطين لا تقيل.

قوله: الصبحة التي نهاهم عنها، فإنها هي: النوم بعد طلوع الصبح.

حق الولد على والده

وعن سفيان رحمه الله قال: كان يقال: حق الولد على والده: أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحججه، وأن يحسن أدبه.

نصيحة الشافعي رحمه الله

وعن نهشل بن كثير عن أبيه قال: دخل الشافعي رحمه الله يومًا إلى بعض حجر هارون الرشيد واستأذن له عليه فأقعده الخادم عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، قال له: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم، فلو أوصيته، فأقبل على أبي عبد الصمد، فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم مغفورة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم فيهجروه، ثم زدهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام في المسمع مُصدّ للفهم.

فصل

العطف عليهم، و ملاعبتهم

كيف تجديك يا بنية؟

قال البراء بن عازب: اشترى أبو بكر رضي الله تعالى عنه من عازب رحلا، فحملته معه، فدخلت معه إلى أهله، فإذا عائشة مضطجعة وهي محمومة، فأكب عليها، وقبَّل خدها، وقال: كيف تجديك يا بنية؟

شيخ يقبل شيخا

وعن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه إذا لقي ابنه سالما قبَّله، ويقول: شيخ يقبل شيخا.

أبو بكر والحسن بن علي رضي الله عنهم

وعن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه يحمل الحسن بن علي ويقول:

بأبي شِبْه النبي ليس شبيها بعلي

وعلي معه يتبسم.

سفيان الثوري رحمه الله

وعن الأشجعي قال : كنا مع سفيان الثوري رحمه الله فمر ابنه سعيد، فقال: ترون هذا؟ ما جفوته قط، وربما دعاني وأنا في صلاة غير

مكتوبة فأقطعها له.

وقال يحيى بن يمان: خرجت إلى مكة فقال لي سعيد بن سفيان: أقرئ أبي السلام، وقل له: تقدم، فلقيني سفيان رحمه الله بمكة، فقال: ما فعل سعيد؟ قلت: صالح، وهو يقول لك: أقدِم، فتجهز للخروج، وقال: إنما سموا الأبرار لأنهم أبروا الآباء والأبناء.

معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد

وعن أبي واثلة أن معاوية دخلته موجدة على ابنه يزيد، فأرِق لذلك ليلته، فلما أصبح بعث إلى الأحنف بن قيس رحمه الله فأتاه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا بحر كيف رضاك على ولدك، وما تقول في الولد؟

قال: فقلت في نفسي: ما سألني أمير المؤمنين عن هذه إلا لموجدة دخلته على يزيد، فحضرني كلام لو كنت زوَّقت فيه سنة لكنت قد أجدت.

فقلت: يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن غضِبوا يا أمير المؤمنين فأرضهم، وإن طلبوك فأعطهم، يمحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلا لا تعطيهم إلا نزرا، فيملوا حياتك، ويكرهوا قربك.

قال: لله درك يا أحنف، والله لقد بعثت إليك وإني من أشد الناس موجدة على يزيد، فلقد سللت سخيمة قلبي.

يا غلام اذهب إلى يزيد فقل: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام وقد أمر لك بمائتي ألف، ومائتي ثوب، فابعث من يقبض ذلك، فأتاه الرسول فأخبره، فقال: من عند أمير المؤمنين؟ قال: الأحنف، فبعث رسولا يأتيه بالمال ورسولا يأتيه بالأحنف إذا خرج من عند أمير المؤمنين، فأتاه

الأحنف وأتاه المال، فقال: يا أبا بحر كيف كان رضى أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه الكلام الذي كلم به معاوية، فقال: لا جرم لأقاسمنك الجائزة، فأمر له بمائة ألف، ومائة ثوب.

ما نفس أعزعليّ منه

وعن شيخ من أهل الكوفة قال، رأيت ابنا لمسعر بن كدام رحمه الله حَدَثا، وثب على مسعر فعض يده حتى تلوى الشيخ من عضته، ثم رأيته من غَدٍ متنكبا فرسا له مع شباب أهل الكوفة، فمر بمسعر فقال مسعر: لقد صنع بي بالأمس ما رأيتم، وما نفس أعز علي منه.

وعن مسلم أبي عبد الله الحنفي رحمه الله قال: بِرَّ ولدك؛ فإنه أجدر أن يبرك، وإنه من شاء عق ولده.

وعن ربيعة بن كلثوم قال: رآني سعيد بن جبير رحمه الله وأنا صبي فقبلني .

وقال سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه: إذا علمت ولدي القرآن، وحجَّجته، وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه.

فصل

صور جميلة من حياة أطفال السلف

أخي الكريم،لقد كانت نتيجة هذا الحرص الشديد للسلف على تربية أبنائهم و حسن تأديبهم، أن نشأ جيل رائع يتمتع بالعلم و الأدب

و الشجاعة على صغر و حداثة سنّهم. و أتركك مع مجموعة من القصص و المواقف من حياة أطفال السلف لتدرك روعة ذلك الجيل الذي تربى تربية صحيحة على الدّين و الأخلاق.

علم ابن عباس رضي الله عنهما

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر رضي الله تعالى عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره، إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري؟ ولم يقل بعضهم شيئًا. فقال لي: يا ابن عباس كذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلمه الله، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

أم كلثوم و عمر بن الخطاب

ذهبت أم كلثوم بنت جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهي ابنة خمس سنين ، في حاجة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان ثوبها يجر ورائها شبراً أو يزيد ، فأراد عمر رضي الله عنه أن يمازحها ، فرفع ثوبها حتى بدت قدماها ، فقالت : مَه ، أما لو لم تكن أمير المؤمنين لضربت وجهك !!

شجاعة سنان بن سلمة رحمه الله

وعن سنان بن سلمة رحمه الله قال: كنت في غِلمة بالمدينة تلتقط البَلَح، فأبصرنا عمر رضي الله عنه، وسعى الغلمان وقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين إنما هو ما ألقت الريح، قال: أرني أنظر، فلما أرَيْته قال: انطلق. فقلتُ: يا أمير المؤمنين ولِّ هؤلاء الغلمان، إنك لو تواريت انتزعوا ما معي، فمشى معي حتى بلغت مأمني.

الأصمعي والبنت الصّغيرة

مرّ الأصمعي - أبو سعيد عبد الملك بن قريب - على حيّ من أحياء العرب، فوجد بنتا صغيرة، قد بلغت خمس سنين أو ستا، وهي تقول: استغفر الله لذنبي كلَّه، فقال: يا فتاة مِمَّ تستغفرين ولم يجر عليك قلم؟ فقالت:

أستغفر الله لذنبي كلَّه قتلتُ إنسانا بغير حلِه[1]

مثلُ غزال ناعم في دَلِه انتصف الليل ولم أصُلِه

فقال لها: ما أفصحكِ !!.

قالت: شيخ فاني، وتخالط الغواني !!.

قال: إنما أتعجب من فصاحتكِ.

فقالت: هل ترك القرآن لأحد فصاحة؟

فقال: نبهيني على آية فصيحة منه.

---

(1) أما قولها: قتلت إنسانا بغير حله، أرادت أنها قتلت نفسها بعدم فعل الطاعات حيث انتصف الليل ولم تقم بين يدي الله تعالى وفي المحاورة دلالة على عناية المسلمين صغارا وكبارا بحفظ كتاب الله عز وجل.

فقالت: اقرأ آية القصص: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه، فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادُّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين﴾ فقد جمعت الآية أمرين وهما أرضعيه وألقيه، ونهيين وهما لا تخافي ولا تحزني، وخبرين تضمنا بشارتين وهما إنا رادُّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين.

عمر بن عبد العزيز والغلام

وقدم وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحَوّز يريد الكلام، فقال عمر: كبِّروا. فقال الفتى: يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك. قال: صدقتَ فتكلّم.

ذكاء المأمون

وقال ابن الجوزي رحمه الله: بلغنا أن أم جعفر عاتبت الرشيد على تقريبه المأمون دون ابنها محمد، فدعا خادمًا بحضرتها، وقال له: وجّه إلى عبد الله ومحمد خادمين حصيفين يقولان لكل واحد منهما على الخلوة: ما يفعل به إذا أفضت الخلافة إليه؟. فأما محمد فقال للخادم الذي مضى إليه: أقطعك وأوليك وأبلغ لك. وأما المأمون فرمى الخادم بالدواة وقال: يا ابن اللخناء تسلني ما أفعل بك بموت أمير المؤمنين؟ بل نكون جميعًا فداء له. فرجع بالخبر كل منهما. فقال لأم جعفر: كيف ترين ما أقدم ابنك إلا متابعة لرأيك وتركًا للجزع، وقد كان المأمون يعنى بالعلم قبل ولايته كثيرًا حتى جعل لنفسه مجلس نظر.

إياس بن معاوية رحمه الله

وقدم إياس بن معاوية رحمه الله الشام وهو غلام فقدّم خصماً له إلى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخًا كبيرًا. فقال له القاضي: أتقدّم شيخًا كبيرًا؟ فقال له إياس: الحق أكبر منه. قال: اسكت. قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: ما أظنك تقول حقًا حتى تقوم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال: اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشام لا يفسدْ عليَّ الناس.

الغلام الفطن وأبو العلاء المعري

روي أن غلاماً لقي الشاعر أبا العلاء المعري ، فقال الغلام لأبي العلاء : من أنت يا شيخ ؟

فقال أبو العلاء : شاعركم

فقال الغلام : أنت القائل في شعرك :

وإني إن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطع الأوائل

فقال أبو العلاء : نعم ، فقال الغلام : يا عمّاه ، إن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء ، فهل لك أن تزيد حرفاً واحداً ؟ فصمت أبو العلاء وأفحم ولم يستطع الإجابة.

الباب السّادس والثلاثون

برُّ الوالدين

- **قـال الحسـن البـصري** رحمـه اللـه تعـالى حينـما سـئل عـن بـر الوالديـن: أن تبـذل لهـما مـا ملكـت ، وأن تطيعهـما في مـا أمـراك بـه ، إلا أن يكـون معصيـة.
- **قـال ابـن عيينـة رحمـه اللـه :** مـن صـلى الصلـوات الخمـس فقـد شـكر اللـه تعـالى ، ومـن دعـا للوالديـن في أدبـار الصلـوات فقـد شـكر لهـما.
- **قال الإمام أحمد رحمه الله:** برّ الوالدين كفارة الكبائر.
- **قال أحد الشّعراء:**

إن للوالدين حقٌّ علينا بعد حق الاله في الإحترامِ

أو جدانا وربيانا صغارا فاستحقا نهاية الإكرام

أحبّ الأعمال إلى الله

بـر الوالديـن أحـب الأعـمال إلى اللـه سـبحانه و تعـالى بعـد الصـلاة لوقتها، فهـو نـور المحبـة والقـرب مـن اللـه .

فـذات يـوم سـأل عبـد اللـه بـن مسـعود رضي اللـه عنـه النّبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم : أي الأعـمال أحـب إلى اللـه تعـالى ؟

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: الصلاة على وقتها ؟

قال : ثم أي ؟

فقال النّبي صلى الله عليه و سلم: بر الوالدين.

فقـد جعـل النبـي صـلى اللـه عليـه و سـلم فضـل بـر الوالديـن في المرتبـة الثانيـة بعـد الصـلاة عـلى وقتهـا ليعلمنـا عظـم درجتـه والعمـل بهـا .

الجنّة تحت أقدام الأمهات

جـاء جاهمـة بـن العبـاس رضي اللـه عنـه إلى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلّم ، فقـال بصـوت امتـلأ أدبـاً وخشـية : يـا رسـول !! أردت أن أغـزو، وقـد جئـت أستشـيرك.

فقال النبي صلى الله عليه و سلّم معلماً وناصحاً: هل لك أم ؟!

قال : نعم .

فقال صلى الله عليه و سلّم: فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها.

بررجل لأمه في عهد عمر رضي الله عنه

جـاء رجـل إلى عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه وقـال لـه : إن لى أمـاً بلـغ منهـا الكـبر أنهـا لا تقـضى حاجتهـا (تتـبرز) إلا وظهـري لـه مطيـة ، فهـل أديـت حقهـا ؟

فقـال عمـر رضي اللـه عنـه : لا .. لأنهـا كانـت تصنـع بـك ذلـك وهـي تتمنـى بقـاءك، وأنـت تصنعـه وتتمنـى فراقهـا.

بر علي بن الحسين رضى الله عنهما

قيـل لعـلي بـن الحسـين رضى اللـه عنهـما : إنـك مـن أبـر النـاس ولا تـأكل مـع أمـك في صحفـة ؟

فقـال : أخـاف أن تسـبق يـدى يدهـا إلى مـا تسـبق عيناهـا إليـه ، فأكـون قـد عققتهـا .

الإمام أبو حنيفة

كان الإمـام أبـو حنيفـة بـارا بوالديـه، وكان يدعـو لهـما ويسـتغفر لهـما، ويتصـدّق كل شـهر بعشريـن دينـار عـن والديـه، يقـول عـن نفسـه: ربمـا ذهبـتُ بهـا إلى مجلـس عمـر بـن ذر، وربمـا أمرتنـي أن أذهـب إليـه وأسـأله عـن مسـألة فآتيـه وأذكرهـا لـه، وأقـول لـه: إن أمـي أمرتنـي أن أسـألك عـن كـذا وكـذا، فيقـول: أومثلـك يسـألني عـن هـذا؟! فأقـول: هـي أمرتنـي، فيقول: كيـف هـو الجـواب حتـى أخـبرك؟ فأخـبره الجـواب، ثـم يخـبرني بـه، فأتيهـا وأخبرهـا بالجـواب، وفي مـرة اسـتفتتني أمـي عـن شيء، فأفتيتهـا فلـم تقبلـه، وقالـت: لا أقبـل إلا بقـول زرعـة الواعـظ، فجئـت بهـا إلى زرعـة وقلـت لـه: إن أمـي تسـتفتيك في كـذا وكـذا، فقـال: أنـت أعلـم وأفقـه، فأفتهـا. فقلـت: أفتيتهـا بكـذا، فقـال زرعـة: القـول مـا قـال أبـو حنيفـة. فرضيـت، وانصرفـت.

الباب السّابع و الثّلاثون

التّوبة و التّوابون

- **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** إجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة.
- **قال ابن عباس رضي الله عنهما:** التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللّسان، والإضمار أن لا يعود إليه أبدا.
- **قال مجاهد رحمه الله:** من لم يتب إذا أمسى وإذا أصبح، فهو من الظالمين.
- **قال أبو بكر الواسطي رحمه الله :** التأني في كل شيء حسن إلا في ثلاث خصال : عند وقت الصلاة ، وعند دفن الميت ، والتوبة عند المعصية.
- **وقال لقمان الحكيم لابنه:** يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف، كان بين خطرين عظيمين، أحدهما : أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي، حتى يصير طبعا فلا يقبل المحو، الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو.

توبة مالك الرؤاسي رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا م محمد بن محمد، عن محمد بن عبد الله الحضرمي، عن سفيان بن وكيع، حدثني أبي، عن جدي، عن طارق، عن عمرو بن مالك الرؤاسي، عن أبيه:

أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد، فقتلوا فيهم وعبثوا بالنّساء، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم ولعنهم.

فبلغ ذلك مالكا فغلَّ يده، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! ارض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم. ثم دار إليه، فقال: ارض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه. ثم أتاه الثالثة، فقال: ارض عني رضي الله عنك، فوالله إن الرب تعالى ليُترضى فيرضى.

فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تبتَ مما صنعت واستغفرت الله؟ قال: نعم. قال: اللّهم! تب عليه وارض عنه.

توبة أبي هريرة رضي الله عنه، عن فتواه في امرأة زانية

عن أبي هريرة، قال: خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أنا بامرأة متنقبة قائمة على الطريق، فقالت: يا أبا هريرة! إني قد ارتكبتُ ذنبا عظيما، فهل لي من توبة؟ فقلت: وما ذنبك؟ قالت: إني زنيت وقتلت ولدي من الزنا.

فقلت لها: هلكتِ وأهلكتِ، والله مالكِ من توبة. فشهقت شهقة خرّت مغشيا عليها، ومضت.

فقلت في نفسي: أُفتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلت: يا رسول الله! إن امرأة استفتتني البارحة بكذا وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لله وإنا إليه راجعون! أنت والله هلكتَ وأهلكتَ، أين كنت عن هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) ﴾ [سورة الفرقان] ؟!

قال: فخرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أعدو في سكك المدينة، وأقول من يدلني على امرأة استفتتني البارحة كذا وكذا، والصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة، حتى إذا كان الليل، لقيتُها في ذلك الموطن، فأعلمتها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لها التوبة. فشهقت شهقة من السرور، وقالت: إن لي حديقة وهي صدقة للمساكين لذنبي.

توبة داود الطائي

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي أنبأ أبو القاسم الحسيني أنبأ رشأ بن نظيف المقرئ أنبأ الحسن بن إسماعيل أنبأ أحمد بن مروان ثنا محمد بن حاتم البغدادي قال سمعت الحماني يقول كان بدء توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى في كل يوم وليلة وتسلى كما تبلى وأنت حبيب

وقال أبو نعيم: قدم داود من السواد ولا يفقه فلم يزل يتعلم ويتعبد حتى ساد أهل الكوفة. وقال يوسف بن أسباط ورث داود عشرين دينارا فأكلها في عشرين سنة قال أبو نعيم كان داود يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز وقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل إليه يوما رجل فقال: إن في سقف بيتك جذعا قد انكسر. فقال: يا ابن أخي إني في هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام.

توبة الفضيل بن عياض

كان الفضيل يقطع الطريق وحده. فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلا فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجلا يقطع الطريق يقال له الفضيل. قال فسمع الفضيل فأرعد فقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا والله لاجتهدن أن لا أعصي الله أبدا فرجع عما كان عليه. وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة وقال أنتم آمنون من الفضيل وخرج يرتاد لهم علفا ثم رجع فسمع قارئا يقرأ ﴿ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾[1] قال بلى والله قد آن. فكان هذا مبتدأ توبته وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلا ليلة وهو يقرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ويبكي ويردد هذه الآية ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾[2].وجعل يقول ونبلو أخباركم ويردد ويقول وتبلو أخبارنا إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا وسمعته يقول: تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيأت لهم

(1) الحديد 6

(2) محمد 31

ولم تـزل تـرائي حتـى عرفـوك فقالـوا رجـل صالـح فقضـوا لـك الحوائـج ووسـعوا لـك في المجلـس وعظمـوك خيبـة لـك مـا أسـوأ حالـك إن كان هـذا شـأنك وسـمعته يقـول إن قـدرت أن لا تعـرف فافعـل ومـا عليـك أن لا تعـرف ومـا عليـك إن لم يـثن عليـك ومـا عليـك أن تكـون مذمومـا عنـد النـاس إذا كنـت عنـد اللـه محمـودا.

توبة العابد والمرأة البغي

كانـت امـرأة بغـي لهـا ثلـث الحسـن لا تمكـن مـن نفسـها إلا بمائـة دينـار وإنـه أبصرهـا عابـد فأعجبتـه. فذهـب فعمـل بيديـه وعالـج فجمـع مائـة دينـار ثـم جـاء إليهـا فقـال: إنـك أعجبتنـي فانطلقـت فعملـت بيـدي وعالجت حتـى جمعـت مائـة دينـار. فقالـت لـه: ادخـل فدخـل وكان لهـا سريـر مـن ذهـب فجلسـت عـلى سريرهـا ثـم قالـت لـه: هلـم فلـما جلـس منهـا مجلـس الخاتـن ذكـر مقامـه بـين يـدي اللـه فأخذتـه رعـدة. فقـال لهـا: اتركينـي أخـرج ولـك المائـة دينـار. قالـت: مـا بـدا لـك وقـد زعمـت أنـك رأيتنـي فأعجبتـك فذهبـت فعالجـت وكـددت حتـى جمعـت مائـة دينـار فلـما قـدرت عـلي فعلـت الـذي فعلـت. فقـال: خوفـا مـن اللـه ومـن مقامـي بـين يديـه وقـد بغضـت إلي فأنـت أبغـض النـاس إلي. فقالـت: إن كنـت صادقـا فـما لي زوج غـيرك. فقـال: دعينـي أخـرج. فقالـت: لا، إلاّ أن تجعـل لي أن تتـزوج بي.

قـال لا حتـى أخـرج. قالـت: فـلي عليـك إن أنـا أتيتـك أن تتزوجنـي. قـال: لعـل فتقنـع بثوبـه ثـم خـرج إلى بلـده وارتحلـت تائبـة نادمـة عـلى مـا كان منهـا حتـى قدمـت بلـده. فسـألت عـن اسـمه ومنزلـه فدلـت عليـه. فقيـل لـه إن الملكـة قـد جائتـك فلـما رآهـا شـهق شـهقة فـمات وسـقط في يدهـا. وقالـت: أمـا هـذا فقـد فاتنـي فهـل لـه مـن قريـب؟ قالـوا: أخـوه رجـل فقـير. قالـت: فـإني أتزوجـه حبـا لأخيـه فتزوجتـه .

توبة إبراهيم بن أدهم

عـن إبراهيـم بـن بشـار قـال: قلـت لإبراهيـم بـن أدهـم: كيـف كان بـدء أمـرك؟

قـال: كان أولى بـك أن تسـأل عـن غـير هـذا، فقلـت لـه: أخـبرني، لعـل اللـه أن ينفعنـا بـه يومـاً، فقـال: كان أبي مـن الملـوك الموسريـن، وحُبـب إلينـا الصيـد، فركبـت ذات مـرة، فثـار أرنـب أو ثعلـب، فحرّكـت فـرسي نحـوه، فسـمعت نـداء مـن ورائي: ليـس لهـذا خُلقـت، ولا بهـذا أُمـرت.

فوقفـت أنظـر يمنـة ويـسرة، فلـم أر أحـداً، فقلـت: لعـن اللـه إبليـس. ثـم حرّكـت فـرسي، فأسـمع نـداء أقـوى مـن الأول: يـا إبراهيـم! ليـس لـذا خلقـت ولا بـذا أمـرت، فوقفـت أنظـر، فـلا أرى أحـداً، فقلـت: لعـن اللـه إبليـس. فأسـمع نـداء مـن عنـد سرجـي بـذاك، فقلـت: انتصحـت انتصحـت!! جـاءني نذيـر ربي، واللـه لا عصيـت اللـه بعـد يومـي مـا عصمنـي اللـه.

فرجعـت إلى أهـلي، فخليـت فـرسي ثـم جئـت إلى رعـاة لأبي، فأخـذت جبـة كسـاء، وألقيـت ثيـابي إليهـم، ثـم أقبلـت إلى العـراق، فعملـت بهـا أيامـاً فلـم يصْـفُ لي منهـا الحـلال، فقيـل لي: عليـك بالشـام، ولم أزل هنـاك.

توبة بشر بن الحارث

وكان بـشر بـن الحـارث في زمـن لهـوه في داره، وعنـده رفقـاؤه يشربـون ويطربـون، فاجتـاز بهـم رجـل مـن الصالحـين، فـدقّ البـاب، فخرجـت إليـه جاريـة فقـال لهـا: صاحـب هـذه الـدار حـر أو عبـد؟، فقالـت: بـل حـر.

فقـال: صدقـت؛ لـو كان عبـداً لاسـتعمل أدب العبوديـة، وتـرك اللهـو والطـرب. فسـمع بـشر محاورتهـما، فسـارع إلى البـاب حافيـاً حـاسراً، وقـد ولّى الرجـل، فقـال للجاريـة: ويحـك، مـن كلمـك عـلى البـاب؟، فأخبرتـه بمـا جـرى،

فقال: أي ناحية أخذ هذا الرجل؟، فقالت: «كذا»، فتبعه بشر حتى لحقه، فقال له: أنت يا سيدي! وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟، قال: «نعم»، قال: أعد علي الكلام، فأعاده، فمرّغ بشر خدّه على الأرض، وقال: بل عبد! عبد!! ، ثم هام على وجهه حافياً حاسراً، حتى عُرف بالحفَّاء، فقيل له: لم لا تلبس نعالاً؟، قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف، فلا أزول عن هذه الحالة حتى المات.

وجوب التوبة

ورحم الله الفضيل بن عياض إذ لقيه رجل فسأله الفضيل عن عمره فقال الرجل: عمري ستون سنة، قال الفضيل : إذاً أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله، يوشك أن تصل. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل : هل عرفت معناها؟ قال: نعم، عرفت أني لله عبد، وأني إلى الله راجع، فقال الفضيل : يا أخي! إن من عرف أنه لله عبد وأنه إلى الله راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوف ،عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول فَلْيُعِدَّ للسؤال جواباً، فبكى الرجل وقال: يا فضيل ! وما الحيلة؟

قال الفضيل : يسيرة. قال: ما هي يرحمك الله؟ قال: أن تتقي الله فيما بقي، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

الباب الثّامن و الثلاثون

الإخلاص لله عز وجل

- **قال مورق العجلي :** ما أحِبُّ أن يعرفني بطاعَتِه غَيرهُ.
- **قال بشر بن الحارث رحمه الله:** لا تعمل لِتُذكر، أُكتم الحسنة كما تكتُم السيئة.
- **قال علي رضي الله عنه :** للمرائي ثلاث علامات : الكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في النّاس ، ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم.
- **وقال الفضيل بن عياض رحمه الله :** ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.
- **وقال سفيان الثوري :** ما عالجت شيئاً أشدّ علي من نيتي.
- **قال أحد الشعراء:**

اسلك سبيل الهدى في القول و في العمل

و اخلص لمولاك في حل و مرتحل

فمن تتوج بالإخلاص في عمـــــــــل

نال السعادة في الأخرى بلا عـــــلل

هذا لا يفتر من النوم

كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يصلي في بيته فإذا شعر بأحد، قطع صلاة النافلة ونام على فراشه كأنه نائم فيدخل عليه الداخل ويقول : هذا لا يفتر من النوم ، غالب وقته على فراشه نائم ، وما علموا أنه يصلي ويخفي ذلك عليهم .

بشر الحافي

جاء رجل يقال له حمزة بن دهقان لبشر الحافي العابد الزاهد المعروف ، فقال أحب أن أخلوا معك يوماً ، فقال : لا بأس تُحدد يوما لذلك، يقول فدخلت عليه يوماً دون أن يشعر فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلي مثلها فسمعته يقول في سجوده « اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل[1] أحب إلي من الشرف ..اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى .. اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أُوثر على حبك شيئا»، يقول: فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء، فقال: « اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا هنا لم أتكلم» .

الإمام الماوردي

للإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته ولما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما إذا عاينت الموت و وقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء فاعمد إليها وألقها في دجلة بالليل،

(1) يقصد بالذل عدم الشهرة.

وإذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني وأني ظفرت بما أرجوه من النية الخالصة، فلما حضرته الوفاة بسط يده ، فأظهرت كتبه بعد ذلك.

إبراهيم النخعي

قال الأعمش : كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف ، فاستأذن عليه رجل فغطّى المصحف ، وقال : لا يراني هذا أني أقرأ فيه كل ساعة .

أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي

وهذا أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي، يقول عنه خادمه أبو عبد الله ، كان محمد يدخل بيتا ويُغلق بابه ، ويدخل معه كوزاً من ماء ، فلم أدر ما يصنع ، حتى سمعتُ ابناً صغيراً له يبكي بكاءه ، فَنهتهَ أمُهُ ، فقلتُ لها : ما هذا البكاء ؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأ القرآن ويبكي، فيسمعه الصبي فيحاكيه، فإذا أراد أن يخرج غسل وجهه؛ فلا يُرى عليه أثر البكاء.

دعاء المطرِّف بن عبد الله

قال ابن عيينة : كان من دعاء المطرِّف بن عبد الله : اللهم إني أستغفرك مما زعمت أني أريد به وجهك ، فخالط قلبي منه ما قد علمت.

ليلة في السجن

روى صاحب طبقات الحنابلة: أن عبد الغني المقدسي المحدث الشهير، كان مسجوناً في بيت المقدس في فلسطين ، فقام من الليل صادقاً مع

الله مخلصاً، فأخذ يصلي، ومعه في السجن قوم من اليهود والنصارى، فأخذ يبكي حتى الصباح، فلما أصبح الصباح، ورأى أولئك النفر هذا الصادق العابد المخلص، ذهبوا إلى السجان، وقالوا: أطلقنا فإنا قد أسلمنا، ودخلنا في دين هذا الرجل، قال: ولِمَ؟ أدعاكم للإسلام؟ قالوا: ما دعانا للإسلام، ولكن بتنا معه في ليلة ذكرنا بيوم القيامة..!

إبراهيم بن أدهم

قيل لابن المبارك: إبراهيم بن أدهم ممن سمع ؟ ممن أخذ الحديث؟ وممن أخذ العلم؟ قال: قد سمع من الناس وله فضل في نفسه.. صاحب سرائر ما رأيته يظهر تسبيحاً، ولا شيئاً من الخير، ولا أكل مع قوم قط إلا كان آخر من يرفع يده - يتظاهر أنه ليس من أهل الزهد- وإنما يأكل كما يأكل عامة الناس فلا يقوم أولهم.

بارك الله فيك

وهذا عون بن عبد الله يقول: إذا أعطيت المسكين شيئاً فقال: بارك الله فيك، فقل أنت: بارك الله فيك. حتى تَخلُصَ لك صدقتك.

عبد الله بن المبارك

وهذا عبد الله بن المبارك حينما خرج في غزو بلاد الروم، فالتقى المسلمون بالعدو ، وخرج عِلجٌ من العدو يطلب المبارزة ويجول بين الصفين ، فخرج له رجل من المسلمين فقتله العلج ، وخرج ثاني فقتله ، وخرج الثالث فقتله ، فبرز له رجل آخر ، فصاوله ثم قَتَلَ العلجَ ، فاجتمع الناس عليه ينظرون من هو ؟ فجعل يغطي وجهه بكمه لئلا يعرفه أحد،

فجاءه رجل يقال له أبو عمر فرفع كمه عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن المبارك ، فقال عبد الله بن المبارك : « وأنت يا أبا عمر ممن يُشنع علينا» ما هذه الشناعة في نظر ابن المبارك رحمه الله ؟! الشناعة أنه أظهر أن هذا هو البطل الباسل الذي تمكن من قتل هذا العلج الذي قتل عدداً من المسلمين – كان يغطي وجهه بكمه يريد وجه الله تعالى - .

صاحب النقب

حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنًا، وأصابهم فيه جهد عظيم، فندب الناس إلى نقب[1] منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من الجند فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى منادي مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاء أحد حتى نادى مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا، فجاء في الرابعة رجل، فقال: أنا أيها الأمير صاحب النقب، آخذ عهودًا ثلاثًا: لا تسوَّدوا اسمي في صحيفة، ولا تأمروا لي بشيء، ولا تشغلوني عن أمري. قال: فقال له مسلمة: قد فعلنا ذلك بك. قال: فغاب بعد ذلك فلم يُرَ. قال: فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته: اللّهم اجعلني مع صاحب النقب.

لي إليك حاجة

وقال أبو سليمان المكتب: صحبت كرزًا رحمه الله إلى مكة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرحل، ثم تنحى للصلاة، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل، فاحتبس يومًا عن الوقت، فانبث أصحابه في طلبه، فكنت فيمن طلبه، قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فلما رآني أقبل نحوي فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجة، قال: قلت: وما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قال: أحب أن تكتم ما رأيت، قال:

(1) النقب: الخرق في الجلد أو الجدار أو نحوهما.

قلت: ذلك لك يا أبا عبد الله، فقال: أوثق لي، فحلفت ألا أخبر به أحدًا حتى يموت.

حيث لا يراني ملكاي

صحب رجل محمد بن أسلم فقال : لا زمته أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع في مكان يراه الناس إلا يوم الجمعة ، وسمعته كذا وكذا مره يحلف ويقول : لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفاً من الرياء.

صاحب الصدقات

كان علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره ، ويوصل ذلك إلى بيوت الأرامل والفقراء في المدينة ، ولا يعلمون من وضعها ، وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره .. لئلا يطلع عليه أحد.. وبقي كذلك سنوات طويلة، وما كان الفقراء والأرامل يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام.. فلما مات وجدوا على ظهره آثاراً من السواد، فعلموا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره، فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين.

لا يعجبك ما رأيت

وعن سهل بن منصور قال: كان بشر بن منصور رحمه الله يصلي يومًا فأطال الصلاة ورأى رجلاً ينظر إليه ففطن له بشر، فقال للرجل: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة كذا وكذا.

أُترك هذا المجلس

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: قلت لبشر بن منصور: إنا لنجلس مجلس خير وبركة قال: نعم المجلس، قال: قلت له: إنه ربما لم يُجلس إلي فكأني أغتم، قال: إن كنت تشتهي أن يُجلس إليك؟! اترك هذا المجلس.

ما أحِبّ أن أُعرَف

وعن جرير بن عثمان قال: جاء شُرَيح بن عبيد رحمه الله إلى أبي عائذ الأزْديَ فقال: يا أبا عبد الله، لو أحييتَ سنّةً قد تركها الناس: إرخاءَ طَرَف العِمامة من الجانب الأيسر!

قال: يا ابن أخي، ما كان أحسنها! تركها الناس فتركناها، ما أحِبّ أن أُعرَفَ في خيرٍ ولا شرّ.

ما العيش إلاّ هكذا

وقال الحسن: كنت مع عبد الله بن المبارك رحمه الله يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزَحَموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلاّ هكذا. يعني: حيث لم نُعْرَف ولم نُوقَّر.

الباب التّاسع و الثّلاثون

الورع وتقوى الله عزّ وجل

- **قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:** و جدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، و الشّرف في التواضع.
- **قال الامام علي رضي الله عنه:** التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.
- **قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله :** ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو من خير إلى خير.
- **قال الحسن البصري رحمه الله:** مازلت التّقوى بالمتّقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.
- **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** الدّين ليس بالطنطنة من آخر اللّيل و لكن الدّين الورع.
- **قال يحيى بن أبي كثير رحمه الله:** العالم من خشي الله و خشية الله الورع.
- **قال حالد بن معدان رحمه الله:** من كان ورعا كان تقيا.
- **قال أحد الشعراء:**

خلّ الذنـــوب صغيرها وكبيرها فـــــهو التقى

واصنع كمـاش فوق أرض الشوك يحذر مـا يرى

لا تحقـــــــــرن صغيرة إن الجبال مـــن الحصى

وصف التقوى

سـئل أبـو هريـرة عـن التقـوى فقـال لسـائله: هـل أخـذت طريقـاً ذا شـوك؟ قـال: نعـم، قـال: فكيـف صنعـت؟ قـال: إذا رأيـت الشـوك عزلـت عنـه (تجنبتـه) أو جاوزتـه (قفـزت مـن فوقـه) أو قـصرت عنـه (وقفـت ولم أعـبر)، قـال أبـو هريـرة: ذاك التقـوى...

وعـن بكـر المـزني، قـال: لمَّـا كانَـت فِتنَـةُ ابـن الأشـعث قـال طلـق بـن حبيـب رحمـه اللـه: اتَّقُوهـا بالتقـوى. فقيـل لـه: صـف لنـا التقـوى. فقـال: العَمَـلُ بطاعـة اللـه، عـلى نـور مـن اللـه، رجـاءَ ثـوابِ اللـه، وتـركُ معـاصي اللـه، عـلى نـور مـن اللـه، مخافـةَ عـذابِ اللـه.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه والغلام

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: كان لأبي بكـر الصديـق رضي اللـه عنـه غـلام يخـرج لـه الخـراج وكان أبـو بكـر يـأكل مـن خراجـه فجـاء يومـا بـشيء فـأكل منـه أبـو بكـر. فقـال لـه الغـلام: أتـدري مـا هـذا؟ فقـال أبـو بكـر ومـا هـو ؟

قـال: كنـت تكهنـت لإنسـان في الجاهليـة ومـا أحسـن الكهانـة إلا أني خدعتـه فلقينـي فأعطـاني لذلـك هـذا الـذي أكلـت منه...فادخـل أبـو بكـر يـده فقـاء كل شيء في بطنـه. وفي روايـة أنـه قـال: لـو لم تخـرج إلا مـع نفـسي لأخرجتهـا. اللهـم إني أعتـذر إليـك مـما حملـت العـروق وخالطـه الأمعـاء.

ورع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

وعن نعيم بن أبي هند، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يدفع إلى امرأته طيبًا للمسلمين كانت تبيعه، فتزن فترجح وتنقص فتكسر بأسنانها، فتُقوم لهم الوزن، فعلق بأصبعها منه شيء فقالت بأصبعها في فيها، فمسحت به خمارها، وأن عمر جاء فقال: ما هذه الريح؟ فأخبرته خبرها، فقال: تطيبين بطيب المسلمين! فانتزع خمارها، فجعل يقول بخمارها في التراب ثم يشمه ثم يصب عليها الماء ثم يقول به في التراب، حتى ظن أن ريحه قد ذهبت، ثم جاءتها العطارة مرة أخرى فباعت منها فوزنت لها فعلق بأصبعها منها شيء، فقالت فأصبعها في فيها ثم قالت بأصبعها في التراب، فقالت العطارة: ما هكذا صنعت أول مرة! فقالت: أو ما علمت ما لقيت منه؟ لقيت منه كذا ولقيت كذا وكذا.

شربة اللّبن

وشرب عمر لبناً فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بإبل الصدقة وهم على ماء، فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء.

موعظة بليغة

قال مسلمة بن عبد الملك: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر، فلا يدخل عليه أحد، فجاءته جارية بطبق عليه تمر وكان يعجبه التمر ، فأخذ قليلاً من التمر فوضعه في كفّه، وقال: يا مسلمة! أترى لو أن رجلاً أكل هذا، ثم شرب عليه من الماء، أكان مجزئه إلى الليل؟ قلت: لا أدري، قال: فرفع أكثر منه ثم قال:

أيجزئه هذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون هذا، حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره، قال: فعلام يدخل النار؟ قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.

الوصية الجليلة

هذه قصة شاب عاش أيام التتار، وكان يريد أن يستقيم ولا يستطيع، فذهب إلى عالم وقال له: أنا سمعت حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إليه رجل وقال دُلني على قول في الإسلام لا أسأل عنه أحد بعدك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قل آمنت بالله ثم استقم. فسأل الشاب العالم: كيف أفعلها؟ فقال له العالم: إذا أويت إلى فراشك قبل أن تنام فردد في نفسك مراراً حتى يأخذك النوم : الله ناظري ، الله راقبي ، الله شهيد علي، ورددها حتى تنام، فإذا استيقظت من نومك لتبدأ يومك فرددها حتى تخرج من بيتك.

فهذا العالم كان يريد من هذا الشاب أن يستقر هذا المعنى في ذهنه ليلا ونهارا، ثم قال له العالم: ردّدها في يومك ما استطعت، وائتني بعد سنة لتقول لي ماذا فعلت. الشاب لم يعد لهذا العالم بعد سنة،ولكنه بعد لقائه بهذا العالم تغيرت أحواله. يقو ل: فكنت إذا هممت بمعصية أُردد الله ناظر ي، الله راقبي، الله شهيد علي ،وكنت إذا فعلت خيرا أقول: الله ناظري، الله راقبي، الله شهيد علي، فكنت أتغير يوماً بعد يو م، ومضت سنة ولم يرجع إلى العالم، ودخل الجيش وبدأ يتدرج في الجيش، ورأى رؤية أنه تاه في الصحراء وجلس على صخرة يبكي فإذا بكوكبة من الفرسان يتقدمهم رجل أبيض جميل، فلما رآه يبكي نزل عن فرسه وأخذه واستنهضه وضغط على صدره وقال : قم يا محمود، طريقك إلى مصر من هاهنا ستملكها وستهزم التتار . فهذا الشاب هو قطز الذي

استيقظ بعد هذه الرؤيا وذهب إلى العالم الجليل العز بن عبد السلام الذي قال له: ستكون رؤية خير ، وتحققت الرؤية بـ «وإسلاماه»، وكانت بداية هذا الشاب بـ : الله راقبي الله ناظري الله شهيد علي .

الاعرابي والجارية

وقال الأصمعي رحمه الله: قال أعرابي: خرجتُ في ليلة ظلماءَ، فإذا أنا بجارية كأنها عَلَم، فأردْتُها فقالت: ويلَك أمالَك زاجِرٌ من عَقل، إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقلت: إيه والله ما يرانا إلاَّ الكواكب، فقالت: وأين مُكَوكبها؟.

يونس بن عبيد

قال النضر بن شميل: غلا الخزّ في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة، وكان يونس بن عبيد خزّازا، فعلم بذلك، فاشترى من رجل متاعا بثلاثين ألفاً، فلما كان بعد ذلك قال لصاحبه: هل كنت علمت أن المتاع غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لا، ولو علمت لم أبع. قال: هلم إليّ مالي، وخذ ما لك. فرد عليه الثلاثين ألفا.

تقبَّل الله منك يا أبتاه

وعن يحيى الغساني قال: جاء سائل إلى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه، فقال لابنه: أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبَّل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمتُ أن الله يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهمٍ لم يكن غائب أحبَّ إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

فأين الله؟

وقال نافع: خرجت مع ابن عمر رضي الله تعالى عنه في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، فوضعوا سُفْرةً فمرّ بهم راع، فقال له عبد الله بن عمر رضي الله عنه: هلم يا راعي فأصِبْ من هذه السُفْرة. فقال: إني صائم. فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديدِ حرُّه، وأنت في هذه الشّعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية. فعجب ابن عمر، وقال: هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك نَجْتزِرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: ليست لي، إنها لمولاي، قال: فما عسَيت أن يقول لك مولاك إن قلتَ، أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟

قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله، فما عدا أن قدِم المدينة، فبعث إلى سيده، فاشترى منه الراعي والغنمَ، فأعتق الراعي ووَهب له الغنم، رحمه الله.

اجعلوني في حل

وعن أبي نعيم: أن الحسن بن صالح رحمه الله انتهى إلى أصل حائط فأخذ مدرة فتمسح بها، فدق عليهم الباب فقال: إني أخذت من حائطكم مدرة، فتمسحت بها فاجعلوني في حل.

وقال يحيى بن سعيد: زاملت أبا بكر بن عياش إلى مكة، فما رأيت أورع منه، لقد أهدى له رجل رطبا، فبلغه أنه من بستان أخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد فاستحلهم وتصدق بثمنه.

الجارية سَلاّمَةَ والقس

وقال خلاّدٌ الأرقَط: سمعتُ مشايخنا من أهل مكة يذكرون أن القَسّ[1]، وهو مولى لبني مخزوم، كان عند أهل مكة بمنزلة عَطاَء بن أبي رَباَح، وأنه مرّ يومًا بسَلاّمَةَ، وهي تُغَنِّي، فوقف يسمَع؛ فرآه مولاها فدنا منه فقال: هل لك في أن تدخُل وتستمع؟ فأبى، ولم يزل به فقال: أقعِدك في موضع لا تراها ولا تراك. ففعل، ثم غنت فأعجبته؛ فقال: هل لك في أن أُحَوِّلها إليك؟ فتأَبَّى. ثم أجاب، فلم يزلْ به حتى شُغِف بها وشُغِفت به، وعلم ذلك أهلُ مكة. فقالت له يومًا وقد خَلَوا: أنا والله أُحِبُّكَ؛ فقال: وأنا والله أُحِبُّكِ. قالت: فأنا أُحبّ أن أضَعَ فمي على فمكَ؛ قال: وأنا والله. قالت: وأنا والله أُحِبّ أن أضع صدري على صدرك؛ قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعكَ؟ والله إن الموضعَ لخال! فأطرق ساعةً، ثم قال: إني سمعتُ الله يقول: ﴿الْأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]، وأنا والله أكره أن تكون خُلَّةُ ما بيني وبينكِ عداوةً يومَ القيامة. ونهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها.

الحمام والنّحل

وعن الربيع بن نافع أنه قال: سمعت من يوسف بن أسباط رحمه الله حرفًا في الورع ما سمعت أحسن منه. قلت له يومًا وقد اتخذ كوابر نحل: لو اتخذت حمامًا. فقال: النحل أحبّ إليّ من الحمام، الحمام يدخل الغريب فيهم، والنحل لا تدخل الغريب فيها، فمن ذاك اتخذت النحل.

---

(1) هو عبد الرحمن بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وكان فقيهًا عابدًا من عبّاد مكة، وكان يسمى القسّ لعبادته.

ما غاية الورع؟

جاء رجلٌ إلى يونس بن عبيد رحمه الله فقال له: أنت يونس بن عبيد؟ قال: نعم. قال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى رأيتك. قال: وما حاجتك؟

قال: أريد أن أسألك مسألة؟ قال: سل عمّا بدا لك. قال: أخبرني، ما غاية الورع؟ قال: محاسبة النفس مع كل طرفه، والخروج من كل شبهة. قال: فأخبرني ما غاية الزهد؟ قال: ترك الراحة!!.

الميراث

تنزه يزيد بن زريع عن 500 ألف من ميراث أبيه فلم يأخذ منها شيئاً ، لأن أباه كان يلي أعمال السلطان.

الخـاتمة

أخـي الكريـم، انتهـى كتـاب عـلى خطـى الأنبيـاء والصّالحـين، وهـذا مـا تيـسر جمعـه مـن قصـص وأخبـار جميلـة مـن حيـاة الأنبيـاء و سـلف الأمـة رحمـة اللـه عليهـم أجمعـين. و اعلـم أخـي أنّ هـذا غيـض مـن فيـض ومـا لم نذكـره أكـثر، و كـما يقولـون : يكفـي مـن القـلادة مـا أحـاط بالعنـق. وأقـصى منـاي أن تكـون وجـدت فيـه ضالتـك مـن الفائـدة و المتعـة بفضـل اللـه سـبحانه و تعـالى. وللـه الحمـد أولا و آخـرا، لـه الحمـد سـبحانه كـما ينبغـي لجـلال و جهـه ولعظيـم سـلطانه منتهـى علمـه.

أخي في الله، يقول أحد الشعراء:

أموت ويبقى كل مـــا كتبته فيا ليت من يقرأ كتابي دعا ليا

لعلّ إلهي أن يمـــــنّ بلطفه ويرحم تقصيري وســوء فعاليا

ولذلـك أخـي في اللـه، يامـن منحتنـي مـن وقتـك الكثـير بقراءتـك لهـذا الكتـاب، أمـلي ورجـائي أن تمنحنـي بعـض الدّقائـق الأخـرى مـن وقتـك الثمـين لتدعـو لي بالمغفـرة والرّحمـة، فليـس شـيئ أنفـع للمؤمـن مـن دعـوة في ظهـر الغيـب لأخيـه.

والحمـد للـه ربّ العالمـين، الـذي أغـدق علينـا بالنّعـم، و رضي منـا بالقليـل مـن الشـكر ووعدنـا بالمزيـد مـن الكـرم و العطـاء، رحمـة و فضلا منه سـبحانه و تعـالى إنّـه الجـواد الكريـم.

كتبه: زيوي يحيى

تيزي وزو / الجزائر، في: 15أكتوبر 2015 الموافق لـ 01 محرّم 1437

أهمّ المراجع

1- الكتب

- القرآن الكريم.
- عبد الرحمن بن ناصر السّعدي: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، قدّم له فضيلة الشيخ محمّد بن صالح العثيمين، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللّويحق، دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الأولى 2007.

كتب الحديث

- الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: مختصر صحيح مسلم، تحقيق: قسم التحقيق بدار الإمام مالك، دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الثانية،2010.
- الشيخ عبد القادر عرفان العشا حسّونة: الأحاديث القدسية مع شرحها، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت لبنان، طبعة 2007.
- الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الإمام النّووي: رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، مراجعة و تحقيق خليل الخطيب، دار الكتاب الحديث الجزائر، طبعة 2010.

كتب السّير و التّراجم

- صفي الرحمن المباركفوري :الرّحيق المختوم (بحث في السير النبوية)، الناشر دار المستقبل، توزيع دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الأولى،2005.
- الإمام ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم، الشركة الجزائرية اللّبنانية، الطبعة الأولى،2006.
- محمود المصري أبو عمّار: العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم ، دار الإمام مالك الجزائر، الطّبعة الأولى،2005.
- محمّد صالح صديق : شخصيات ومواقف ،دار البدر للطباعة و النّشر و التوزيع الجزائر.
- سعد يوسف أبو عزيز: رجال و نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم ، قدّم له الشيخ حسن أيوب، دار الفجر للتراث، القاهرة مصر، طبعة 2005.
- ابن الجوزي :صفة الصفوة ، تحقيق خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

كتب ورسائل متنوعة

- ابن الجوزي : صيد الخاطر، الشركة الجزائرية اللبنانية.
- الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ابن القيّم: صحيح اغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمّد أحمد عيسى، دار الرّشيد للكتاب و القرآن الكريم الجزائر ، الطّبعة الأولى،2007.
- الحافظ ابن أبي الدّنيا: اليقين و يليه كتاب التوكل ، قدّم له و خرّج أحاديثه الشيخ أحمد إدريس عبدو ، دار الهدى عين مليلة الجزائر.

- أبـو بكـر عبـد اللـه بـن محمـد بـن عبيـد بـن سـفيان القـرشي، ابـن أبي الدنيـا: الشـكر للـه عـزّ وجـل، تحقيـق: أبـو هاجـر محمـد السـعيد بـن بسـيوني زغلـول، مؤسسـة الكتـب الثقافيـة بـيروت لبنـان، الطبعـة الأولى 1993.
- الحافـظ أبي الفـرج عبـد الرحمـن بـن أحمـد بـن رجـب الحنبـلي: اغتنـام الأوقـات بالأعـمال الصالحـات، دار الإمـام مالـك الجزائـر، الطبعـة الأولى،2007.
- الإمـام أبي عمـر يوسـف بـن عبـد اللـه بـن محمـد بـن عبـد الـبر النّمـري القرطبـي: بهجـة المجَالـس و أنـس المُجالـس، تحقيـق: محمّـد مـرسي الخـولي، الجـزء الأول ، دار الكتـب العلميـة، بـيروت لبنـان.
- الحافـظ أبي عمـر يوسـف بـن عبـد اللـه، المعـروف بابـن عبـد الـبر: أدب المجالسـة و حمـد اللّسـان، تحقيـق: سـمير حلبـي، دار الصحابـة للـتراث، مـصر، الطّبعـة الأولى.
- محمّـد صالـح صديـق : الوقـت في حياتنـا ، دار هومـة للطباعـة و النّـشر و التوزيـع الجزائـر.
- الشـيخ المحقـق عـلي بـن محمّـد العمـران: المشـوّق إلى القـراءة، وطلـب العلـم ، دار عـالم الفوائـد للطباعـة و النـشر و التوزيـع، الطبعـة الثانيـة.
- نـور مؤيـد الجنـدلي: اليـك زوجـي (أوراق الـورد و الـود) ، دار البـدر للطباعـة و النـشر والتوزيـع الجزائـر.
- الشـيخ محمّـد تـولى الشّـعراوي : مفاتيـح الـرّزق و أبـواب الفرج،أعـدّه وعلّق عليـه و قـدم لـه: عبـد الرّحيـم محمّـد متـولى الشّـعراوي، دار المصطفـى للنـشر و التوزيـع، مـصر.
- عمـرو عبـد المنعـم سـليم : تربيـة الأبنـاء ، دار البـدر للطباعـة و النـشر

والتوزيع الجزائر.

- الدكتور عمرو خالد: حتي يغيروا ما بأنفسهم ، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة السادسة، 2012.
- محمود المصري،أبو عمّار: صفات أهل الجنة ، دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الأولى، 2003.
- محمود المصري : يا شباب الوقت هو الحياة ، دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الأولى، 2004.
- محمود المصري : أسباب الرزق الحلال ،دار الإمام مالك الجزائر ، الطبعة الأولى، 2004.
- محمود المصري :مفاتيح الفرج من الكتاب والسنة ، دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الأولى،2010.
- حسين بن عودة العوايشة: البكاء من خشية الله ، دار الإمام مالك الجزائر ، الطبعة الأولى،2006.
- عمر عبد المنعم سليم: اختيار الزوج و الزّوجة ، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.
- أبي منير عبد الله بن محمّد عثمان الذماري: نعمة الزواج و صلاح الزّوجين ، خرّجه و علّق عليه أبو الوليد محمد بن سعيد الحضرمي، دار الأثار، صنعاء، الطبعة الأولى،2011.
- العلامة محمّد بن صالح العثيمين :دور المرأة في إصلاح المجتمع ، مدار الوطن للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية، طبعة عام 1432هجرية.
- القسم العلمي بدار الوطن: نظرات خائنة ، دار الوطن للنشر، المملكة

العربيـة السـعودية.

- خالـد مصطفـى سـالم: بعـد الضيـق يـأتي الفـرج، دار الوطـن للنـشر، المملكـة العربية السـعودية.
- أنـس بـن محمـد السـليم : الرضـا بعـد القضـاء، دار الوطـن للنـشر، المملكـة العربية السـعودية.
- الدكتـور زيـد بـن محمّـد الرومـاني: نصـائح للرجـال ، دار الوطـن للنـشر والتوزيـع المملكـة العربيـة السـعودية.
- فهـد بـن محمـد الحميـزي: المعـاشرة والطاعـة بالمعـروف رسـالة إلى كل زوج وزوجـة ، دار الصميعـي للنـشر والتوزيـع، المملكـة العربيـة السـعودية.
- خالـد بـن سـليمان بـن عـلي الربعـي: مـن عجائـب الصدقـة ، دار القاسـم المملكـة العربيـة السـعودية.
- خالـد بـن سـليمان بـن عـلي الربعـي : مـن عجائـب الدّعـاء، الجـزء الأول، دار القاسـم المملكـة العربيـة السـعودية.
- عبـد الملـك بـن محمـد بـن عبـد الرحمـن القاسـم: أحصـاه اللـه و نسـوه، دار القاسـم المملكـة العربيـة السـعودية.
- الدّكتـور بـدر عبـد الحميـد إبراهيـم هميسـه: إن مـع العـسر يـسرا ، موقـع صيـد الفوائد.
- أبو الحسن بن محمد الفقيه : إلى من أسرته الهموم ، دار ابن خزيمة.
- عبدالملـك بـن محمـد بـن عبدالرحمـن القاسـم: الـرزق أبوابـه ومفاتحـه، دار القاسـم .
- أنـس بـن محمـد السـليم: الرضـا بعـد القضـاء، دار الوطـن للنّـشر المملكـة

العربيـة السـعودية.

- علي الطنطاوي :الرزق مقسوم.. ولكن العمل له واجب، موقع كتيبات.
- الأسـتاذ عمـرو خالـد: باسـمك نحيـا ، كتـاب الكـتروني مـن إعـداد فريـق صنـاع الحيـاة بالمغـرب.

كتب القصص

- عمـرو بـن بحـر بـن محبـوب، الجاحـظ : البخـلاء ، الشركـة الجزائريـة اللّبنانيـة ، الطبعـة الأولى،2006.
- ابـن الجـوزي : أخبـار الحمقـى و المغفّلـين ، دار ابـن الجـوزي القاهـرة، مـصر. الطبعـة الأولى.
- القـاضي أبـو عـلي الحسـن بـن أبي القاسـم، التنوخـي: الفـرج بعـد الشـدة، مكتبـة الخانجـي مـصر، الطبعـة الثانيـة 1994.
- إبراهيـم شـمس الديـن :قصـص العـرب (موسـوعة تراثيـة جامعـة لقصـص ونـوادر وطرائـف العـرب في العـصر الجاهـلي والإسـلامي) ، الجـزء الأول والجـزء الرّابـع، دار الكتـب العلميـة بـيروت لبنـان، الطبعـة الأولى 2002.
- هـاني الحـاج: ألـف قصـة و قصـة مـن قصـص الصالحـين و نـوادر الزاهدين، المكتبـة التوفيقية.
- أحمـد بـن نـاصر الطيـار: حيـاة السّـلف بـين القـول و العمـل ، دار ابـن الجـوزي.
- محمـد صديـق المنشـاوي: مائـة قصـة و قصـة مـن حيـاة عمـر بـن عبـد العزيـز رحمـة اللـه عليـه ، المكتبـة الخـضراء، الجزائـر .

- محمد صديق المنشاوي: مائة قصة و قصة من حياة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المكتبة الخضراء، الجزائر .
- محمد صديق المنشاوي: مائة قصة و قصة من حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه، المكتبة الخضراء، الجزائر.
- محمد دمان ذبيح: مائة قصة لكل من يريد أن يصلح نفسه و غيره، دار الهدى عين مليلة الجزائر .
- خالد أبو صالح : قصص ومواقف رمضانية ، مدار الوطن للنشر المملكة العربية السعودية.
- موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي : كتاب التوابين ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ، الطبعة 1403 هـ - 1983 م
- أبو الحسن بن محمد الفقيه: تسلية الحزين بقصص الصابرين، دار ابن خزيمة للنشر و التوزيع المملكة العربية السعودية.
- عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني: و ماذا بعد الظلم؟ ، موقع الكتيبات الإسلامية.

دواوين الشّعر وكتب المقولات والحكم

- الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ديوان الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي، دار الهدى عين مليلة الجزائر .
- أسامة نعيم مصطفى : أقوال و حكم إسلامية ، جسور للنشر و التوزيع الجزائر، الطبعة الأولى، أفريل 2011.

- الامـام محمّـد بـن ادريـس، الشـافعي: ديـوان الامـام محمّـد بـن ادريـس الشـافعي، تحقيـق عبـد الرحمـن الطويـل ، دار المجـدد للنـشر و التوزيـع ، سـطيف الجزائـر.
- المكتـب العلمـي للتأليـف و الترجمـة بـاشراف الدكتـور روحـي البعلبـكي : معجـم روائـع الحكمـة و الأقـوال الخالـدة ، دار العلـم للملايـين ، بـيروت لبنـان، الطبعـة الثالثـة، فيفـري 2001.

المعاجم و القواميس

- إبراهيـم مصطفـى و آخـرون: المعجـم الوسـيط (الجـزء الأول و الثـاني)، مجمّـع اللّغـة العربيـة،الإدارة العامـة للمجمعـات و إحيـاء الـتراث، دار الدّعـوة.

2- المقالات و المحاضرات المفرغة

- د. سـعيد بويـزري: تجديـث لخدمـا (العمـل) ، الـشروق اليومـي ع3996 ، 2013-04-25
- د. بدر عبد الحميد هميسه: أمة اقرأ متى تقرأ ؟ ، صيد الفوائد.
- د. بدر عبد الحميد هميسه: المسلم و الإيجابية ،صيد الفوائد .
- محمـد محمـود عبـد الخالـق: أهميـة الوقـت في حيـاة المسـلم ، صيـد الفوائـد.
- محمـد بـن عبـد الرحمـن العريفـي: قصـص منوعـة، نقـلا مـن موقـع طريـق الإسـلام.

- أحمد بن عبد الرحمن القاضي: الشباب المسلم بين السلبية والإيجابية، موقع الإسلام اليوم.
- شمس الدين: إن المحب لمن يحب مطيع ، صيد الفوائد.
- الفراغ والغفلة ، موقع اذاعة طريق الاسلام.،نقلا عن: مجلة (الرسالة).. العدد الأول، رمضان 1422 هـ.
- مجموعة من المقالات من الموقع الرسمي للشيخ محمد حسين يعقوب.
- فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي: العقيدة ، موضوعات مختلفة، الدرس(27): أمثلة عملية وقصص واقعية. ، تاريخ10-06-2007.
- فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي: شرح الحديث الشريف، جامع الأحمدي، الدرس (110، 119): قضاء حوائج المسلمين،من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا بتاريخ: 20-02-1999م.
- إيمان الخولي، الاستجابة لله حياة ، موقع طرق الاسلام.
- عبد الرحمن بن عبد الله السحيم: وما يُدريك لعل هذا المُحتقَر يُساوي آلاف البشر؟! ، موقع طريق الاسلام.
- فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي: موضوعات إسلامية ، مقالات في صحيفة دنماركية ، الدرس (12،08) : حقوق الجار في الإسلام، بتاريخ: 21-11-2008.
- الشيخ أحمد الزومان: هدي النبي - صلى الله عليه وسلم- ، مع الصبيان، شبكة الألوكة.
- الدين النصيحة: 30قصة من قصص إتهام السلف لأنفسهم، صيد الفوائد.

- الدين النصيحة: 50 قصة من قصص إخلاص السلف، صيد الفوائد.
- حسين الراوي: الكِتاب والقراءة عند السلف، جريدة الرأي الكويتية، 13 جانفي 2012.
- محمد بن يوسف الجوراني: حين يقرأ العلماء، صيد الفوائد.
- د. بدر عبد الحميد هميسه: حسن التعامل مع الجيران، موقع صيد الفوائد.
- إبراهيم بن عبد الله الحازمي: من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه، موقع صيد الفوائد.
- خباب الحمد: ربّ همة أحيت أمة بإذن الله ، موقع اذاعة طريق الاسلام.

3- الصحف و الدّوريات

زهرة الاسلام - أسبوعية دينية جزائرية

- العدد130 من 28شعبان04- رمضان1429.

اقرأ دينك - أسبوعية دينية جزائرية

- العدد41: من 19-25 جويلية2007
- العدد 85 :من 15-21 نوفمبر 2007
- العدد91: من 10-16 جويلية2008
- العدد96: من 14-20 أوت 2008

القلم - أسبوعية دينية جزائرية

- العدد114: من 28 أفريل04- ماي 2008.

أسبوعية الشيماء - أسبوعية دينية جزائرية

- العدد47: من 01 الى 07 أوت 2008.

4- المواقع الالكترونية

- موقع موسوعة القصص الواقعية.
- موقع قصة الاسلام.
- شبكة طريق السلف.
- موسوعة أدب.
- موقع صيد الفوائد.
- موقع إسلام اون لاين.
- منتديات أخوات طريق الإسلام.
- موقع الدرر السنية.
- موقع نبي الرّحمة.
- موقع إذاعة القرآن.
- موقع طريق الإسلام.
- موقع إذاعة طريق الإسلام.

نبذة عن المؤلّف

- اللّقب والاسم: زيوي يحيى.
- من مواليد ولاية تيزي وزو، الجزائر، 1985م.
- شهادة الدّراسات الجامعية التطبيقية في الإعلام الآلي. من جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
- اللّغات: العربية والفرنسية.

إصدارات المؤلِّف:

- عظمة النّبيﷺ بشهادة الغربيين
- قطوف من أقوال المشاهير
- ينبوع الحكمة
- قصص الأذكياء
- قصص وعبر
- طرائف ونوادر
- أحزان في قلبي (نصوص وخواطر)
- روائع الأجوبة المسكتة

- على خطى الأنبياء والصّالحين
- أجمل القصص
- لكلّ اختراع قصّة
- لاخبز، لاحبّ (قصص وخواطر)

للتّواصل مع المؤلّف:

- البريـــــــد الإلكتروني: ziouiyahia@gmail.com
- مدوّنـــتي على الأنترنت: www.fawaides.blogspot.com
- صفحتي على الفايسبوك: www.facebook.com/fawaides

فهرس الكتاب

إهداء 5

كلمة شكر 6

مقدّمة 8

فصل: لماذا هذا الكتاب؟ 13

فصل: ثمرات و فضل حسن الخلق 17

فصل: ذَمُّ سوء الخلق 25

الباب الأوّل: المروءة، الأدب و حُسنُ الخُلق 30

الباب الثّاني: محاسبة النّفس 41

الباب الثّالث: حفظ اللّسان 48

الباب الرّابع: قول الصّدق و ذمّ الكذب 55

الباب الخامس: العفّة واتّقاء فتنة النّساء 61

الباب السّادس: التفاؤل و ذمُ اليأس والقنوط 67

الباب السّابع: الصّبر على البلاء و الرّضا بالقضاء 71

الباب الثّامن: الانفاق في سبيل الله، الجود و الكرم 84

الباب التّاسع: قضاء حوائج الإخوان، المحتاجين و الضّعفاء 98

الباب العاشر: التَّعاون 103
الباب الحادي عشر: حسن التّعامل مع الجيران 107
الباب الثّاني عشر: حسن الظَّن بالنّاس 111
الباب الثّالث عشر: الحـــــــــــياء 114
الباب الرّابع عشر: الحِلم وكظم الغيظ 121
الباب الخامس عشر: العفو والصّفح عن النّاس 134
الباب السّادس عشر: الوفـــــــــــاء 146
الباب السّابع عشر: الرّحـــــــــــمة 153
الباب الثّامن عشر: التّواضع وذمّ الكبر 159
الباب التّاسع عشر: التّعامل مع العاصي والمسيء 172
الباب العشرون: العزّة و الجرأة 181
الباب الحادي و العشرون: حسن مداراة الناس 187
الباب الثّاني و العشرون: الصداقة و الأخوة في الله 192
الباب الثّالث و العشرون: الشّجاعة 199
الباب الرّابع و العشرون: الإيجابية وعُلُو الهمَّة 208
الباب الخامس و العشرون: الإيـــــــــــثار 220
الباب السّادس و العشرون: الأمـــــــــــانة 231
الباب السّابع و العشرون: المـــــزاح 237
فصل: صور من مزاح النّبي ﷺ 238

فصل: صور من مزاح الصّحابة رضي الله عنهم 241
فصل: العلماء والفقهاء يحبّون الطُّرَفْ و النّوادر 245
الباب الثّامن و العشرون: الذّكاء، الفراسة و الفطنة..... 250
الباب التّاسع والعشرون: الحرص على الصّلاة..... 265
الباب الثّلاثون: قيام اللّيل..... 268
الباب الحادي و الثّلاثون: القصد في العبادة، وذمّ الغلو..... 275
الباب الثّاني و الثّلاثون: السّعي من أجل الرّزق 280
الباب الثّالث و الثلاثون: حُسن اختيار الزّوج والزّوجة..... 287
الباب الرّابع والثّلاثون: العشرةُ بالمعروفِ..... 294
الباب الخامس والثلاثون: حسن تربية الأبناء 304
فصل: حسن تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال 305
فصل: الحرص على تربيتهم، تأديبهم و حسن تعليمهم..... 307
فصل: العطف عليهم، و ملاعبتهم..... 310
فصل: صور جميلة من حياة أطفال السلف..... 312
الباب السّادس والثلاثون: برُّ الوالدين..... 317
الباب السّابع و الثّلاثون: التّوبة و التّوابون 320
الباب الثّامن و الثلاثون: الإخلاص لله عز وجل..... 327
الباب التّاسع و الثّلاثون: الورع وتقوى الله عزّ وجل 334
الخـــــاتمة..... 342

أهمّ المراجع 343
نبذة عن المؤلّف 354
فهرس الكتاب 356